مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية

المشرف العام
أ. د. يونس مرشد عمرو
رئيس الجامعة

رئيس هيئة التحرير
أ. د. سمير داود النجدي

مشرف التحرير
أ. د. حسني محمد عوض
عميد الدراسات العليا والبحث العلمي

هيئة التحرير

أ. د. عبد الناصر قاسم الفرا
أ. د. محمد محمد الشلش
أ. د. هاني حسين أبو الرب
أ. د. عماد صالح عبد الحق
د. رشدي يوسف القواسمة
د. عاطف حسني العسولي
أ. د. فيصل حسين غوادرة
أ. د. جمال محمد إبراهيم
أ. د. سامي عوض أبو اسحاق
د. معتصم توفيق الخضر
د. غسان إسماعيل فطافطة
د. موسى علي طالب

المدقق اللغوي لأبحاث اللغة العربية
د. حسن أبو الرب

المدقق اللغوي لأبحاث اللغة الإنجليزية
مركز عادل زعيتر للترجمة واللغات

رؤية الجامعة

الريادة والتميز والإبداع في مجالات التعليم الجامعيّ المفتوح، وخدمة المجتمع، والبحث العلميّ، وترسيخ مكانتها القيادية في بناء مجتمع فلسطيني قائم على العلم والمعرفة.

رسالة الجامعة

إعداد خريجين مؤهلين لتلبية حاجات المجتمع، قادرين على المنافسة في سوق العمل المحلي والإقليمي، والإسهام الفاعل والمتميز في مجال البحث العلميّ، وبناء القدرات التقنية والبشرية، من خلال تقديم برامج تعليمية وتدريبية على وفق أفضل ممارسات التعليم المفتوح وأساليب التعليم المدمج، وتعزيز بيئة البحث العلميّ في إطار من التفاعل المجتمعي والتعاون والشراكة وتبادل الخبرات مع الأطراف المعنية كافة، مع مراعاة أحدث معايير الجودة والتميز.

القيم التي تؤمن بها الجامعة

لتحقيق رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها، تعمل الجامعة على تطبيق وترسيخ الإيمان بالقيم الآتية:

- الريادة والتميز.
- الانتماء الوطنيّ والقوميّ.
- ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص.
- الحرية الأكاديمية والفكرية.
- احترام الأنظمة والقوانين.
- الشراكة المجتمعية.
- الإدارة بالمشاركة.
- الإيمان بدور المرأة الريادي.
- النزاهة والشفافية.
- التنافسية.

المجلة

مجلة علمية محكمة فصلية تصدر عن عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، وقد صدر العدد الأول منها في تشرين أول/ عام 2002م. وتنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث شريطة أن لا تكون الورقة منشورة في مجلد المؤتمر أو أية مجلة أخرى.

وقد حصلت على معامل التأثير العربي، وتحمل الرقم المعياري الدولي للنسخة الإلكترونية .(E - ISSN: 2616 - 9843) وللنسخة المطبوعة .(P - ISSN: 2616 - 9835)

قواعد النشر والتوثيق

أولاً ـ متطلبات إعداد البحث:

يجب أن تتضمن مسودة البحث الآتي:

1. صفحة منفصلة عليها : اسم الباحث/ الباحثين وعنوانه/ هم بعد عنوان البحث مباشرة باللغتين العربية والإنجليزية، ويذكر بريده/ هم الإلكتروني.
2. ملخصين أحدهما باللغة العربية والآخر بالإنجليزية في حدود (*150 - 200*) كلمة لكل منهما ، يتضمنان كلمات مفتاحية لا يزيد عددها عن ست كلمات.
3. تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وترقم ترقيما متسلسلاً، وتكتب أسماؤها وعناوينها والملحوظات التوضيحية تحتها .
4. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها فوقها . أما الملحوظات التوضيحية فتكتب تحت الجداول.

ثانياً ـ شروط تسليم البحث:

1. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدّد فيها التخصص الدقيق للبحث.
2. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.
3. سيرة ذاتية مقتضبة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، والدرجة العلمية، ورتبته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقميّ هاتفه الثابت والنقال.
4. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها) ، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.
5. أن يتجنب الباحث أية إشارة قد تدل على شخصيته في أي موقع من صفحات البحث، وذلك لضمان السرية التامة في عملية التحكيم.

ثالثاً ـ شروط النشر:

تؤكد هيئة التحرير على ضرورة الالتزام بشروط النشر بشكل كامل، إذ إن البحوث التي لا تلتزم بشروط النشر سوف لن ينظر فيها، وتعاد الملحوظات بشأنها لأصحابها مباشرة حتى يتم التقيد بشروط النشر.

1. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية على أن تكون مكتوبة بلغة سليمة خالية من الأخطاء النحوية واللغوية.

2. تقدم طلبات نشر الأبحاث من خلال الموقع الإلكتروني للمجلة على الرابط الآتي: *http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy* بصيغة (*Word*)، مع مراعاة الآتي:

- الأبحاث المكتوبة باللغة العربية يستخدم الخط *Simplified Arabic* بحجم (*16*) غامق للعنوان الرئيس، و (*14*) غامق للعناوين الفرعية، و (*12*) عادي لباقي النصوص، و (*11*) عادي للجداول والأشكال.

- الأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية يستخدم الخط *Times New Roman* بحجم (*14*) غامق للعنوان الرئيس، و (*13*) غامق للعناوين الفرعية، و (*12*) عادي لباقي النصوص، و (*11*) عادي للجداول والأشكال.

- المسافة بين الأسطر: مفردة.

- الهوامش للأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية:

(*2*) سم للأعلى و (*2. 5*) للأسفل، و (*1. 5*) سم للجانبين الأيمن والأيسر.

3. ألا يزيد عدد كلمات البحث عن (*7000*) كلمة، وبما لا يزيد عن (*25*) صفحة حجم (*A4*)، بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والهوامش والمراجع. علماً بأن الملاحق لا تنشر، إنما توضع لغايات التحكيم فحسب.

4. أن يتسم البحث بالجدة والأصالة والموضوعية، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

5. أن لا يكون منشوراً أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وأن يتعهد الباحث خطياً، وبعدم تقديم بحثه للنشر إلى أية جهة أخرى إلى حين الانتهاء من إجراءات التحكيم واتخاذ القرار المناسب بهذا الشأن، ويتعهد الباحث الرئيس بأنه أطلع على شروط النشر في المجلة والتزم بها.

6. أن لا يكون البحث فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.

7. لا يجوز نشر البحث أو أجزاء منه في مكان آخر، بعد إقرار نشره في المجلة، إلا بعد الحصول على كتاب خطي من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة.

8. تحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من الباحث أن يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر، وللمجلة إجراء أية تعديلات شكلية تتناسب وطبيعة المجلة.

9. يجب أن يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، في حدود (150 - 200) كلمة لكل منهما، ويراعى أن يتضمن الملخص أهداف البحث ومشكلته ومنهجه وأبرز النتائج التي توصل إليها، ويثبت الباحث في نهاية الملخص ست كلمات مفتاحية (Key Words) كحد أقصى ليتمكن الآخرون من الوصول إلى البحث من قواعد البيانات.

10. أن يشير الباحث إلى أنه استل بحثه من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه إذا فعل ذلك، في هامش صفحة العنوان.

11. لا تعاد البحوث التي ترد إلى المجلة إلى أصحابها سواءً قبلت للنشر أم لم تقبل.

12. تعتذر المجلة عن عدم النظر في البحوث المخالفة للتعليمات وقواعد النشر.

13. يلتزم الباحث بدفع النفقات المترتبة على إجراءات التحكيم حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم المضي في إجراءات التقويم.

14. يبلغ الباحث بالقرار النهائي لهيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث.

رابعاً ـ التوثيق:

1. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المصدر أو المرجع كتاباً فيثبت: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة، فيثبت: المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة. وفي حال تكرار المصدر أو المرجع مرة ثانية يشار إليه كالآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب/ البحث، رقم الصفحة.

2. ترتب قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وفق الترتيب الألف بائي (الأبتثي) لكنية/ لقب المؤلف، ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، ويجب أن لا تحتوي القائمة على أي مصدر أو مرجع لم يذكر في متن البحث.

   - في حالة عدم وجود طبعة يضع الباحث (د. ط).
   - في حالة عدم وجود دار النشر يضع الباحث (د. د).
   - في حالة عدم وجود مؤلف يضع الباحث (د. م).
   - في حالة عدم وجود سنة أو تاريخ نشر يضع الباحث (د. ت).

1. في حال استخدام نمط "*Style APA*" في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: "اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة".

2. يستطيع الباحث تفسير ما يراه غامضاً من كلمات أو مصطلحات باستخدام طريقة الحواشي في المتن، حيث يشار إلى المصطلح المراد توضيحه برقم في أعلى المصطلح، ثم يشار لهذه الهوامش في قائمة منفصلة قبل قائمة المصادر والمراجع.

ملاحظة: لمزيد من المعلومات حول آلية التوثيق بنظام *APA*، يمكنك الاطلاع على المعلومات المتوافرة على الصفحة الإلكترونية لعمادة الدراسات العليا والبحث العلمي:

http://journals.qou.edu/recources/pdf/apa.pdf

خامساً ـ إجراءات التحكيم والنشر:

ترسل البحوث المقدمة للنشر إلى متخصصين لتحكيمها حسب الأصول العلمية، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون، والباحثون مسؤولون عن محتويات أبحاثهم، فالبحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر معديها وليس عن وجهة نظر المجلة. كما أن البحوث المرسلة إلى المجلة تخضع لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير، لتقرير أهليتها للتحكيم والتزامها بقواعد النشر، ويحق لهيئة التحرير أن تعتذر عن قبول البحث دون إبداء الأسباب.

وتتم إجراءات التحكيم والنشر وفق الآتي:

1. تقوم هيئة التحرير بمراجعة البحوث المرسلة إلى المجلة للتأكد من استيفائها لمعايير النشر في المجلة، ولتقرير أهليتها للتحكيم.

2. ترسل البحوث المستوفية لمعايير النشر إلى اثنين من المحكمين من ذوي الاختصاص، تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة، من بين أساتذة متخصصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها، على ألا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

3. يقدم كل محكم تقريراً عن مدى صلاحية البحث للنشر.

4. إذا اختلفت نتيجة المحكمين (أحدهما مقبول والآخر مرفوض)، يرسل البحث لمحكم ثالث لترجيح الحكم، ويعد حكمه نهائياً.

5. يبلغ الباحثون بقرار هيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث، وبعد إجراء التعديلات عليه إن وجدت.

6. يزود الباحث بنسخة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ويتم إرسال نسخة من العدد إلى مكتب الجامعة في الأردن للباحثين من خارج فلسطين، ويتحمل الباحث تكلفة النقل من الأردن إلى مكان إقامته.

سادساً ـ أخلاقيات البحث العلمي:

1. الالتزام بمستوى أكاديمي ومهني عالٍ في جميع مراحل البحث، ابتداءً من مرحلة تقديم مقترح البحث، ومروراً بإجراء البحث، وجمع البيانات، وحفظها، وتحليلها، ومناقشة النتائج، وانتهاءً بنشرها بكل أمانة ودون تحريف أو انتقائية أو إغفال للمنهج العلمي الصحيح.

2. الالتزام بالاعتراف الكامل بجهود كل الذين شاركوا في البحث من زملاء وطلبة بإدراجهم ضمن قائمة المؤلفين، وكذلك الاعتراف بمصادر الدعم المادي والمعنوي الذي استخدم لإجراءات البحث.

3. الالتزام بإسناد أية معلومات مستعملة في البحث لمصدرها الأصلي، وكذلك الالتزام بعدم النقل الحرفي لأية نصوص من مصادر أخرى دون إسنادها للمصدر أو المرجع الذي أخذت منه.

4. الالتزام بعدم إجراء أية أبحاث قد تضر بالإنسان أو بالبيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة (أو من لجنة أخلاقيات البحث إن وجدت) حين إجراء أية أبحاث على الإنسان أو البيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة أو المركز البحثي أو المؤسسة التي يعمل فيها الباحث أو من لجنة أخلاقيات البحث العلمي إن وجدت.

5. الالتزام بأخذ موافقة خطية من كل فرد من الأفراد الذين يستخدمون كموضوع للبحث بعد إعلامهم بكل ما يترتب على اشتراكهم من عواقب، وكذلك الالتزام بعدم نشر نتائج البحث في مثل هذه الحالات إلا بشكل تحليل إحصائي يضمن سرية المعلومات الفردية التي جمعت حول هؤلاء الأفراد.

سابعاً ـ حقوق الملكية الفكرية:

1. تلتزم المجلة باحترام حقوق الملكية الفكرية.

2. على الباحثين احترام حقوق الملكية الفكرية.

3. تؤول حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر، وإذا رغب الباحث/ الباحثين في إعادة نشر البحث فإنه يتوجب الحصول على موافقة خطية من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة.

4. لا يجوز نشر أو إعادة نشر البحوث إلا بعد أخذ موافقة خطية من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي.

5. حق المؤلف في أن ينسب البحث إليه، وذكر اسمه على كل النسخ التي تنتج للجمهور بأي شكل كانت، وفي كل نسخة أو طبعة من المصنف.

6. حق المؤلف في طلب أن تنسب مؤلفاته إليه باسمه الشخصي.

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية
العدد (51)

المحتويات

الأبحـــــاث:

الترقيم	الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحة
1	د. عبد الرحيم حمدان حمدان	ملامح الشخصية الإيجابية في سورة غافر	1
2	د. توفيق بن إسماعيل بن سعيد أ. أمير تانونج ساك فانديتج د. محمد صبري شهرير سعد	استراتيجيات تعلم اللغة العربية وأثرها في مستوى الاهتمام باللغة العربية لدى طلبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير "سونكلا نكرين" شطر فطاني بدولة تايلاند	20
3	د. محمود موسى زياد	إنتاج اللامساواة في سياسة الاحتلال تجاه التعليم في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948	32
4	د.عصام محمد علي عدوان	"الصراع العثماني البرتغالي البحري في القرن السادس عشر	43
5	أ. محمد أحمد مصلح	الأحداث السياسية وأثرها في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي	58
6	د. عبد الرؤوف جرار	الأَهميّةُ المْكانيّةُ لِمدينةِ الرَّملةِ في الصِّراعِ الفاطميِّ القرمطيِّ (356هـ 469--هـ/968م - 1077م)	76
7	أ.محمد محمود المشايخ د. محمد عيسى الحوراني	القيمة الدلاليّة للقرائن بين القدامى والمحدثين	93

ملامح الشخصية الإيجابية في سورة غافر

Positive Personality Traits in Surat al-Ghafir

د. عبد الرحيم حمدان حمدان
أستاذ مساعد / جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

Dr. Abed el Raheem Hamdan Hamdan
Assistant Professor/ al-Quds Open University / Palestine
Abedhamdan2013@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 18/ 5/ 2019م، **تاريخ القبول:** 17/ 9/ 2019م.
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835

Received: 18/ 5/ 2019, **Accepted:** 17/ 9/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604826
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على مكون مهم من مكونات الخطاب القرآني في سورة غافر الكريمة، وهو رسم ملامح الشخصية الإيجابية.

تحدث الباحث عن أهم الصفات التي تتسم بها الشخصيات الإيجابية في السورة، منها: الصفات الفكرية العقدية، الصفات النفسية، الصفات التربوية السلوكية، كما تناول الباحث الشخصيات الإيجابية التي اشتملت عليها السورة الكريمة وهي: شخصية النَّبيِيْن: موسى ومحمد– عليهما السلام–، وشخصية مؤمن آل فرعون، وشخصية الملائكة الكرام.

احتكمت الدراسة إلى منهج الوصفي التحليلي، وقد ختمت بالنتائج التي توصل إليها، ومن أهمها: أن الشخصية الإيجابية بالرغم من أنها شخصيات دينية واقعية، فإنها احتفظت بقدر كبير من الخصائص الجمالية، وإن ثمة قواسم مشتركة في رسم معالم تلك الشخصيات الإيجابية. وخُتم البحث بأهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: ملامح، الشخصية الإيجابية، سورة غافر.

Abstract

This research aims to shed the light on an important component in the Qur'anic discourse in Surat al-Ghafir, the traits of the positive personality.

The researcher mentions the most important traits that characterize the positive personality in the verse, including: intellectual traits, belief, psychological traits, educational and behavioral traits. the researcher also dealt with the positive personalities included in the verse, namely: Al-Pharaoh and the angels. The study relied on the descriptive analytical approach, and concluded the following findings, although the positive personalities are realistic religious figures: they retained great aesthetic characteristics and shared common features. The research concluded with the main findings and recommendations

***Keywords**: Traits, Positive Personality, Surat al-Ghafir,*

مقدمة:

الشخصية، تعريفها، وأهميتها، وأبعادها، وطرق رسمها:

اشتملت المقدمة على أمور منها: التعريف بالشخصية الإيجابية، وأهميتها، وأبعادها، وطرق رسمها، وأسباب اختيارها، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة . وجرى تناولها على النحو الآتي:

تمثل الشخصية مكوناً مهماً من المكونات الفنية للرواية، وهي عنصر فاعل في تطور الحكي، إذ يؤدي عنصر الشخصية أدوارًا عدة في بناء القصة القرآنية وتكاملها، وطريقة عرضها للأحداث، ومن خلال مواقفها يمكن تبين المضمون الأخلاقي أو النفسي للرواية، فالكثير من أفكار الكاتب ومقاصده ورؤاه ومواقفه من القضايا المتعددة تصورها الشخصيات، فهي المسؤولة بدرجة أكبر من سائر المكونات الأخرى عن طريق عرض الأفكار والتحكم بخط سير الأحداث أو مواجهتها [1].

وتعد الشخصية» العمود الفقري في القصة القرآنية والشريان الذي ينبض به قلبها؛ لأن الشخصية تصطنع اللغة وتثبت الحوار وتلامس الخلجات، وتقوم بالأحداث ونموها وتصف ما نشاهد»[2]، وهذه المكانة التي احتلتها الشخصية جعلت بعض النقاد ينظرون إلى القصة القرآنية على أنها تصور» تجربة إنسانية تعكس موقف كاتبها إزاء واقعه بنفس القدر الذي تفصح فيه عن مدى فهمه لجماليات الشكل الروائي. والقصة القرآنية تقول هذا وأكثر من خلال أداة فنية مميزة هي "الشخصية»، وهذا ما جعلهم يعرفونها بقولهم:» إنها فن الشخصية» [3].

إن القراءة المتأنية للشخصيات في سورة غافر» تشير إلى أن من أهم مكونات هذه القصة القرآنية ومرتكزاتها الأساسية صورة الشخصية الروائية التي تتضافر مع مكونات روائية أخرى: كالفضاء، والإيقاع والامتداد والتلقي؛ لتكون عملاً قصصياً يمكن نعته بقصة «الشخصية»[4].

اعتمدت سورة غافر إلى حد كبير على فنية بناء الشخصيات إلى الدرجة التي يمكن أن نطلق عليها سورة «الشخصية»، إذ هيمنت شخصيات القصة القرآنية على الأحداث؛ الأمر الذي جعل من تلك الشخصيات العنصر الأقوى، إذا ما قورنت بسائر العناصر القصصية الأخرى، فالنص القرآني يركز في بناء القصة على الالتفات إلى الشخصيات؛ لتكون محورًا رئيسياً.

أما عن سبب اختيار سورة غافر؛ لتكون موضوعاً للتطبيق عليها؛ فلأنها تشتمل على ملامح عدد من الشخصيات الإيجابية وسماتها المتنوعة: ما بين شخصيات بشرية من أنبياء ورسل ورجال صالحين، وشخصيات غير بشرية من ملائكة كرام.

اقتضت طبيعة الدراسة أن تحتكم إلى المنهج الوصفي التحليلي، إذ إن رصد أساليب الخطاب القرآني في تقديم الشخصيات إلى المتلقي، والوقوف أيضا على أدوات بنائها وتصنيفها، وبيان التقنيات التي وظفت في رسم الشخصيات، وكذلك إبراز السمات والملامح والأبعاد الفنية التي اصطبغت بها؛ كل ذلك حّتم على الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنه أنسب الأساليب لمثل هذا النوع من الدراسات النقدية.

أجريت العديد من الدراسات العلمية حول الشخصية الإيجابية في القصة القرآنية، وقد اشتملت على شذرات تناولت عددا من المعالم الإيجابية في شخصيات بعض الأنبياء والدعاة مثل: دراسة عبد الرحيم الشريف بعنوان: معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم[5]، ودراسة مصطفى عليان بعنوان: بناء الشخصية في القصة القرآنية [6]، ودراسة رياض قاسم بعنوان الداعية الإيجابي في ضوء القرآن الكريم [7].

بيد أن الباحث لم يعثر– وفق علمه – على دراسة قرآنية علمية محكمة تختص بالشخصية الإيجابية في سورة غافر، وعليه رأى أن

يتناول هذا الموضوع بالبحث والدراسة. وقد أفادت الدراسة من تلك الدراسات السابقة في تعرف المعالم الإيجابية للأنبياء والدعاة، ولكنَّ الدراسة الحالية تختلف عنها في كونها تتسم بالشمولية والتنوع، فقد تناولت ملامح شخصيات الأنبياء، وشخصيات الدعاة الصالحين من غير الأنبياء، وقاربت ملامح شخصيات غير بشرية مثل الملائكة.

وتحقيقاً لأهداف الدراسة وغاياتها، فقد اشتملت الخطة التي انتهجتها الدراسة، على مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس للمصادر والمراجع، وذلك على النحو الآتي:

وزعت الدراسة على أربعة مباحث هي: المبحث الأول: الملامح الإيجابية لشخصية موسى – عليه السلام– والمبحث الثاني: الملامح الإيجابية لشخصية مؤمن آل فرعون، والمبحث الثالث: الملامح الإيجابية لشخصية محمد – عليه الصلاة السلام –، والمبحث الرابع: الملامح الإيجابية لشخصية الملائكة الكرام.

أما الخاتمة، فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات تبعها قائمة بالمصادر والمراجع.

تعريف الشخصية الإيجابية:

هي الشخصية التي تبتعد عن السلوكيات السلبية مثل: الكذب والغيبة والنميمة، وتتميز بالصدق كالأمانة، وحب الخير للناس: كالعطاء والكرم، والانتماء لله –سبحان وتعالى–، والتطبع بأخلاق الرسل والأنبياء والصالحين: كالتسامح والعفو، وهي الشخصية الصالحة المصلحة الخيرة، المدركة المقبولة عند الرحمن – تعالى شأنه– والمحبوبة عند الانسان[8].

أبعاد رسم الشخصية الإيجابية في سورة غافر:

إن رسم الشخصيات القصصية وتصويرها عملية ليست هينة سهلة، لذا يلجأ الكاتب إلى وسائل وأدوات لرسم شخصياته بدقة وعناية منها تصوير الشخصية من خلال سلوكها وتصرفاتها بلمسات خفيفة في أثناء السرد والحوار والصياغة الفنية. ومن مجموع هذه اللمسات الدقيقة يتبين للمتلقي الأبعاد الأربعة لرسم الشخصية وهي[9]:

البعد الخارجي المادي: ويراد به البعد الجسمي الجسدي، والملامح والقسمات، مثل: طول الشخصية، ولونها، وزيها، وملامح وجهها، وحركة العينين.

وحين يرسم الكاتب الملامح المادية للشخصية، فإنه يرمي إلى دلالات اجتماعية أو اقتصادية من وراء هذا الرسم [10]، كما أن القوة الجسدية تسند الحق، وتحقق العدل بعيداً عن الظلم، فضلاً عن أن لهذا البعد تأثيراً عميقاً في نفس المتلقي وأفكاره إلى الدرجة التي تجعله يؤمن بأنه يساعده على طاعة الله، والدعوة إليه.

البعد النفسي: ويقصد به اللوحة النفسية للشخصيات أو ما يدور في أعماقها من مشاعر وانفعالات وتكشف ملامحها النفسية إن كانت قلقة متوترة، أو مطمئنة هادئة مستقرة، إيجابية متفائلة أو شريرة سالبة، متشائمة.

البعد الفكري: ويراد به الانتماء الفكري للشخصية أو عقيدتها الدينية، وهو ما يؤثر في سلوكها وتصرفاتها ورؤيتها ومواقفها من قضايا عديدة.

البعد الاجتماعي: ويعني انتماء الشخصية إلى فئة معينة أو طبقة اجتماعية، ولهذا البعد صلة قوية بالقيم السائدة في المجتمع، وبصورة النظام السياسي والاقتصادي فيه.

ويهتم البعد الاجتماعي بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها والوسط الذي تتحرك فيه.

إن هذه الأبعاد هي أساس البناء الفني لرسم الشخصية، ويرجع هذا الاهتمام إلى مدى وجود الشخصية داخل النص وتحركها تبعاً للعلاقات التي تربطها بالشخصيات الأخرى، وتميزها عن بعضها.

يقوم رسم شخصية ما أساساً على فهم هذه الشخصية وقدرتها على أداء تصرفاتها في ظروف محددة ومعينة[11]، والكشف عن هذه الملامح له دوره الفاعل في تحبيب هذه الشخصيات إلى المتلقين، أو تعميق أثرها في نفوسهم.

فمع وضوح الملامح والقسمات تتهيأ في النفس أرضية القبول أو الرفض، هذه الأرضية هي التي تشكل العامل الأساسي في رسم معالم هذه الشخصيات. إن تكرار ملامح الشخصيات في سورة غافر يفضي إلى انطباع معالم هذه الشخصية في ذهن المتلقي انطباعا قويا لا ينفك عنه، هذه الانطباعات تصل إلى حد تكوين صورة مكتملة المعالم والملامح عن شخصيته.

إن دراسة الملامح الإيجابية للشخصية في هذه السورة تحصل من خلال تحليل هذه الشخصيات إلى عناصرها الأولية التي بناها النص القرآني، وهي: تأثير البيئة عليها وذكاؤها وثقافتها وطباعها ومزاجها وقيمها إلخ...، ثم الكشف عن تأثير هذه العناصر في سلوك هذه الشخصية من خلال دوافعها وغاياتها ووسائلها.

والقصة القرآنية معلم بارز من معالم القرآن الكريم، وتُعرَّف بأنها "كل خبر موجود بين دفتي المصحف أخبر به الله تعالى رسوله محمداً بحوادث الماضي، بقصد العبرة والهداية، سواء أكان ذلك بين الرسل وأقوامهم، أم بين الأمم السابقة أفراداً وجماعات"[12]. وهي ترمي لتوضيح الحقائق، وإزالة الشبهات، وحياة الأنبياء والرسل هي محور القصص القرآني، وهم موضع القدوة والأسوة.

أما فيما يتعلق بتصنيف الشخصية، فهناك تصنيفات عدة للشخصية في القصة القرآنية: منها ما يركز على وظيفة الشخصية ودورها في النص القرآني، وعلاقتها الشكلية الخالصة بالشخصيات الأخرى، فقسمت بذلك إلى شخصيات رئيسة وشخصيات ثانوية، ومنها ما يعنى بجانب التطور والثبوت في التفكير والسلوك والأحداث، فقسمت بذلك إلى شخصيات نامية متطورة تنمو وتتطور، وشخصيات ثابتة لا تتطور ولا تتغير[13]، ومنها ما يستند في تصنيفه إلى العقيدة الإسلامية، إذ قسمت الشخصيات إلى شخصيات إيجابية مؤمنة خيرة سوية، وأخرى شخصيات سلبية كافرة شريرة.

وتأسيسًا على ما سبق، فقد صنفت الشخصيات في سورة غافر إلى شخصيات إيجابية، وأخرى سلبية، وهذا التصنيف يعد أقرب التصنيفات لطبيعة الشخصيات في سورة غافر. فالشخصية إيجابية حسب سلوكها وتصرفاتها، ومدى توافقها مع وجودها الكبير داخل القصة القرآنية.

لم تحاول الدراسة أن تتبنى هذا التصنيف لذاته؛ وإنما عنيت

بتلك الشخصيات؛ بوصفها نماذج بشرية للتأسي، والاقتداء بها إن كانت خيرة، أو التنفير منها إن كانت شريرة. فضلاً عن بناء النموذج المتكامل لأي مؤمن يحتذي به في حياته.

وستقصر الدراسة على تحليل ملامح الشخصيات الإيجابية، وسماتها دون أن تدرس الشخصيات السلبية غير السوية، مع عدم إغفال الشخصيات السلبية عندما يحتاج الأمر إلى معالجة جوانب من الشخصية الإيجابية.

طرق رسم الشخصية:

يُرجع بعض الدارسين روعة الفن الروائي وقوته إلى مقدرة الكاتب على رسم الشخصيات؛ [14] وعليه، فقد عني الكتاب بطرق رسم الشخصيات في رواياتهم عناية فائقة؛ لما لها من دور مركزي ورئيس في العملية السردية، ومن الطرق الشائعة في رسم شخصيات القصة القرآنية ثلاثة طرق هي: الحوار، واللغة والمخبر، وسيجري تناولها على النحو الآتي:

أ. الحوار:

يُؤدي الحوار دوراً مهماً في البناء العام للعمل القصصي؛ بوصفه الركن الأساس الذي يرتكز عليه الأسلوب الدرامي في رسم الشخصية الروائية، وهو من أقدر الأساليب في إقناع القارئ بأن شخصيات العمل الفني نابضة بالحياة، وهو– أيضا– أكثرها إثارةً لاهتمام القارئ وجلباً لاستمتاعه. تُرسم الشخصية عادة بوساطة الشخصية نفسها، أو بوساطة شخصية أو شخصيات أخرى.

والحوار ضربان: خارجي وداخلي، أما الأول، فهو حديث الشخصية مع غيرها من الشخصيات، بحيث يكون الصوت مسموعاً للطرف الآخر، وأما الحوار الداخلي، فهو حديث الشخصية مع نفسها مع عدم اطلاع الآخرين على ما تفكر فيه.

ويتعين توافر شروط فنية للحوار الناجح منها: أن يكون طيعاً سلساً رشيقاً بعيداً عن التكلف والتنميق، مناسباً للشخصية والموقف، فضلاً عن احتوائه على طاقات تمثيلية، واختيارٍ واعٍ للمفردات والصور والأفكار.

ويسهم الحوار، بوصفه طريقاً من طرق رسم الشخصية القصصية من خلال قدرته على تجسيد صفات الشخصية الفكرية والنفسية والسلوكية.

فالحوار أداة طيعة في رسم الشخصيات، والكشف عن طبيعتها وموقفها، فضلاً عن الأحداث وتطويرها. يعد رسم الشخصيات من أبرز وظائف الحوار ومهامه الأساسية والحية [15].

استخدمت الشخصيات القرآنية في سورة غافر الحوار الخارجي، وكانت وظيفته الإقناع والحجاج العقلي. يقول مؤمن آل فرعون في محاولته إقناع قومه: قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ× مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ**﴾، (غافر: 30، 31).

ب. اللغة:

يقصد باللغة هنا لغة الشخصية نفسها، إذ تشكل اللغة طريقاً جوهرياً في رسم الشخصية، فالكاتب يصف عن طريق اللغة ملامح الشخصية وأبعادها، ولا تُرسم الشخصية عن طريق السرد أو الوصف الجاف غير المقنع؛ وإنما يلجأ إلى اللغة التصويرية الموحية: مفردات وتراكيب، والتي تكون أكثر امتاعاً وحيوية.

وظفت الشخصياتُ القصصية في سورة غافر الكريمة عنصر اللغة في التعبير عن أحاسيسها وانفعالاتها وفكرها العقدي، وانتقت الألفاظ والتراكيب الموحية المعبرة، واختارت الأساليبَ: الخبرية والإنشائية على حد سواء.

ترتبط لغة الشخصية بأفكارها ونفسيتها، فقد تواترت على لسان مؤمن آل فرعون ألفاظ وعبارات تدل على الطابع المؤمن الذي يعكس صفة الإخلاص وحبه الصادق لأبناء قومه، ورغبته الجامحة في نجاتهم من العذاب في قوله محذرا قومه : ﴿**يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض، فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا**﴾ (غافر :7).

ت. المخبر:

وكلمة المخبر في القصة القرآنية تناظر كلمة السارد في الشخصية الروائية، فإلى جانب اعتماد الرواية في رسم شخصياتها على الحوار واللغة، يشكل المخبر (السارد) إحدى الطرق المهمة في رسم الشخصية وتقديمها على مسرح الأحداث.

والمخبر في القصة القرآنية هو السارد الموضوعي الذي يمتلك معرفة كاملة ومطلقة عن الأحداث والشخصيات. ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾(غافر:23 ،24).

يؤكد السارد الكلي العليم رسالةَ موسى–عليه السلام – إلى فرعون وملئه، وأنها من **الله** –سبحانه وتعالى– من خلال (نا) المتكلمين المتصلة بالفعل (أرسل) التي جاءت؛ لتعظيم شأنه، وتفخيم مكانته، إذ يعرف هذا السارد معرفة وثيقة الجهود التي بذلها ذلك الرسول لقومه في سبيل تحقيق الرسالة على أكمل وجه وأفضله.

ويكون المخبر–عادة –خارج القصة، فهو يَظهَر واصفاً سلوكها، مفسراً أفعالها وحركتها، ويظهر ظهوراً مباشراً، ذاكراً الحقائق والأحداث والمعلومات بعيداً عن الطابع الوجداني. فهو مخبر محايد، مصاحب للشخصيات الأخرى.

وأحيانا يبدأ السرد القرآني بالفعل الماضي (قال) مسند إلى المذكر المفرد نحو قوله تعالى: ﴿**وقال فرعون**﴾، ﴿**وقال موسى**﴾، ﴿**وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه**﴾.

وهذا يدل على الأمانة والصدق في نقل أقوال الشخصيات وحوارها.

والمخبر في سورة غافر هو النص القرآني، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿**وقال فرعون**﴾، ﴿**وقال موسى**﴾، ﴿**وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه**﴾.

وقد يفسح النص القرآني المجال للشخصية؛ لتفصح عن نفسها بدون وصاية أو توجه من أحد، عن طريق التخاطب مع الشخصيات الأخرى، وهنا يقع على المتلقي عبء استنتاج صفات تلك الشخصية وسماتها، ومثال ذلك ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون محذرا قومه ومنذرهم في قوله تعالى: ﴿ ... **فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ،**

﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(غافر: 43 ، 44).

يستشف المتلقي من النص القرآني السابق جملة من الصفات الإيجابية التي تتصف بها شخصية هذا الداعية منها: الإخلاص والأمانة والصدق والتفاني في النصح والإرشاد والإيمان العميق برسالته. والتوكل على الله.

وفي أحايين أخرى تجمع السردية القرآنية في النص القرآني الواحد بين السارد الموضوعي والسارد الذاتي. وعندها يزداد دور المخبر أهمية في البناء العام للعمل الفني.

ففي إحدى الآيات الكريمة في سورة غافر ينقل المولى – تبارك وتعالى– قول مؤمن آل فرعون في نصح قومه: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ (غافر: 38).

المتأمل في دور هذه الطرق في رسم الشخصية، يكتشف أنها تمنح المبدع مرونة في التعبير، ومجالاً فسيحاً في اختيار الطريقة المناسبة في التعامل مع الشخصيات. وستجري مقاربة مباحث الدراسة على النحو الآتي:

المبحث الأول: شخصية موسى-عليه السلام-

تعد شخصية موسى –عليه السلام–من أكثر الشخصيات وروداً وحضوراً في القصص القرآني؛ لكونها تمثل أنموذجاً ناجحاً لتجسيد الصراع المحتدم بين الخير والشر، فموسى – عليه السلام– قمة الخير، وفرعون في المقابلة ذروة الشر، وقد أخذت قصةّ موسى حيزاً واسعاً بين قصص القرآن الكريم، فقد ورد ذكر اسم موسى – عليه السلام– في سورة غافر الكريمة في خمس آياتٍ

إن مهمة الرسول النبي موسى–عليه السلام–لم تكن مهمة سهلة ميسرة؛ وإنما كانت مهمة شاقة وصعبة، وهي مهمة مزدوجة، إذ أرسل إلى فرعون الطاغية وملأه، وفي الوقت نفسه أرسل إلى قومه من بني إسرائيل.

1. موسى –عليه السلام –الرسول الداعية إلى فرعون وملئه:

ترصد سورة غافر الكريمة مشاهد الحلقة الثانية والأخيرة من حلقات المواجهة والجدل والحوار بين فرعون موسى – عليه السلام –؛ وذلك قبل الخروج الأخير لبني إسرائيل إلى الأرض المقدسة.

فقد دارت الحلقة الأولى حول الدعوة ومواجهة فرعون وهزيمته وسحرته أمام معجزة عصا موسى، وفي الحلقة الثانية تبدأ المؤامرة على موسى، وفيها يعتزم فرعون قتله، ويهدده بذلك أمام الملأ، وعندها يستجير موسى –عليه السلام–بربه الركن الركين، ويفوض أمره له، ويظهر مؤمن آل فرعون ينافح عنه–، يريد أبعاد الخطر عنه بلطف، ويثبت عقم فكرة قتل موسى– عليه السلام؛ الأمر الذي أدى إلى نجاته من الغرق، بينما يغرق فرعون وقومه، وينجو موسى – عليه السلام –وبنو إسرائيل.

تعددت ملامح شخصية موسى – عليه السلام –وتنوعت قسماتها في سورة غافر، وفيما يأتي أبرز صفات شخصيته، كما عبرت عنها النصوص القرآنية في سورة غافر الكريمة.

رسمت النصوص القرآنية معالم شخصيته ببراعة ومهارة وإتقان، إذ تجلت ملامحها وصفاتها وقسماتها وخصائصها الخاصة بها، بحيث تتميز عن خصائص الشخصيات الأخرى وملامحها، ذلك «أن للألفاظ كما للعبارات ظلالاً خاصة يلحظها الحس البصير حين يوجه إليها انتباهه، وحينما يستدعي صورة مدلولها الحسية» [16] .

فملامح شخصية موسى –عليه السلام–في سورة غافر تفترق عنها في سور القرآن الأخرى، إذ إن سورة غافر تعرض حلقة من حلقات الحوار بين فرعون وموسى–عليه السلام–، ويجد المتلقي أن السورة تزيد في هذا الحوار قول فرعون: ﴿**ذروني أقتل موسى، وليدع ربه**﴾ (فاطر:26)، فهذه الآية لم ترد في غير هذا الموضع.

وتشتمل هذه الملامح على عدد من الصفات التي تتسم بها شخصية موسى –عليه السلام – والتي منها:

أولاً ـ الصفات الفكرية العقدية:

تجلت جملة من السمات والصفات الفكرية العقدية في شخصية موسى – عليه السلام–يمكن رصدها على النحو الآتي:

أ. العبودية لله وحده:

تعد صفة العبودية لله صفة أساسية في بناء شخصية الأنبياء والمرسلين، وهي من أَجَلّ الصفات التي نعتهم الله بها، ومنها يستمدون القوة والثبات على الحق. والقدرة على تحقق انضباط السلوك.

فقد أرسل الله موسى – عليه السلام –نبياً ورسولاً إلى فرعون وملئه، وكانت رسالته السماوية تتلخص في دعوة فرعون وقومه إلى الإيمان بالله، ونبذ تأليه فرعون وآلهته المزعومة، وإفراد الله بالعبادة، والإيمان برسالة موسى– عليه السلام –، وأنها من الله، وكف الأذى عن بني إسرائيل باستعبادهم، وضرورة إعطائهم الحرية.

كان فرعون وقومه عند نزول كل بلاء بهم يستجيرون بموسى– عليه السلام – لكي يدعو ربه؛ ليكشف عنهم العذاب[17] فيدعو نبي الله ربه، فيستجيب دعاءه، ويكشف عنهم العذاب، وعندما يعرض على فرعون أن يسمح له بالخروج ببني إسرائيل، تجده ينكث بالعهد ويرفض.

ومع كل ما قدّمه موسى– عليه السلام – من دلائل على وحدانيّة الله، فقد أنكر فرعون دعوته، وازداد هو وقومه إعراضاً واستكبارًا في الأرض، فاتّهم موسى – عليه السلام – بالسحر والجنون، ولم يبق أمامه إلا التخلّص من نبي الله، وأقربُ طريق لتحقيق هذا هو قتل موسى –عليه السّلام– .

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا: سَاحِرٌ كَذَّابٌ**﴾ (غافر:23، 24).

تجلت مظاهر الإعجاز البلاغي في التعبير القرآني الذي صوّر بدقة وعناية ملامح شخصية موسى– عليه السلام–، ورسم أبعادها وخطوطها على النحو الآتي:

بدأت الآيتان بذكر عدد من عناصر توكيد التعبير القرآني منها: « اللام» الموطئة لجواب القسم، ومنها: استخدام حرف «قد» الذي يفيد تحقيق الفعل وتأكيده، ومنها: إسناد فعل الإرسال إلى الله وحده دون غيره. وقد جاءت عناصر التوكيد الثلاثة؛ لتكونَ قاطعةً لكل ريب وشك؛ ولتشكل عازلا عن أن يجادل فيها الكافرون الذين

حاولوا حجب الحقيقة ودفن الحق والصواب، وتغطيته.

لقد أقسم المولى – عز وجل – على أن موسى – عليه السلام – إنما هو رسول ونبي بعثه الله بالبيات إلى فرعون وملئه، وليس ساحراً وكذاباً، كما ادعي مَنْ يجادل في آيات الله ويجحدها من قوم فرعون الكفرة.

ويدل لفظ «ولقد» من ناحية أخرى إلى ارتباط أحداث قصة موسى – عليه السلام– في هذه السورة بما قبلها. إذ مهدت حلقات سابقة لهذه الحلقة، وكان ذلك التمهيد المَعْبَر الحقيقي إلى رسم ملامح شخصية موسى–عليه السلام–، وربطها بالجو العام للسورة، يقول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ (غافر:21).

تعد هذه الآيات تمهيداً مكثفاً لمعرفة تفاصيل ملامح شخصية موسى –عليه السلام–؛ بوصفه النبي صاحب الرسالة السماوية النبيلة، وتعد هذه الطريقة في عرض معالم شخصية موسى – عليه السلام – من الخصائص الفنية التي تفردت بها القصة القرآنية[18]، وهي تسهم في تحقيق عنصر التشويق إلى معرفة ملامح شخصية البطل. ويجيء تصدير النص القرآني بحرف التأكيد «لقد»؛ للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده مراعاة للمقام، وتحقيقاً للاهتمام[19].

ويرد ابتداء الآية بلفظ «لقد أرسلنا» المقرون باللام الموطئة لجواب القسم؛ لإفادة التحقيق؛ لأن الخبر يساق للمتكبرين من أجل تحقيق العبرة والعظة، وهذه الصفة مع ذكر الرسل في القرآن الكريم فيها إيحاء برفيع مكانة هؤلاء الرسل، وما لهم من قدر عظيم[20].

ويرد إسناد الفعل (أرسل) إلى نون العظمة إلى أن مصدر الرسلات جميعاً هو الله تعالى، فالدعوة واحدة، ومصدرها واحد، ويجيء اختيار الفعل (أرسلنا) أي: إرسال الله موسى–عليه السلام– إلى فرعون، وهامان، وقارون اختياراً دقيقاً؛ ليوحي بدلالات ومعان غنية، فقد ذكرهم الله مرتبين، فرعون الملك، وهامان الوزير، وقارون صاحب الأموال، وهم جميعاً مدار التدبير في عداوة موسى– عليه السلام–؛ ولأنهم رءوس الشرك والكفر الذين جادلوا في رسالة موسى– عليه السلام، وكفروا به وكذبوه، وتآمروا على قتله[21].

أسهم التعبير القرآني في إبراز صورة موسى الرسول المرسل من عند الله في جلاء ووضوح.

أما إسناد مفردة (آيات) إلى ضمير الجمع (نا)، فإنه يشي بالقدرة الإلهية، وتؤكد أنها صورة من تأييد الله لنبيه موسى–عليه السلام–بالمعجزات المادية، وهي آيات كونية، إضافة إلى التوراة والصحف، وكل آية من هذه الآيات تكفي لإيمان البشر بعامة إلى يوم القيامة. وفي ذكر لفظة (آياتنا) تعريض بالمشركين الذين يجادلون في هذه الآيات الواضحة التي لا يجوز الجدال فيها، فهي صادقة لا شك فيها ولا مراء.

امتازت شخصية موسى الرسول– عليه السلام – برعاية الله وحفظه، فقد أيده الله بالمعجزات الكونية؛ لتكون أداة إقناع لأهل مصر بصحة رسالته، وأنها من عند الله.

يشير هذا النص القرآني إلى صفة جلية من صفات الرسل، وهي أن الله معهم، يزودهم بالمعجزات؛ لتكون دليلاً صادقا على رسالتهم. وتعينهم على تأديتها على الوجه الأكمل.

إن تحليل القيم التعبيرية والتصويرية والفنية في النص القرآني السابق، يساعد بلا شك المتلقي في التعرف إلى الملامح الإيجابية العامة للشخصيات القرآنية وطرق رسمها.

ولم تكن مهمة الرسول الحريص على تبليغ دعوة الله هينة سهلة؛ وإنما كانت مهمة صعبة قاسية، إذ لاقى تحديات فرعون وجبروته وغطرسته، فقد أُرسل إلى أكبر طاغية متكبر في ذلك الزمان، أُرسل إلى قوم فرعون الذين هم أكثر الأمم طغياناً وجبروتاً وتكبراً، فقد كذبوا رسالته، واتهموه بالسحر والكذب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾(غافر: 23، 24).

تتجلى دقة اختيار التعبير القرآني للألفاظ فيما يأتي:

- **سُلْطَانٍ**: السلطان هنا يعني الرسالة والنبوة، وقد يقصد به البراهين والحجج الساطعة، ومنها اليد والعصا. وقيل التوراة.
- **ساحرٌ**: فيما أظهر من معجزتي: العصا واليد، وتنكيرُ لفظ «ساحر» إشارة إلى أن هذه حرفته، مما يظهر شدة إنكارهم ورفضهم لما جاء به.
- **كذّابٌ**: صيغة مبالغة، جاءت للتعظيم والتكثير، فيما ادّعى أنه رسول من عند الله.
- **فَقَالُوا**: سَاحِرٌ كَذَّابٌ: تركيب فيه إيجاز حذف، والتقدير: هذا ساحر، والغرض البلاغي منه هو الإشارة إلى استخفافهم، وقلة اعتدادهم به [22].

أدى التعبير القرآني المتمثل في اختيار الألفاظ الموحية وانتقائها، والتي تحمل شحنات دلالية وسياقية غنية إلى تصوير ما يكنه فرعون وملؤه من حقد وبغض لموسى – عليه السلام – ولدينه الجديد، وقد حاولوا تشويه صورته أمام قومه، وقد أسهم هذا التعبير إسهاماً كبيراً في إبراز معالم شخصية موسى – عليه السلام – من خلال حركتها وسلوكها وحوارها.

2. الداعية إلى قومه من بني إسرائيل.

كانت رسالة موسى عليه السلام رسالة مزدوجة أي: أرسله الله إلى فرعون وملئه من ناحية، وإلى بني إسرائيل من ناحية أخرى، يقول المولى عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(غافر: 53، 54).

أخبر الله – عز وجل– أنه أرسل موسى – عليه السلام – إلى بني إسرائيل، وأن موسى– عليه السلام – أوتي الهدى والبيان، وأنه أورث قومه التوراة وعلمها، وكان ذلك هدى وبياناً لأمور دينهم، وتذكرة لذوي العقول الراجحة، وفي هذا بيان لنعمة الله ومنته على بني إسرائيل.

ت. الاستعاذة بالله، والتوكل عليه:

كشفت شخصية موسى – عليه السلام – عن نفس مؤمنة مستسلمة تعتمد في إيمانها على الاستعاذة بالله والتوكل عليه، ذلك أنه حين أخفق فرعون الطاغية في ثني موسى – عليه السلام – عن رسالته السماوية توعده بالقتل، وهدده هو وأبناء الذين آمنوا معه، واتخاذ نساء المؤمنين من بني إسرائيل خادمات، من أجل إذلالهم

وكفهم عن تأييد موسى – عليه السلام – ونصرته. يقول المولى عز وجل على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى، وَلْيَدْعُ رَبَّهُ، إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(غافر: 26).

لم يَخَفْ موسى– عليه السلام –من تهديد فرعون له بالقتل، ولم يفزع؛ لثقته بأن الله ناصره، وأن فرعون بكل جبروته لن يقدر عليه، بناء على حماية الله له، والوقوف معه، ونصرته، يقول تعالى: ﴿يَا موسى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل : 10)، وقوله تعالى مخاطبا موسى وأخاه هارون– عليهما السلام–: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: 46). وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشورى: 63).

ينفتح المشهد على فرعون الطاغية وهو يهدد ويتوعد موسى – عليه السلام –بالقتل، وهو يتفلت أمام أتباعه الذين يحاولون كفه، وثنيه، ومنعه، من ارتكاب تلك الجريمة البشعة، وتعلو نبرة صوته مهدداً، ومتوعداً، وساخراً متهكماً من موسى– عليه السلام – وربه.

ويبدو أن ما قام به فرعون اللعين لا يعدو كونه لوناً من ألوان التمويه والإيهام والخداع والمواربة، فهو لا ينوي حقيقة قتل موسى– عليه السلام –، لأنه يخاف في داخله من رب موسى– عليه السلام – أن ينتقم منه ويهلكه؛ لأنه إذا قتله أدخل على الناس شبهة، جعلهم يعتقدون أنه عجز عن معارضته بالحجة، وعدل إلى المقارعة بالسيف[23]، فهل يعقل أن يقول حاكم طاغية مثل فرعون لحاشيته:» (اسمحوا لي أن أقتل المخالفين لي، الواقفين ضدي)؛ لأن الطاغية يفعل هذه الأفعال حتى لو خالفه أتباعه وحاشيته؛ وضعفه جاء من أنه رأى كثيراً من أتباعه، وأهمهم السحرة قد آمنوا بموسى – عليه السلام – وهو وأتباعه لم يكن له حجة إلا المكابرة والمغالطة[24].

يعكس النظم القرآني في الآية الكريمة السابقة الصورة النفسية المضطربة ألوانها والتي كان يعانيها فرعون، إذ يعود إلى قومه، ويبين لهم تعليل عزمة على قتل موسى– عليه السلام – بقوله: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾(غافر: 26)، وقد أضفت الصورة النفسية التي رسَمها التعبير القرآني السابق على النص القرآني جمالاً أخاذاً وبعداً فنياً رائعاً.

وليدع ربه: أن فرعون لما قال: «وليدع ربه»، قال ذلك على سبيل الاستهزاء بقوة الخصم والتحدي، وإظهاره عدم المبالاة بدعائه، ولكنه أوجد لنفسه مسوغات لقتل موسى، والتي مفادها الخوف من دين قوم فرعون، ونشر الفساد في الأرض.

ث. الثقة بقدرة الله ووحدانيته:

ولما تناهي إلى مسمع موسى– عليه السلام – تهديد فرعون ردَّ عليه قائلاً : ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾(غافر:27)، لجأ إلى الله مولاه؛ ليقيه شر فرعون وقومه وبطشهم وقوتهم وجبروتهم وتقبلهم في البلاد. والمعنى: إن الذي ذكرته يا فرعون، بطريق الاستهزاء هو الدين المبين، والحق المنير، وأنا أدعو ربي، وأطلب منه أن يدفع شرك عني، وسترى أن ربي كيف يقهرك، وكيف يسلطني عليك؟[25].

يصور جواب موسى –عليه السلام –ملمحاً بارزاً من ملامح شخصية موسى–عليه السلام – التي تتمحور حول الثقة بقدرة الله ووحدانيته، وقد تحلى فيه بالحكمة والاتزان، ويلحظ المتلقي أن موسى – عليه السلام – لم يزدْ في رده على فرعون الطاغية على أن لجأ إلى الله، الركن الركين والحصن الحصين، استعاذ بما لا شك في أن الله – سبحانه وتعالى– سيعوذه، وأنه على يقين تام من ذلك.

توسل التعبير القرآني البلاغة القرآنية في رسم ملامح شخصية موسى–عليه السلام –، جوانب الإعجاز البلاغي التي تجلت في رد موسى – عليه السلام – على فرعون الطاغية [26]:

إنِّي: صدرت الآية الكريمة بحرف التأكيد إن للإشعار والدلالة على أن الطريق المؤكد والمفيد لدفع الضرر والشر هو طريق الاستجابة والاستعانة بالله والتوكل على عصمة الله – سبحانه وتعالى–[27] .

عذت: في هذا الفعل إشعار بأن الاستعانة بالله تصون الإنسان من كل شر ومن شياطين الجن والأنس، وتقيه من الآفات والمخالفات.

بربي وربكم: خُصَّ اسم الرب هنا؛ لأنه هو المطلوب وهو المربي، والركن الركين، والحصن الحصين، الذي يحمي اللائذين به، ويجير المستجيرين. وعطف كلمة «وربكم»؛ احتراساً لكي لا يظن أنه يريد فرعون بقوله « ربي»؛ لأنه رباه صغيراً؛ وليوحي بحث قوم موسى– عليه السلام – على الاقتداء به، فيعوذوا بالله مثله، ويعتصموا بالتوكل عليه[28].

من كل متكبر: لم يذكر فرعون مباشرة؛ وإنما ذكر وصفاً يعمه وغيره من الجبابرة، وترك التصريح بفرعون؛ ليشمل هذا الوصف فرعون وغيره من الجبابرة، على سبيل التعميم، فتكون الاستعاذة عامة، واستخدام النظم القرآني تقنية التعريض؛ لتكون أبلغ في التأثير في المتلقين[29].

لا يؤمن بيوم الحساب: تشي هذه العبارة بجرأة فرعون اللعين على إيذاء الناس ومبعثها أمران: أحدهما كون الإنسان متكبراً، قاسي القلب، والآخر: كونه منكراً للبعث والقيامة، وقد اتصف فرعون وأمثاله بالأمرين معا [30].

ج. الاصطفاء للرسالة والنبوة:

لعل أهم ما وُصف به موسى–عليه السلام –وأرفعه في كتاب الله تعالى تلك الصفات والمكرمات التي منحها الله لنبيه من خلال آيات القرآن الكريم، وصفه بصفة الاصطفاء والاختيار التي تليق بمنزلة رسول كريم اختاره الله تعالى واصطفاه، وهذا لون من ألوان التكريم الرباني لموسى–عليه السلام–.

فالرسالة والنبوة اصطفاء إلهي، وقد جرت سنة الله في خلقة أن يصطفي من بين سائر خلقه أنبياء ورسلاً تتوافر فيهم صفات معينة مثل: الأمانة والصدق، والقوة، والأخلاق الحميدة، وتحمل المسئولية، والصبر وغيرها، فجاءت أقوالهم وأفعالهم ومعاملاتهم مع الناس ترجمة صادقة للقيم النبيلة، والمثل الرفيعة، قال تعالى عن موسى–عليه السلام– : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولا نَّبِيًّا﴾ (مريم: 51).

لقد اختيارُ الله موسى– عليه السلام – لمنزلة الرسالة والنبوة، وهي منزلة لا تماثلها منزلة، يصطفي الله لها من يشاء

ويختار، وقد جمع الله له الرسالة والاصطفاء في قوله عز من قائل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ هَامَانَ وَقَارُونَ﴾(غافر: 23 ، 24)، أي كان موسى–عليه السلام– رسولاً نبياً مختاراً مخلصاً، أو كان (مصطفىً) من عند الله، وكان من الرسل العظام، وأولي العزم الذين اصطفاهم الله على سائر الخلق والنبيين

وتجلى البعد العقدي بارزاً واضحاً في رسالة سيدنا موسى– عليه السلام –، إذ كان صاحب رسالة إنسانية في زمن حالك الظلمة، محفوف بالمخاطر، حيث كانت العقيدة هي القاعدة الفكرية التي بنيت عليها شخصيته.

بدت شخصية موسى–عليه السلام–متميزة بملامحها وخطوطها الواضحة، فكانت شخصية نموذجية للرسول الذي يثبت على رسالته، فلم يضره ظلم ولا ضيق، وكان مؤمناً برسالته أيَّما إيمان، مخلصاً في أدائها إخلاصاً تاماً وعميقاً.

ثانياً ـ الصفات النفسية:

وتشتمل هذه الملامح على جملة من الصفات منها:

الصبر على المصائب

يشكل الصبر على البلاء والمصائب، تحمل الأذى ملمحا بارزا من ملامح شخصية الرسول موسى – عليه السلام–

ومن أمثلة ما جاء متصلاً بالبعد النفسي، سمةُ الصبر على أذى فرعون وقومه، فلقد واجه من التحديات والمعارضات الكثير، ومنها التشكيك في رسالته، وتكذيبه، واتهامه بأنه ليس نبياً ولا رسولاً، ولكن موسى –عليه السلام–؛ بوصفه نبياً ورسولاً قابل التشكيك في رسالته، وتكذيب فرعون وملئه بالصبر والجلد، واستمر في دعوته إلى عبادة الله، وإفراده بالتوحيد، ونبذ غيره من الآلهة، على الرغم من المعجزات الظاهرات التي جاءهم بها من عند الله.

وعلى الرغم مما واجهه موسى الرسول النبي – عليه السلام – من تنكر فرعون وقومه وتكذيبه إياه، فإنه أدَّى رسالته التي كُلِّف بها على أحسن صورة وأتمها، وعلى أكمل وجه وأفضله، وقام بواجبه، وصبر على ظلم فرعون وجبروته، ودعا قومه إلى الصبر والامتثال لأوامر الله.

لقد كُتِبَ على هذا النبي أنْ يُبعث إلى فرعون وقومه، وهم أكثر أهل الأرض جبروتاً وطغياناً، وما أن بلَّغهم دعوته، حتى لاقى ما لاقى من السخرية والاستهزاء، إذ توعده فرعون بالسجن والقتل، ولكنَّ موسى عليه السلام صبر على هذا كله، ودعا قومه للاستعانة بالله والصبر على الشدائد؛ حتى يهديهم ويهلك عدوهم، يقول تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ، (الأعراف:7)

ويجد المتلقي أن جمهور المفسرين في تفسيـــرهم لقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، (الأحقاف :35)، يعدُّون موسى–عليه السلام– ضمن أصحاب العزم من الرسل الكرام؛ وذلك لصبره وثباته على دعوته؛ ولما لاقاه من فرعون والملأ من قومه.

ثالثاً ـ الصفات التربوية السلوكية:

ومن هذه الملامح والصفات ما يأتي:

التأدب مع العباد:

تتجلى جوانب من معالم شخصية موسى في رده على فرعون في تحلية بالأخلاق النبيلة، فلم يرد موسى– عليه السلام –على فرعون بمنطق المتكبر الطاغية؛ وإنما ردَّ عليه بمنطق النبي الرسول الذي رُبِّي على عين الله ورعايته، يقول تعالى: ﴿لِنَفْسِي﴾ (طه: 41)، لقد أجاب عليه بمنطق أخلاق أهل الحق، فلسانه يترفع عن ذكر الأشخاص إلى ذكر صفاتهم التي يكونون عليها.

جاء جواب موسى– عليه السلام – بطريقة تحمل الأدب الجمّ، والتربية الربانية، إنه ما زال يحفظ لفرعون معروفه في تربيته، حينما تربى في قصره، وعاش في كنفه، يقول تعالى على لسان فرعون: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا× وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ (الشعراء: 18)، لم يُوجِّه موسى– عليه السلام – إليه الردَّ مباشرة؛ وإنما جاء ردُّه على سبيل التعريض به، وهي سمة من سمات التعبير القرآني.

تعمد موسى –عليه السلام–في تعبيره القرآني أن يحمل كلامه صفة التعميم لكل متكبر في كل زمان ومكان، فالمُسْتَعَاذُ منه ليس شخص فرعون فحسب؛ وإنما هو كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، وفي هذا الأسلوب دعوة خفية إلى الله، وإلى ضرورة الإيمان بيوم الحساب، وهنا يتجلى في هذا الجانب من معالم شخصية موسى الإيجابية البعدُ الاجتماعيّ التربويّ، فموسى الذي تربى في القصر، لا يصدر عنه إلا الردّ الذي لا ينبو عن الخلق القويم، والأدب الجمّ(31).

التقابل بين صورتي موسى وفرعون:

استعان الخطاب القرآني في رسم ملامح شخصية موسى –عليه السلام – بمنهج التقابل القائم على التناقض، إذ تتقابل في سورة غافر شخصيتا فرعون وموسى–عليه السلام –، حيث ترمز شخصية فرعون في إطارها العام للشر والضلال والإفساد، وشخصية فرعون تعد من أبرز الشخصيات التي تسعى لهدم شخصية موسى – عليه السلام– والقضاء عليه، في حين ترمز شخصية موسى–عليه السلام– للخير والإيمان والهدى والصلاح، وهذا التقابل بين الصورتين يتماهى مع مقاصد السورة، ومحورها العام، ويعمق من معالم الشخصية وملامحها، ويزيدها تجلياً ووضوحاً.

وفي استطاعة المتلقي أن يستنتج ملامح شخصية النبي موسى– عليه السلام– وخطوطها الرئيسة من خلال أقوال فرعون وسلوكه، وردود أفعاله، فشخصية موسى –عليه السلام– من منظور فرعون هي شخصية إنسان ساحر، أي: يسحر الناس بما أظهر من المعجزات الخارقة مثل: العصا واليد، وهي –أيضاً– شخصية إنسان كذَّاب فيما ادعاه من الرسالة والنبوة، وأنه إنسان محط سخرية واستهزاء وتهكم من الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (غافر:26)، ويستمر فرعون الطاغية في السخرية والاستهزاء من موسى –عليه السلام– أمام الملأ من قومه، قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (غافر:36 ، 37).

وفي إطار إبراز حجج فرعون الباطلة غير المقنعة لقتل موسى–عليه السلام–فإنه يأخذ في اتهامه بشتى التهم الفاسدة، إنه يتهمه بأنه يسعى؛ لتغيير الدين الذي يُعْبَد بموجبه فرعون على

أساس إنه رب قومه الأعلى، وأن هدف موسى– عليه السلام– هو نشر الفساد في الأرض، وإثارة الفتن والقلاقل في ربوع البلاد، يقول تعالى على لسان الطاغية فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ× أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر:97).

وهذه هي الصورة التي رسمها فرعون اللعين لمعالم شخصية موسى–عليه السلام–إنما هي صورة زائفة غير حقيقة، وغير صادقة، منبعها الأساسي الحقد والكيد والتكبر والمكر الخبيث، فكان عاقبة هذا التدبير والمكر هلاك فرعون وملئه وخسرانهم في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ (غافر:36 ، 37).

ومن خلال تحليل شخصية موسى–عليه السلام–تحليلاً أدبياً وفق البعد النفسي يتبين للمتلقي أن هذه الشخصية تجمع المزيد من التقابلات.

ففي الوقت الذي تميزت به شخصية موسى–عليه السلام– بسرعة الغضب والعصبية والاندفاع والانفعال، فإنه تلقي تهديد فرعون له بالقتل بنفس مطمئنة هادئة، وقلب جريء، وردَّ عليه بحكمة بالغة، وتوكل على الله، وثقة في مساندة المولى له. وهذا يشي بإيمانه العميق برسالته السماوية.

وتثير شخصية موسى –عليه السلام–في سورة غافر قضية تكرار القصص في القرآن الكريم، فمن المعلوم أن ملامح شخصيته قد تكررت في غير سورة من سور القرآن الكريم، وقد جاء هذا التكرار؛ لخدمة أغراض دلالية وجمالية، فالقرآن الكريم يحرص على نقل معالم هذه الشخصية وأمثالها، بأساليب متباينة؛ حتى يتميز بطابعه الفريد، وصورته الباهرة. وهذا وجه من وجوه التحدي و الإعجاز فيه [32].

تبين مما سبق أن شخصية موسى–عليه السلام–الرسول النبي تميزت بسمات يمكن وصفها بأنها مفاتيح للولوج إلى عمق مدلول شخصية نموذجية على الصعيد الفني الأدبي.

المبحث الثاني: ملامح شخصية مؤمن آل فرعون:

قبل الكشف عن ملامح شخصية مؤمن آل فرعون الإيجابية يجدر بالدراسة بيان البواعث التي أدت إلى ظهور هذه الشخصية على مسرح الأحداث في قصة موسى– عليه السلام–مع فرعون؛ ذلك أنه بعد ما حدث في يوم الزينة من المعجزة، وإيمان السحرة برب موسى وهارون– عليهما السلام–، اجتمع الملأ في قصر فرعون، وارتقى الأخير عرشه، وهو يفور غضباً مما حدث، فصرخ بأعلى صوته: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ (غافر: 26).

كادت فكرة فرعون أن تحصل على التصديق لولا أن رجلاً من رجال الدولة الكبار من آل فرعون، تحدث في الاجتماع الذي طُرحت فيه فكرة قتل موسى– عليه السلام–، وأثبت عقم الفكرة وسطحيتها، ودافع عن رسالة النبي موسى – عليه السلام–، دون أن يشعر القوم بكونه من أصحابه؛ لأنه استخدم أسلوباً أظهر من خلاله الحيدة والموضوعية، فلم يشك أحد في إيمانه بموسى– عليه السلام– ورسالته، وقال: إن موسى – عليه السلام–لم يقُل أكثر من أنَّ الله ربه، وجاء بعد ذلك بالأدلة الواضحة على كونه نبياً مرسلاً[33].

أولاً ـ الصفات الفكرية العقدية:

تجلت في النصوص القرآنية في سورة غافر جملة من ملامح شخصية الرجل المؤمن من آل فرعون وسماته الإيجابية، ويتمثل ذلك في الآتي:

أ. الإيمان العميق بالله.

وعليه، يمكن رصد معالم شخصية مؤمن آل فرعون من النصوص القرآنية التي لم يرد ذكر لها إلا في سورة غافر، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ (غافر: 28).

تجلت في الآية الكريمة السابقة بعض ملامح شخصية الرجل المؤمن من آل فرعون وسماته الإيجابية، ويتمثل ذلك في أربعة معالم محورية هي:

الرجولة الحفة: «رجل»: جاءت مفردة «رجل» نكرة للتعظيم والتشويق والتنبيه، فهو رجل مكتمل الرجولة والشجاعة،

وجاء الوصف بالرجولة من المولى –عز وجل –ثناء عليه وتكريماً لإيمانه العميق، ولما كان الأسلوب القرآني في قصص سورة غافر أسلوباً واقعياً، فإنه لم يركز على الاسم والملامح الجسمية؛ وإنما جاء التركيز على المواقف والسير والحدث؛ لأن الذي يهم هو العبرة والاقتداء.

ويجد المتلقي في القرآن الكريم عدداً من الشخصيات التي استبدلت في سيرتهم الصفاتُ بالأسماء الحقيقية؛ لأن ذكر الأسماء يعد زيادة لا قيمة لها في البناء القصصي أو الغاية المقصودة [34].

وتشير بعض الروايات – حسب الرأي الأغلب –إلى أن مؤمن آل فرعون هو نفسه الرجل الذي عمل على حماية رسول الله موسى– عليه السلام–والحفاظ على حياته، حين نصحه بمغادرة المدينة، والخروج من مصر عندما اتخذ فرعون وقومه بتصفيته الجسدية (35)، يقول المولى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يسعى قَالَ يَا موسى إِنَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص : 20).

لقد حمل إيمان هذا الداعية وحبه لموسى – عليه السلام –وحرصه عليه أن يسلك طريقاً أقرب من الطريق الذي سلكه أتباع فرعون في طلبهم موسى–عليه السلام–، ولذلك سبقهم إليه، فوصفه الله –عز وجل– بالرجولية ثناءً عليه، ومدحاً لحرصه واجتهاده [36].

الإيمان العميق: (مؤمن) إذ شهد له المولى – عز وجل– بالإيمان، وهي شهادة لها قيمة وشرف كبير؛ ذلك أن إيمانه العميق هو الذي جعل منه شخصية إيجابية. ولعلّ تسمية سورة غافر بسورة «المؤمن» كان تكريماً له، وإشادةً بموقفه، ودعوة المؤمنين لاتباعه[37].

المكانة الرفيعة: من آل فرعون: اختلف المفسرون في اسم هذا الرجل، وذهبوا في ذلك مذاهب ما بين: (حبيب، زحبيس، حوتكة، خبرك، حزقيل، سمعان) [38]، وتشير الروايات إلى أنه ابن عم فرعون، أو ابن خاله، وكانت له مكانة في بلاط فرعون، وكان عضداً لفرعون، ووليا لعهده[39].

كتمان السر: يكتم إيمانه: أي: يتكتم على إيمانه بموسى –عليه

السلام–ورسالته، إنه يتصف بخصيصة سرية الإيمان وكتمانه، كتم إيمانه بالله ورسوله من أجل الحفاظ على الدين والذب عنه، ذلك إن (كتمان الإيمان هنا، ليس عن ضعف أو خوف، حتى يحمل إيمانه على أنه كان مجرد إعجاب بموسى، وميل إلى الطريق الذي هو عليه، فإن إيمان هذا المؤمن كان إيماناً راسخاً وثيقاً، قائماً على اقتناع بلغ مبلغ اليقين القاطع، وإنما كان كتمان هذا الإيمان عن سياسة حكيمة، وتدبير محكم. فالرجل لم يكن يريد الإيمان لنفسه وحسب، بل إنه كان يريد أن يكون داعية لفرعون وقومه جميعاً إلى الإيمان بالله. ولو أنه أعلن إيمانه، وجاء إلى فرعون يدعوه إلى أن يؤمن كما آمن هو، لما استمع فرعون إلى كلمة منه، ولأخذته العزّة بالإثم، وأبى عليه كبره وعناده، أن ينقاد لداعية يدعوه إلى أي أمر، ولو فتح له أبواب السماء) [40].

مثَّل مؤمن آل فرعون نموذجاً للمؤمن أمام الطاغية وطغيانه، ومثالاً يحتذى للداعية أمام المكذبين أعداء الدين، وإن اختلف الزمان، وتبدل المكان[41].

فقد رُوِيَ عن النبي الأكرم–عليه الصلاة والسلام– :(الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال: (يا قوم اتبعوا المرسلين). وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله»، وعلي بن أبي طالب)[42].

ب. الجرأةُ في قول الحق

ومن أوصاف البعد الفكري العقدي عند هذا المؤمن، الجرأةُ في قول الحق، والشجاعةُ في التعبير عما يراه صواباً، والدفاع عن الأنبياء والرسل، ويتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ (فاطر:28).

فهو نموذج المؤمن الشجاع أمام الطاغية وجبروته، إن غضبته لله تعالى قوية، وذلك حين سمع فرعون يقول مهدداً: «ذروني أقتل موسى»، وهذه الغضبة قاعدة عقدية لقوله – صلى الله عليه وآله وسلم– : عن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه– قال: (أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ أَوْ أَمِيرٍ جَائِرٍ) [43]، وقد جاءت كلمته رداً على أعتى طاغية في التاريخ، ووردت بصورة مبطنة غير مباشرة.

ويمكن التوفيق بين خوف مؤمن آل فرعون، وكتمانه لإيمانه، وجرأته في الإيمان بالدين الجديد بالذهاب إلى أن كتمان مؤمن آل فرعون لإيمانه مبني على قاعدة عقدية وعن رأي فيه مصلحة ومنفعة له والدين، ورأى أن الأفضل كتم الإيمان، ولكنه حينما أدرك أن مصلحة الدين تستوجب ألا يستمر في كتمان الحق والخير، وأن الأفضل الصدع بالحق أمام الملأ بكل شجاعة وجرأة.

ت. الحكمةُ والاتزانُ والموعظةُ الحسنة

ومن سمات شخصية مؤمن آل فرعون وفقاً للبعد العقلي الفكري، الحكمةُ والاتزانُ والموعظةُ الحسنة، فقد استخدم في حواره ودفاعه عن موسى– عليه السلام –الحكمة، والمنطق الرزين والتوسع في الإقناع والتدرج فيه، ولين المنطق، وإبداء الخوف على المستمعين، والتضامن معهم؛ لتشعرهم بالحيدة والموضوعية، وأنه معهم، وليس مع موسى – عليه السلام –.

وتتبدى معالم شخصية هذا المؤمن وصفاته–أيضاً–واضحة جلية في استخدامهُ لطريقة «الحوار العقلاني»؛ لإقناع بني قومه من آل فرعون، فالحوار أدب رباني علمه المولى لأنبيائه ورسله، والحوار هو جزء مهم من الأسلوب التعبيري في القصة، وهو صفة من الصفات العقلية التي لا تنفصل عن الشخصية بوجه من الوجوه؛ ولهذا كان من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب في رسم الشخصيات، ونظراً لأهمية الحوار، فإنه يهدف إلى ما يسود بين الشخصيات من صراع أو اتفاق، وإلى البوح بالعواطف ومشاعر الشخصيات[44].

من يمعن النظر في موقف مُّؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ، يكتشف أن من أبرز سمات شخصيته، الحكمةُ والحذقُ التي تتجلى بوضوح من خلال أسلوب الحوار الذي اتبعه مع قومه، قال تعالى على لسان مُّؤْمِنٌ آلِ فِرْعَوْنَ: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ (غافر:44).

القارئ لمواقف الرجل المؤمن يتبين أنه كان حاذقاً في أسلوبه، حيث بدأ بافتراض الكذب قبل الصدق، ثم قال: (يصبكم)، ولم يقل يصبنا، ثم عقب على هذا بأن الله لا يهدي المسرفين المكذبين، فإن كان موسى – عليه السلام– منهم فلن يهدى إلى الخير، ثم قال: يا قومُ بهذا التلطف، ثم قال: (لكم) ولم يقل لنا، ولكنه قال بعد ذلك: (فمن ينصرنا من بأس الله)، ولم يقل ينصركم، وهكذا نجده حاذقا في أسلوبه حيث لا يستطيع أحد أن يشتم منه رائحة الإيمان، وهو درس جيد تدعو إليه الضرورة في كثير من الأوقات [45].

لقد جاءت كلمة مؤمن آل فرعون إيقاظاً لضمائر القوم، واستثارةً لعقولهم؛ ليعودوا إلى رشدهم بعد غلبة العمى على بصائرهم وتحذيرهم من بأس الله سبحانه وتعالى، وقد أفاد الصحابة من موقف مؤمن آل فرعون في الدفاع عن موسى–عليه السلام–؛ لينافح أبو بكر الصديق – رضي الله عنه–عن الرسول تغليب المصلحة العامة على المصلحة الذاتية. وقد تجلت براعة التعبير القرآني في استخدامه للأساليب البلاغية المعبرة، فأسلوب الاستفهام الإنكاري التعجبي الذي جاء على لسان مؤمن آل فرعون في قوله تعالى:﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾(غافر: 28)، يوحي بالإنكار على فرعون وقومه لعزمه على قتل موسى– عليه السلام–، وفيه تبكيت لهم، حيث قصدوا قتل رجل كل ذنبه أنه قال: إن الله ربه، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحات الدالة على صحة قوله وفعله.

واستخدام أسلوب الاستفهام الإنكاري يعد نوعاً من أنواع علم المعاني يسمى «استدراج المخاطب»، فقد أراد مؤمن آل فرعون الانتصار لموسى –عليه السلام– بطريق يُخفي عليهم بها أنه متعصب لهم، وأنه من أتباعهم، فجاءهم بطريق النصح والملاطفة[46].

وقد آثر التعبير القرآني في هذه الآية الكريمة كلمة (رجلاً) التي جاءت نكرة؛ لتفيد أن مؤمن آل فرعون أحس بالخوف على موسى– عليه السلام–، فأخفى ذلك في نفسه، ولم يعلنه، إذ إنه لو أعلن اسمه؛ لأدى ذلك إلى أن يخلق الأذى لنفسه.

ث. التوكلُ على الله،

وتتجلى سمات ومعالم شخصية مؤمن آل فرعون في ميله إلى

التوكلُ على الله، وتفويض الأمر له. فالتوكلُ على الله مقام عظيم من مقامات الإيمان، لقد كان إيمان مؤمن آل فرعون الحقيقي سبباً عظيماً من أسباب نجاة هذا المؤمن من كيد أعدائه، ويشهد على ذلك ما قصَّه المولى – عز وجل– في نهاية هذا المشهد، يقول الله تعالى : ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ (غافر:44).

دلت الآية الكريمة على أن فرعون وملأه أرادوا بهذا المؤمن شراً، ولكن الله– سبحانه وتعالى– كفاه شرهم، وحفظه بحفظه. التوكل على الله يتعين أن يكون ملازماً للمؤمن طوال حياته، فالمتوكل مفتقر إلى الله، وهذا التوكل يكون عنده نابعاً من صدق اليقين، وعمق الإيمان والثقة في أن نصر الله حقيقة لا شك فيه. والتوكل على الله واللواذ بحمايته ونصره هما سبب نجاة هذا المؤمن من عذاب الله،

ج. استدعاء سير الرسل السابقين:

تجلت ملامح شخصية مؤمن آل فرعون الفكرية حينما استدعى تاريخ الرسل والأنبياء السابقين؛ بوصفه وسيلة من وسائل الدعوة.

تحدث الرجل المؤمن، وأحضر لقومه أدلة كافية من التاريخ على صدق موسى. وأشار إلى أن أمماً سبقتهم وكفرت برسلها، فأهلكها الله مثل: قَوْم نُوح، قوم عَاد، قوم ثَمُودَ.

يقول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ (غافر: 30، 31).

الرجل المؤمن ثم ذكرهم بتاريخ مصر نفسه. ذكرهم بيوسف (عليه السلام) حين جاء بالبينات، فشك فيه الناس ثم آمنوا به بعد أن كادت النجاة تفلت منهم؛ وحذر الطاغية المتجبر فرعون وقومه من سوء العاقبة، إذا هم استمروا في تكذيب موسى–عليه السلام– ورسالته، والتشكيك بما جاء به من عند الله، وذلك حين أدرك عدم جدوى نصحه لهم، وأنهم مصممون على تكذيب موسى، أراد أن يلومهم من خلال تذكيرهم بصنيع أسلافهم بنبي الله يوسف –عليه السلام–على شكهم وارتيابهم به وبرسالته، وبالبراهين البينات التي جاء بها، وسخريتهم مما جاء به من آيات . قول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾(غافر: 34).

هذا الاستحضار التاريخي يحمل صفة إيمانية عقدية في شخصية ذلك الداعية المؤمن، مبنية على العمق التاريخي، وحضور الجوانب الثقافية والمعرفية العميقة. إنه لم يكن داعية ذا فقر معرفي، وإنما كان يتمتع بثقافة واسعة ومعرفة دقيقة بسير الأنبياء السابقين. [47].

ومهما يكن من أمر، فإن رسالة موسى– عليه السلام – إلى فرعون تعد جزءاً من رسالته بني إسرائيل، وهي «استكمال لرسالته كرسول من عند الله، وأنه لما انتهت قصته مع فرعون اقتضى المقام الإشارة إلى رسالة موسى– عليه السلام –، وأنها رسالة إلى بني إسرائيل في عمومها»[48].

ثانياً ـ الصفات النفسية:

أ. الحرص على مصلحة الجماعة لا المصلحة الفردية:

شفت كثير الآيات القرآنية الكريمة عن السمات الإيجابية لشخصية مؤمن آل فرعون، وكان من أبرزها تغليبُ مصلحة الجماعة على مصلحته الفردية، ونبذ الأنانية، وحب الذات، ذلك إن أهم ما تتميز به الشخصية الإيجابية أنها ليست أنانية، يقول الله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا ...۞ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ... وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾(غافر: 30 ، 32)، ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر: 38).

ومؤمن آل فرعون من أولئك الرجال الصالحين، الذين كانت لهم سيرة طيبة حسنة، وساروا في طريق الأنبياء والمرسلين، وصبروا على ما أوذوا في سبيل نصرة الحق، وإيراد قصصهم ليكونوا قدوة لمن يسير في هذا الطريق، وأن يثبتوا على الطريق مهما اعترضهم من متاعب.

إن الشخصية الإيجابية هي التي تحرص على مصلحة الجماعة لا مصلحتها الفردية، وهنا يجد المتلقي مؤمن آل فرعون قد أخذ يحذر بني قومه الآخرين، فلم يكن أنانياً، وينجو بنفسه، فالداعية الإيجابي ليس أنانياً، ويدرك العقلاء من قومه تلك الصفة الطيبة فيه، فيلتفون من حوله، ويُقبلون على اتِّباع نصائحه. لذا يتعين على الداعية المصلح ألا يفكر بأنانية وحرص على نفعه الخاص، إذا تعارض مع مصلحة مجموع الأمة ونفعها.

ب. الزهد في الحياة الدنيا:

من يتمعن في صفات هذا المؤمن الداعية وملامحه، يجد أنه كان جريئاً في الإفصاح عن الإيمان وعن سلوكه في الحياة، والنابع عن قوة إيمانه وعقيدته، إذ وظف منهج التقابل والتضاد بين الإيمان والكفر، بين الخير والشر، ودعا إلى ترك ملذات الدنيا ومباهجها الزائلة؛ للفوز بالحياة الآخرة وبالجنة ونعيمها الدائم، ودعا إلى التقرب من العزيز الغفار لنيل العزة والكرامة.

يقول الله تعالى على لسان مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ... وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ (غافر: 39 – 42).

يظهر جمال التعبير القرآني في حديث مؤمن آل فرعون مع قومه جلياً وواضحاً، إذ يلتقي القارئ في هذه الآيات الكريمة ألواناً من التصوير الفني، منها الطباقُ الأخاذ الذي يرمي إلى الكشف عن المعنى، وإتمام الغرض المقصود

فعبارة (الحياة الدنيا) تقابلها عبارة «الحياة الآخرة»، وكلمة «النجاة» تطابقها كلمة «النار»، ولفظة «الشرك» تطابقها لفظة «الإيمان» بالله العزيز الغفار، فالألفاظ والعبارات كلها تخدم المعنى المطلوب، فهو طباق رائع المعنى، جميل العبارة، تنفتح له النفس، ويسر له الوجدان.

ويلحظ المتلقي أن سرَّ جمال التعبير القرآني في هذه النصوص القرآنية يكمن في أنَّ الخطاب القرآني–عبَّر بتكرار أسلوب النداء «يا

قوم»؛ لزيادة التنبيه عليهم، وإيقاظاً لهم عن سِنَة الغفلة، وجاء ذكر عبارة «قوم»؛ لتشعر المتلقي بأن المخاطبينَ هم قومه وعشيرته، ونصيحتُهمْ عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وعليهم أن ينزلوا على نصيحته لهم، إنه يفكر في مصلحتهم، ويعيش لهم، ويعمل من أجلهم. ويعد هذا الأسلوب من أعظم الأساليب وأبلغها؛ لكونه يمتلك على المتلقي لبَّه، ويجلب قلبَه، ويجذب انتباهه، فيتابع سيره في قراءتها، مأخوذاً بما فيها من سحر وبساطة وعذوبة، وما لديها من حلاوة التشويق.

ومن جمال التعبير القرآني، بلاغة الطباق، وتناسبه مع البناء العام لشخصية هذا الداعية المؤمن، فلقد أدى الطباق بين الحياة الدنيا، والحياة الآخرة دوره في الكشف عن صفة نفسية في شخصية مؤمن آل فرعون الإيجابية صادره عن نزعته الإيمانية العقدية، التي تتمثل في تعرية حقيقة الدنيا الدار الفانية المنقضية، ونصح قومه أن يزهدوا فيها؛ لأجل نيل الآخرة الباقية؛ الأمر الذي عمّق من صفات هذه الشخصية المؤمنة، ورسخها في أذهان المتلقين ونفسياتهم، وكشف أنه صادق في تحذيرهم، مخلص في نصحهم، حريص على مصلحتهم.

ثالثاً ـ الصفات التربوية السلوكية:

تعددت هذه الصفات في شخصية مؤمن آل فرعون وتنوعت، واشتملت على عدد من الصفات على النحو الآتي:

أ. التلطفُ في الخطاب:

والداعية الإيجابي رجل حكيم فطن يدرك طرائق التعامل مع الناس؛ لكسب ودهم ومن أهمها، التلطفُ في الخطاب، والترقيقُ في الوعظ. والتي تتمثل في الحد من جماح قومه، وكسر سورتهم، فنوه بمكانتهم، وعلو شأنهم، فردد غير مرة عبارته منادياً متلطفاً «يا قوم»، محاولة منه للإفادة من كل المثيرات النفسية؛ لكسب مشاعر قومه الذين يخاطبهم، واستمالة قلوبهم، مع عدم قطع الصلة بين الأنبياء وأقوامهم [49].

ب. الصدقُ والصراحةُ:

ويعد الصدقُ والصراحةُ من معالم شخصية مؤمن آل فرعون البارزة، وسماتها الواضحة، ويتضح ذلك جلياً من مواقفه من القضية التي آمن بها، ونصحه لقومه، وحرصه على هدايتهم، وسلوك الطريق الأمثل في الحوار معهم، فلم يجاملهم أو يداهنهم، إنما كشف عن الحقيقة كما فهمها، بكل صراحة ووضوح، فحين أحسَّ أن قومه لا يستجيبون لدعوته إلى الإيمان بموسى – عليه السلام– ورسالته سلك أسلوباً من أساليب الدعوة القائمة على الموازنة والتقابل والتضاد بين موقفين: موقفه، وموقف قومه.

فبعد أن استنكر موقفهم من دعوته، أخذ ينصحهم ويحذرهم؛ بدافع حبه لهم، وخوفه على هلاكهم، محاولاً إنقاذهم من الهلاك بالتحذير والإنذار المستمر، قائلاً لهم: كيف أدعوكم إلى الإيمان بالله واتباع رسوله موسى–عليه السلام–، وهي دعوة تنتهي بكم إلى الجنة، والبعد عن أهوال النار، وأنتم تدعونني إلى عمل يؤدي إلى عذاب الله وعقوبته في النار؟! وكيف أدعوكم إلى العزة والمغفرة من العزيز الغفار، وأنتم مصرون على التمادي في الكفر والشرك عن جهل وزيف وبطلان.

ويعد هذا الأسلوب من أعظم الأساليب وأبلغها؛ لكونه يمتلك على المتلقي لبَّه، ويجلب قلبَه، ويجذب انتباهه، فيتابع سيره في قراءتها، مأخوذاً بما فيها من سحر وبساطة وعذوبة، وما لديها من حلاوة التشويق.

أما قوله تعالى: ﴿**ما لي أدعوكم**﴾، فأسلوب استفهام يفيد التعجب والإنكار، إنه يحمل دلالة التوبيخ لهم، إنه كلام إنكاري يعبر عن شعور إنسان آيسٍ من استجابتهم.

ويشير قوله تعالى:"العزيز الغفار" إلى عدول التعبير القرآني عن ذكر اسم الجلالة إلى الصفتين: « العزيز»، و»الغفار»؛ لأنهما لفظان يحملان طاقات دلالية واسعة، وفيهما تعريض بأولئك الذين يصرون على الكفر، يقول الإمام الالوسي: خُصَّ هذان الوصفان بالذكر، وإن كانت كناية عن جميع الصفات... لما فيهما من الدلالة على الخوف والرجاء المناسب لحاله وحالهم [50].

تعد شخصية مؤمن آل فرعون من الشخصيات التي أسهمت إسهاماً فاعلاً في صنع الأحداث بالرغم من الصعوبات التي واجهتها؛ لذا فقد كانت مثالاً صادقاً للبطل الإيجابي الفاعل الذي» يتميز بقدرته على صنع الأحداث، والمشاركة في تطورها، واغتنام الفرص؛ لكي يساهم في تشكيل حركة الحياة، والتأثير فيمن حوله من الشخصيات، واتخاذ مواقف إيجابية في انفعالاته ومشاعره ومواقفه من الآخرين [51].

رابعاً – الصفات الاجتماعية:

من المعلوم أن مؤمن آل فرعون ينتمي إلى طبقة اجتماعية متميزة، فهو رجل من رجالات الدولة. ومن العائلة المالكة، ابن عم فرعون الطاغية الذي استبد بسلطته؛ حتى ظن نفسه إلهاً، يعبده الناس، ومما يؤكد ذلك، وهو من عائلة ثرية مترفة، ويتضح ذلك من قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ (غافر: 28)، وهو رجل يتمتع بمنصب رفيع، ومكانة سامية.

بيد أن إيمانه العميق برسالة موسى– عليه السلام–ودينه الجديد الذي يدعو إلى التوحيد والربوبية جعلته يغلب المصلحة الجماعية على المصلحة الذاتية الفردية،

إن البعد الاجتماعي في شخصية هذا المؤمن مبنية أساساً على القاعدة العقدية الصلبة، التي ترسخت في قلبه وعقله ووجدانه، "فلقد كان بإمكان هذا الإنسان المؤمن، أن يتمتع بدنياه، مستفيداً من صلة قرابته لفرعون، وأن يكون واحداً من تلك الفئة التي عادت الحق وحاربته، حفاظاً على المصالح والمناصب، والجاه والمال، لكنّه فتح قلبه للحق، مقدماً ولاية الدين على ولاية القربى والنسب والمصالح الشخصية. فبذلَ كل ما في وسعه؛ لجلب المصالح للدعوة وحمايتها، وإقناع النّاس بما تحمله هذه الدعوة الربانية المباركة من خير وصلاح للبشر كافة.[52]"

التقابل بين صورتي: فرعون ومؤمن آل فرعون:

يلمس المتلقي تقابلاً بي شخصيتي فرعون، ومؤمن آل فرعون، ففي حين إن شخصية فرعون الطاغية تتصف بالتجبر والقتل والغطرسة، وحبه لسفك الدماء، ومعارضة الرسل والأنبياء، وسلوك طرق المراوغة والمخاتلة، فهو طاغية جبار، لا يصده عن

إيقاع الأذى بمن أراد صادٌ، ولا يعوقه عن البطش به عائق، فإن مؤمن آل فرعون كان يتميز بإيمانه العميق بالإله الأعلى، وهو الله –عز وجل –وإيمانه برسالة موسى، وامتلاء قلبه حباً له، ويتمتع برجاحة العقل، وقوة الحجة، ومناصرة الحق، ونبذ الكفر وأهله ومبادئه. فهو لم يلتف لمراوغة فرعون ومكره لاسيما قوله الذي يشي بالاستعلاء والتكبر،﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر: 29).

واستمر الداعية المؤمن في تحذير قومه ودعوتهم إلى الحق والإيمان بالله برغم موقف فرعون المعادي والرافض لدعوة موسى–عليه السلام –ورسالته الربانية: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ (غافر:44).

إن موقف فرعون الذي طلب فيه من وزيره هامان أن يبني له صرحاً عالياً؛ ينم على شخصية سلبية شريرة تشي بسمات عقلية ونفسية مبنية على خصيصة الخداع والمكر والخبث إنه يريد أن يوهم قومه بكذب موسى، وجاءت تلك السمات ممزوجة بطابع السخرية والاستخفاف بعقول الناس؛ لصرفهم عن دعوة موسى –عليه السلام–وعن أدلته التي استيقنتها نفسه، وأدرك أنها مقنعة وحقيقية لا مراء فيها.

ونظرة فاحصة إلى ملامح شخصية مؤمن آل فرعون، تكشف أن ثمة توازناً حقيقياً قائماً بين كل من البعد العقدي الفكري، والبعد النفسي، والبعد الاجتماعي عند هذا المؤمن، وقد انعكس هذا التوازن في منهج دعوته، وفي أدواته. فكان ثمرةُ هذا التوازن خَلْقَ شخصية إسلامية صديقة للأنبياء والرسل حين التزم قاعدة ارتكاز بنائهم، وغدا مؤمن آل فرعون نموذجاً يقتدى للدعاة في منهج بناء الإنسان في الإسلام[53].

المبحث الثالث: شخصية محمد ـعليه الصلاة والسلامـ الإيجابية.

المتأمل في سورة غافر، يتبين له أن ذكر الرسول محمد– صلى الله عليه وآله وسلم – لم يرد مباشرة؛ وإنما وردت في السورة نصائح وتوجيهات للرسول الكريم؛ لتعينه في الدعوة إلى الله، وكان الرسول–عليه الصلاة والسلام–يستمع إلى هذه النصائح والتوجيهات، ويتمثلها في سلوكه، ويتحلى بها في موافقه.

بُنيت شخصية النبي محمد– عليه الصلاة والسلام، في سورة غافر على بعدين هما: البعد الفكري العقدي، والبعد النفسي اللذين بنيت عليهما شخصيات سائر الرسل والأنبياء، ومن أهم تلك الصفات ما يأتي:

أ. الإخلاصُ في العبادة:

تتبدى من الآيات القرآنية في سورة غافر أبرز ملامح شخصية الرسول محمد–عليه الصلاة والسلام–، والتي تتمثل في الإخلاص في العبادة، إذ كان مخلصاً في العبادة لله، بعيداً عن عبادة غيره من أصنام وأوثان وحجارة. يقول الله تعالى في سورة غافر: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (غافر: 66).

ب. وحدانية الله:

جاءت الآيات الواضحات من عند الله تؤكد له وحدانية الله، وتفرده بالعبادة، فالعبادة لا تليق إلا به، ذلك أنَّ جَعْلَ الحجارة المنحوتة، والأخشاب المصورة شركاء لله في العبودية، وهو أمر مستنكر في بديهة العقل[54]، ذلك أن من أبرز سمات الشخصية الإيجابية العبادةَ لله – سبحانه وتعالى–، أنها تمثل تيار الخير في مواجهة تيارات الشر التي تعج بها الحياة، وقد أمر الرسول – عليه الصلاة والسلام– أن يسلم أمره لرب العالمين، وكان في مواقفه وتصرفاته خاضعاً لله وحده، ومخلصاً له دينه، مطهراً نفسه من عبادة غير الله.

ت. الاستعاذة، بالله من مكر الكافرين:

يتجلى في الآيات السابقة ملمح دقيق من ملامح شخصية الرسول محمد – عليه الصلاة والسلام– وهو الاستعاذة، بالله من مكر الكافرين المجادلين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، (غافر: 56) .

يقول المولى–عز وجل–ناصحاً الرسول الكريم، يا محمد: اعتصم، واستعذ بالله من الكبر الذي يوجب التكبر على الحق، واستعذ بالله من شياطين الإنس والجن، واستعذ بالله من جميع الشرور.

آثر التعبير القرآني انتقاء الألفاظ الموحية التي تحمل طاقات دلالية واسعة، فقد قال المولى استعذ بالله ولم يذكر ما يستعيذ، إرادة لتعميم الاستعاذة، وجاء بـ «إن» لتوكيد المعنى، وكذلك ضمير الفصل (هو) لحصر المعنى وتوكيده. ويشير هذا التعبير إلى التعريض بالمتحدث عنهم، وهم الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان، والمعنى : أنه هو القادر على إبطال ما يصنعونه لا أنت، فكيف يتم لهم ما أضمروه لك[55] .

وجاء لفظ "السَّمِيعُ" على صيغة المبالغة؛ ليوحي بقدرة المولى على سماع الأصوات جميعها على اختلافها، وكذلك لفظ "الْبَصِير" ورد على صيغة المبالغة؛ ليومئ بأنه بصير بجميع المرئيات، بأي محل وموضع وزمان كانت.

ث. الزهدُ في متاع الحياة الدنيا

يشل الزهدُ في متاع الحياة الدنيا سمة أصيلة من السمات والصفات الإيجابية في شخصية الرسول محمد الكريم، يقول الله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلاَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَلا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلادِ﴾ (غافر: 44).

الخطاب القرآني في الآية الكريمة السابقة موجه إلى الرسول– عليه الصلاة والسلام– والمعنى، لا يغرنك ولا يحزنك يا محمد، كونُ أولئك الذين ينتقلون في البلاد، هم من أصحاب الأموال والتجارة الرابحة والمراكز الاجتماعية، إنهم فئة معينة ومحدودة ومتميزة، وأن إقبالهم على الدنيا هو الذي صرفهم عن الحق، والإذعان له، وهذا الإقبال على الدنيا هو الذي دفعهم إلى المجادلة في صحة نسبة القرآن الكريم إلى الله – سبحانه تعالى–، إنَّ تمتع هذه الفئة بمباهج الدنيا، وحيازتهم لأسبابها، وأسباب التمتع بها، لن يعصمهم من سوء المنقلب والعاقبة[56].

وتشير الروايات إلى أن الرسول الكريم هو إمام الزاهدين، ورأس العابدين، إذ كان زاهداً في الدنيا، وكان أقل المسلمين رغبة فيها، وكان مكتفياً منها بالبلاغ، فقد رُوى عن عبد الله بن مسعود

أنه قال: «نام رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم– على حصير، فقام وقد أثَّر في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً؟ فقال: ما لي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلَّ تحت شجرة، ثم راح وتركها»[57]. وفي هذا الحديث ما يدل على تواضعه–صلى الله عليه وسلم –وعلى زهده، وتقلله من الدنيا، وتقشفه فيها.

إن اتصاف الشخصية الإيجابية المسلمة بسمة الزهد في الحياة الدنيا ابتغاء مرضاة الله تعالى، يقوي –بلا شك–إيمان الزاهد بأن الآخرة هي الباقية، وهي دار القرار، ويساعده على مواجهة مكائد الدنيا وتقلباتها، ويعمل الزهد على أن يشد من عزيمة الزاهد ويدفعه إلى المضي في رسالته، واليقين التام بنصر الله، ويحقق له خلق الرضا والقناعة والتواضع والتوازن، ويرسخ في نفسه الطمأنينة وراحة النفس والضمير، والنصر على انحرافات النفس وغلبة الهوى.

ج. الصبر على البلاء:

تتجلى معالم شخصية الرسول محمد –عليه الصلاة والسلام– في الصبر على البلاء الذي يعد ملمحاً أساسياً من الملامح العامة لشخصية الأنبياء والرسل. وقد جاء الأمر بالصبر في سورة غافر مرتين؛ لما للصبر من قيمة خلقية عظيمة في حياة الرسول –عليه الصلاة والسلام–.

يقول تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ**﴾،(غافر: 55)

ويقول المولى –عز وجل– في موضع آخر من السورة: ﴿**فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ**﴾ (غافر: 77).

يربط المولى الصبر في المرة الأولى بالمحور الرئيسي للسورة، ويدعو سيدنا محمداً –عليه الصلاة والسلام–إلى أن يصبر كما صبر موسى–عليه السلام–على أذى فرعون وملئه، فنصره الله، وهنا جاء الصبر تشجيعاً وتسلية للرسول –صلى الله عليه وآله وسلم– وتسريه له، وتثبيتاً لقلبه[58].

وفي الصورة الثانية جاءت الدعوة إلى الصبر الشاق على أشواق النفس البشرية، وعليه لم تأت الصورة الثانية تكراراً للأمر الذي جاء في الصورة الأولى، إنه توجيه إلى صبر من لون جديد، ربما كان أشق من الصبر على الإيذاء والكبر والتكذيب»[59].

والشخصية التي تتسم بالصبر هي شخصية تتمتع بخلق رفيع جليل، فالصبر على البلاء، والصبر على الطاعة يجعل الشخصية تستدعي النصر الرباني، وبالصبر ينال الصابر مراده، ويحقق التأثير في الناس ودعوتهم إلى الخير، ذلك أن الشخصية الإيجابية معرضة لوصول الأذى إليها، والصبر يفتح للداعية أبواب القلوب الموصدة ويقوي عزيمته، ويجلب له النصر.

لقد كان صبر محمد –عليه الصلاة والسلام–مرتبطاً بالاستغفار والتسبيح؛ لأنها جميعاً من عوامل نصر الله لأنبيائه ورسله، ومن متممات النصر وأدواته، وهي مجتمعة دليل على الكرامة والرحمة، وزاد للرسول –عليه الصلاة و السلام–في دعوته إلى الله، وفي تنزيهه وتمجيده.

وخلاصة القول، إن المتأمل في قصص الأنبياء والمرسلين والصالحين في القرآن، يجدهم يشتركون في كثير من الصفات والملامح، فهم جميعا بشر لا ملائكة، وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري[60].

المبحث الرابع: ملامح شخصية الملائكة الكرام:

تمثل الملائكة الكرام أهم الشخصيات الغيبية غير البشرية في قصص القرآن الكريم، أوكلت لهم أعمال، وأسندت إليهم أفعال وأقوال، وكانوا طرفاً في حوار مع رب العزة والرسل –صلوات الله وسلامه عليهم–.

يتضح من خلال النصوص القرآنية لسورة غافر أبرز سمات الملائكة ومعالم شخصياتهم وذلك في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُم وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (غافر:7، 9).

يتبين من خلال النص القرآني السابق عدد من معالم شخصية الملائكة ومن أبرزها، خلو شخصية الملائكة من ذكر الصفات الخارجية من الهيئة والصفة خلواً تاماً بخلاف ما ورد في مطلع سورة فاطر في قوله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ**﴾(فاطر:1).

1. الصفات العقدية والنفسية:

أ. حمل العرش وطهارة النفس:

تتبدى في الآية الكريمة سمات الملائكة وصفاتهم الإيجابية جلية بارزة؛ لكونهم من حملة العرش المقربين الأطهار، وأنهم من أفضل الملائكة، وأطهرهم عند الله–تبارك وتعالى–، وهم صفوة الملائكة، فضّلهم ربهم، وجعلهم من أقربهم منزلة ومكانة عنده.

وهناك صنف آخر من الملائكة يطوفون حول العرش، محدقين مصطفين بحافته وجوانبه، يمجدون ربهم بكل خير، وينزهونه عن كل سوء، وهم أقرب الملائكة إلى العرش، ولهم المكانة والفضل والشرف الكبير [61].

وفي النصوص القرآنية ما يحدد هذه الصفة، يقول الله تعالى:﴿**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ (الزمر:75).

ب. التسبيحُ والتحميد:

تمتاز معالم شخصية الملائكة وسماتهم الإيجابية، بالتسبيح والتحميد؛ ذلك أنهم مستغرقون في تسبيح الله وتنزيهه عن كل عيب ونقص، إنهم يلهجون بحمده والثناء عليه بكل ما يليق به من جلال وكمال، والاعتراف له بالفضل والإنعام المطلق، وهم يسبحون الله بدعاء واحد هو «سبحانك»، وهم يتجهون في قبلتهم إلى العرش، فالتسبيح هو تنزيه الله تعالى عما لا ينبغي، والتحميد هو الاعتراف بأنه المنعم على الإطلاق، «فالتسبيح إشارة إلى الجلال، والتحميد إشارة إلى الإكرام»[62].

قرن الخطاب القرآني بين التسبيح والتحميد؛ لأن كل تسبيحة تستوجب حمداً، وهذا هو الشغل الوحيد للذين يحملون العرش، وشغل

من حوله[63].

ت. الإيمان الخالص بالله:

ويعد الإيمان الخالص بالله من المعالم البارزة لشخصية الملائكة حملة العرش والذين يحفون به، إنهم يؤمنون بالله إيماناً خالصاً بدون أن يروه، لا يشوبه شيء، ويذعنون للواحد القهار، وأنهم يصدقون بوجوده، ويقرون، ويشهدون أنه لا إله لهم سواه، ولا يستكبرون عن عبادته، قال الزمخشري: فإن قلت ما فائدة قوله:(ويؤمنون به) ولا يخفى أن حملة العرش وجميع الملائكة يؤمنون بالله؟ فالجواب: إن ذلك إظهار لفضيلة الإيمان وشرفه والترغيب فيه[64].

ث. الاستغفارُ للمؤمنين:

ومن ملامح شخصية الملائكة الإيجابية، الاستغفارُ للمؤمنين التائبين، إنه استغفار الملائكة، ومظهر من مظاهر العطف على المؤمنين، إنه إشعار بمحبتهم لهم، وعنايتهم بشأنهم؛ لأنهم مثلهم في الإيمان بوحدانية الله، فرابط الإيمان هو الذي يجمعهما، وهو باعث الملائكة على الدعاء للموحدين، وسؤال المولى – عز وجل– بأن يصلح لهؤلاء المؤمنين دينهم وآخرتهم، وأن يغفر لمن يمثل إقرارهم من وحدانية الله، وتفرده بالعبادة، دافعهم إلى ذلك ما يكنونه للمؤمنين المتقين من المحبة والعطف، والرحمة واللطف والحنان، ويتوسلون إلى ربهم أن يدخل المؤمنين الموحدين من عباده الجنة، وينجيهم من عذاب النار[65].

ويجد المتلقي في هذه الآيات الكريمات من أنواع المعاني أشياء حسنة، وأساليب تعبيرية لافتة منها: تجلى جمال الخطاب القرآني في رسم قسمات شخصية الملائكة وتصويرها فيما استخدمه من أساليب التعبير القرآنية، من دقة في اختيار الألفاظ والتراكيب التي تعبر عن المشهد أو الموقف تعبيراً يحتوي على القيم الجمالية والتعبيرية.

ومنها: تكرارُ أسلوب النداء في دعاء الملائكة للمؤمنين؛ لأن الدعاء أدخل في التضرع وأرجى للإجابة [66]، وآكد في الزيادة في الاستعطاف والاسترحام، والمبالغة في التضرع إلى الله بالاستعانة [67].

ومن أساليب النظم القرآني، خطابُ المولى – عز وجل– بنداء «ربنا»، ولفظ الجلالة أشمل وأدل على الألوهية والهيمنة المطلقة، وأن كلمة «الرب» هي الأحرى في الدعاء، ولفظ «الرب» فيه معنى الرعاية والتربية. أما حذف حرف النداء من قوله تعالى «ربنا»، فيفيد قوة إحساس الداعي بقربه من ربه، وأن كلمة «رب» بهذا المعنى فتحت ذكر سعة الرحمة والعلم، وقدمت الرحمة على العلم؛ لأن المقام مقام طلب المغفرة والرحمة، فكانت الرحمة أحق بالتقديم؛ لأن المقام بشأنها أعنى[68].

ومنها:– أيضاً – انتقاءُ الدوال، واختيارُها الدقيق المحكم؛ لما تحمله من طاقات إيحائية غنية بالمعاني، ومثال ذلك اختيار لفظتي: «العزيز» و«الحكيم»؛ لما يحملانه من التنزيه والتمجيد لله تعالى، فـ «العزيز» هو الذي لا يغلب، ولا يمتنع عليه شيء و«الحكيم» هو الذي لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والمصلحة، وجمع النص القرآني– كذلك– بين العزة والحكمة، إشارة إلى أن العزة والغلبة يجب أن تكون محمية بالحكمة وحسن التقدير، وهذان اللفظان «العزيز» و«الحكيم هما لفظان متساوقان مع الجو العام للسورة.

ومنها: إبراز الجملة في قوله تعالى:﴿إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (غافر:7 9) مؤكدة (بإنّ)، وضمير الفصل (أنت)، وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الجملة السابقة (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

ومنها: اختيار الأفعال المضارعة وانتقاؤها من مظاهر الإعجاز اللغوي في تصوير معالم شخصية الملائكة مثل: (يسبحون، يؤمنون، يستغفرون)، وهي أفعال تفيد الاستمرار والتجدد والحيوية والحركة.

ومنها: ذكر حرف الجر (الباء) في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فالباء هنا للملابسة، أي يسبحون الله تسبيحاً مصاحباً للحمد [69].

الخاتمة:

يستخلص من هذه الدراسة التي عرضت لأبرز ملامح الشخصية الإيجابية في سورة غافر جملة من النتائج من أهمها:

1. تعد الشخصية أساس العمل الفني، وعصب القصة القرآنية، وعمودها الفقري، فبوجودها يغدو للعمل الفني قيمة وقدراً، وهي همزة الوصل بين العناصر الفنية المكونة للقصة.
2. جاء رسم الشخصيات الإيجابية بيسر وسهولة، فلم يعتمد النظم القرآني في عرضها على جانب توضيحي خيالي رمزي؛ وإنما وقف على معالم الشخصية جميعها بطريقة واقعية.
3. رُسمت الشخصيات الإيجابية بطريقة محكمة أعربت عن حقيقتها إعراباً تاماً، وشفت عن جوانبها الفكرية النفسية وأحوالها وعاداتها، وما لها من ظلال وقيم.
4. يزيد التركيز على دراسة الشخصية الإيجابية القصةَ القرآنية تشويقاً وإثارة وشداً لانتباه المتلقي.
5. يلحظ القارئ أن ثمة تنوعاً في رسم معالم الشخصية الإيجابية، وتصوير ملامحها، كأن يستعمل النص القرآني التشخيص بأفعال الشخصية وردود أفعالها وحركتها أو بالفكر أو الرأي أو الحوار؛ الأمر الذي زاد من عمق القصة وحيويتها.
6. بيّنت الدراسة أن أبرز أبعاد رسم الشخصية الإيجابية هو البعد الفكري العقدي، ويليه البعد النفسي؛ لأنهما الأقرب إلى خدمة مقاصد السورة وأهدافها، والموضوع الذي تطرحه.
7. توصلت الدراسة إلى أن كل شخصية من شخصيات قصص سورة غافر تتفاعل مع سائر الشخصيات الأخرى تفاعلاً تاماً، وأن تلك الشخصيات يكمل بعضها بعضاً، بحيث يحسّ المتلقي بأن ثمة سلكاً منتظماً متيناً يجمع هذه الشخصيات.
8. كشفت الدراسة أن الشخصية الإيجابية بالرغم من أنها شخصيات دينية واقعية، فإنها ظلت تحتفظ بالخصائص الفنية التي تعتمد على الشخصية وهي: الحدث والصراع والتشويق، وقد جاء مستوى التعبير الفني في رسم ملامح تلك الشخصيات رفيعاً وفي أعلى درجات الجمال والكمال بياناً وإعجازاً.
9. على الرغم من تعدد أساليب القرآن الكريم في رسم معالم الشخصيات الإيجابية، فإن ثمة قواسم مشتركة بين تلك الملامح، إذ إن النظم القرآني قد رسم معالم هذه الشخصيات على صورة خيرية

مواجهة تيارات الشر التي تعج بها الحياة.

التوصيات:

بناء على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن للباحث أن يقدم التوصيات الآتية:

1. دراسة الشخصيات القرآنية دراسة تربوية عميقة؛ لاستنتاج الملامح الإيجابية في معالمها؛ كي تستعيد الأمة دورها القيادي.
2. التركيز على دراسة الصفات النفسية عند تحليل ملامح شخصيات القصة القرآنية.
3. دراسة طرق رسم الشخصيات القرآنية الإيجابية دراسة معمقة.

الهوامش:

1. (بناء الشخصية الرئيسية في رواية «عمر يظهر في القدس»للروائي «نجيب الكيلاني»، عبد الرحيم حمدان، بحث مقدم للمؤتمر الخامس لكلية الآداب، الذي أقامته الجامعة الإسلامية بغزة في الفترة 7 – 8 م /05 /2011، ص 113 .
2. المكان في الرواية البحرينية»دراسة نقدية»، فهد حسين، فراديس للنشر والتوزيع، بيروت، 2003 ص 45.
3. دراسات في نقد الرواية، طه وادي، دار المعارف، القاهرة،، 1994 ، ص 123، 122
4. بناء الشخصية الرئيسية في رواية «عمر يظهر في القدس"، عبد الرحيم حمدان، ص 114.
5. معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم، عبدالرحيم الشريف: مجلة دراسات، الجامعة الأردنية سنة 2016.: رياض قاسم بعنوان: الداعية الإيجابي في ضوء القرآن الكريم.
6. بناء الشخصية في القصة القرآنية. مصطفى عليان، الأردن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد44، سنة 1992.
7. الداعية الإيجابي في ضوء القرآن الكريم رياض قاسم، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2014، ص375 –ص416
8. الشخصيات القرآنية، نزيه محمد علاوي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2006 ، ص207.
9. ينظر: فنون النثر العربي الحديث، شكري عزيز الماضي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2008 ص 32،33.
10. الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينة، شكري الماضي، مجلة فصول (3 ، 4)، مجلد(8) ، ديسمبر 1989 ، 32.
11. ينظر: فن القصة، محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ط أولى، 1996، ص 98.
12. الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية: دراسة في سور الطواسين، عدنان مهدي الدليمي 2013 ص23 .
13. بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط3 ، 1990 ، ص 2
14. فن القصة، محمد يوسف نجم دار الثقافة ط7، بيروت 1979. ص 98
15. قضايا الفن القصصي. يوسف نوفل دار النهضة العربية، القاهرة 1977 ، 163
16. الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية: محمود السيد حسن ص 71.
17. قصص القرآن الكريم، سعيد محمد اللحام، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 987، ص 147.
18. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار المعارف، الطبعة التاسعة، 1980،، 146 ، 147 .
19. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمد التونجي، الناشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1997 ، 102.
20. روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة خصائص الأسلوب القصصي المعجز، محمود السيد حسن، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر، ط 2 ،2003 ، ص 207.
21. آل حمم –غافر، دراسة في أسرار البيان: محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، ط أولى، 2009، 91
22. خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة ، 2006، ص 130 .
23. ينظر: إرشاد العقل السليم، ، أبو السعود، دار المصحف، القاهرة.(د.ت). 7 / 237 .
24. ينظر: التفسير الموضوعي لسورة فاطر، جامعة الشارقة، 2007 م. ص549.
25. ينظر: التفسير الكبير للرازي27 / 507 ،508.
26. السابق: 27 / 507 ، 508 ،
27. أنوار التنزيل ، البيضاوي، 2 / 55.
28. إرشاد العقل السليم، أبو السعود 5 / 8 .
29. تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، النسفي، دار الكلم الطيب، دمشق، ط أولى، 19983 / 207 ، 208.
30. التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور24 / 127.
31. التفسير الموضوعي، ص 549.
32. ينظر: السابق، ص131 .
33. يُنظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، الكويت، جمعية إحياء التراث الإسلامي، 4 / 3039.
34. خصائص القصة الإسلامية، مأمون فريز جرار، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة د.ت، ص 77.
35. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، جلال الدين السيوطي، دار الهدى للطباعة، الجزائر، د. ت ص 102 ، 103 .
36. بناء الشخصية في القصة الإسلامية، مصطفى عليان، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد44، سنة 1992. ، ص298.
37. أسماء سور القرآن وفضائلها، منيرة محمد الدوسري، دار الجوزي، الدمام: ط 1، 1426هـ. ص351، 352.
38. ينظر: الكشاف، للزمخشري، جار الله محمود بن عمر مكتبة العبيكان،

الرياض، ط أولى ،1998. 4/164.

39. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني الناشر، دار الصابوني، القاهرة ،ط 1 ، 1997 م. 3/97.

40. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، 12 / 1226.

41. بناء الشخصية في القصة الإسلامية، مصطفى عليان، ص297.

42. فيض القدير شرح الجامع الصغير محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق أحمد عبد السلام،، دار الكتب العلمية، بيروت ،2004، 4 / 238 ، حديث رقم 5149 ،

43. سنن أبي داود، أبو داود، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف، الرياض ، 1417 هـ ، حديث رقم4344 ، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة 1/ 886 ، وما بعدها ، رقم 491 .

44. الحوار ورسم الشخصيات في القصة القرآنية. زكريا، عبد المرضي، ص 123 .

45. القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته ، فضل حسن عباس، دار الفرقان ، عمان، الأردن،22 ، 1992 ،ص 123 .

46. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني 3 / 98

47. يُنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 5/3080.

48. التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ط1 بيروت، دار الفكر العربي1993، 12 / 1247 .

49. الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، عبد المرضي زكريا ، مكتبة الزهراء، 1997م ص38.

50. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 2010. 324 / 12.

51. عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية، القاهرة، مكتبة الشباب 120.

52. الداعية الإيجابي في ضوء القرآن الكريم، قاسم، رياض، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2014 ، ص408

53. ينظر: بناء الشخصية في القصة الإسلامية، مصطفى عليان، ص 301 .

54. التفسير الكبير، الرازي 27/85.

55. التحرير والتنوير 25 / 95 .

56. التفسير الموضوعي 6/527.

57. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني برقم: (5668) 2/ 989.

58. سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية، عبد القادر الحمداني، دار الكتب العلمية بيروت، ص56

59. في ظلال القرآن، سيد قطب 5/3098.

60. ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية، الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية(1) ،٢٠٠٠م، ص154 .

61. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006 م.

62. التفسير الكبير، الرازي 27/50.

63. حم غافر–فصلت، محمد محمد أبو موسى 35.

64. الكشاف، الزمخشري 4/18.

65. ينظر: التفسير الموضوعي 6/535.

66. التحرير والتنوير، لابن عاشور 24/95.

67. البحر المحيط، أبو حيان 9/239.

68. ينظر: حم غافر، فصلت ، محمد محمد أبو موسى، ص 40–39

69. التحرير والتنوير، ابن عاشور 24/90.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

1. علاوي، نزيه محمد، الشخصيات القرآنية، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 1 ، 2006م.
2. الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 2010.
3. الألباني، محمد ناصرالدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، www. alalbany.net
4. البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتب العلمية، 2006.
5. البيضاوي، أنوار التنزيل من أسرار التأويل، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت).
6. بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي: الفضاء – الزمن – الشخصية، الدار البيضاء المركز الثقافي العربي، ط3 ، 1990
7. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت، دار الغرب، 1998.
8. جرار، مأمون فريز، خصائص القصة الإسلامية، جدة، دار المنارة للنشر والتوزيع،(د.ت).
9. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد التونجي، بيروت، الناشر دار الكتاب العربي، ط،2، 1997.
10. حسن، محمود السيد، روائع الإعجاز في القصص القرآني دراسة خصائص الأسلوب القصصي المعجز، الإسكندرية المكتب الجامعي الحديث للطباعة والنشر، ط 2 ،2003م
11. حسن، محمود السيد، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1981 م.
12. حسين، فهد، المكان في الرواية البحرينية»دراسة نقدية»، بيروت، فراديس للنشر والتوزيع، 2003 م.
13. حمدان، عبد الرحيم ،بناء الشخصية الرئيسية في رواية «عمر يظهر في القدس، «للروائي «نجيب الكيلاني»، المؤتمر الخامس لكلية الآداب، الجامعة الإسلامية ، غزة 2011.
14. الحمداني، عبد القادر، سور الحواميم، دراسة بلاغية تحليلية، بيروت، دار الكتب العلمية،(د. ت) .
15. أبو حيان، الأندلسي، تفسير البحر المحيط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط4، 1990م

16. الخطيب، عبد الكريم ، التفسير القرآني للقرآن، بيروت، دار الفكر العربي، ط3 ، 1991

17. أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق الألباني، الرياض، مكتبة المعارف، 1417 هـ

18. الدليمي، عدنان مهدي، الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية، دراسة في سور الطواسين، عمان، دار غيداء للنشر والتوزيع، 2013.

19. الدوسري، منيرة محمد، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار الجوزي، الدمام: ط 1، 1426هـ. ص351، 352.

20. الرازي، فخر الدين تفسير الرازي مفاتيح الغيب، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر ،1981 م.

21. زكريا، عبد المرضي، الحوار ورسم الشخصيات في القصص القرآني، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق، 1997م .

22. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف، الرياض، مكتبة العبيكان، ط أولى ،1998.

23. أبو السعود، محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم، إلى مزايا الكتاب الكريم، القاهرة، دار المصحف، (د.ت)

24. السيوطي، جلال الدين، مفحمات الأقران في مبهمات القرآن، الجزائر، دار الهدى للطباعة، (د.ت).

25. الشريف، عبد الرحيم، معالم الشخصية الإيجابية للدعاة من غير الأنبياء في القرآن الكريم، الأردن، مجلة دراسات علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد44، ملحق 2، 8 / 2017.

26. الشوكاني، تفسير فتح القدير، تحقيق سيد إبراهيم، القاهرة، دار الحديث، 2003 .

27. الصابوني، محمد علي، صفوة التفاسير، طبعة أولى، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع،1997 م

28. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار نهضة مصر، ط أولى، 1998.

29. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، الطاهر، تونس ، الدار التونسية للنشر،1984 م.

30. عباس، فضل حسن، القصص القرآني، إيحاؤه ونفحاته، عمان، دار الفرقان، 1992.

31. عثمان، عبد الفتاح، بناء الرواية، القاهرة، مكتبة الشباب، 1982.

32. عليان، مصطفى، بناء الشخصية في القصة الإسلامية، الأردن، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد44، سنة 1992.

33. قاسم، رياض، الداعية الإيجابي في ضوء القرآن الكريم، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثاني والعشرون، العدد الثاني، يونيو 2014م

34. فريز، مأمون، خصائص القصة الإسلامية، جرار، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة د.ت، ص 77.

35. فن القصة، محمد يوسف نجم دار الثقافة ط7، بيروت 1979.

36. القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، تقديم، خليل محيي الدين الميس، وضبط مراجعه صدقي جميل العطار، وخرج أحاديثه عرفات العشّا، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر،1954 م.

37. قطب، سيد، في ظلال القرآن، بيروت، دار الشروق، ط8، 1979 م.

38. قطب، سيد، التصوير الفني في القرآن، القاهرة، دار المعارف، ط 9، 1980 م.

39. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الكويت،، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط5 ، 2005.

40. اللحام، سعيد محمد، قصص القرآن الكريم، بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط 1 ، 1987.

41. الماضي، شكري عزيز، الدلالة الاجتماعية للشكل الروائي في روايات حنا مينة، مجلة فصول (3، 4)، مجلد (8) ، ديسمبر 1989 ، 32.

42. الماضي، شكري عزيز، فنون النثر العربي الحديث، منشورات جامعة القدس المفتوحة، 2008م.

43. المحص، عبد الجواد محمد، أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز، الإسكندرية، الدار المصرية، سلسلة الدراسات القرآنية(1) ،2000.

44. أبو موسى، محمد، آل حمم – غافر، دراسة في أسرار البيان، القاهرة، مكتبة وهبة، ط أولى، 2009م.

45. أبو موسى، محمد ، خصائص التراكيب، القاهرة ، مكتبة وهبة، 2006.

46. المشهدي، محمد بن محمد رضا القمي، كنز الدقائق وبحر الغرائب ومستدركاته، تحقيق: حسين دركاهي، طهران، مؤسسة شمس الضحى الثقافية، (د.ت) .

47. المناوي، محمد عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير تحقيق أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية، بيروت ،2004م.

48. نجم، محمد يوسف، فن القصة، بيروت، دار صادر، ط أولى، 1996.

49. نخبة من علماء التفسير وعلوم القران، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، بإشراف د. مصطفى مسلم، الشارقة، جامعة الشارقة كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، ط1 ، 2010.

50. النسفي، تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، دمشق، دار الكلم الطيب، ط أولى، 1998.

51. وادي، طه، دراسات في نقد الرواية، القاهرة، دار المعارف،1994.

52. نوفل، يوسف، قضايا الفن القصصي، دار النهضة العربية، القاهرة 1977 م.

المراجع باللغة الانجليزية:

1. *Allawi, Nazih Mohammed, Quranic figures, Amman, Dar Safa for publication and distribution, i 1, 2006.*
2. *Alusi, The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Quran and the Seven Blessed, Beirut, House of Revival of Arab Heritage, 2010.*
3. *Al-Albani, Mohammed Nasser al-Din al-Albani, the series of authentic conversations, www.alalbany.net*
4. *Al-Beka›i, Al-Durar Systems in Fit of Verses and Suras, Achievement: Abdul Razzaq Al-Mahdi, Beirut, Dar Al Kotob Scientific, 2006*
5. *Oval, download lights from the secrets of interpretation,, Shaaban Foundation for Publishing and Distribution, Beirut, (dt).*
6. *Bahrawi, Hassan, Structure of the narrative form: space - time - personality, Casablanca Arab Cultural Center, i 3, 1990*

7. *Tirmidhi, Sunan Tirmidhi, Achievement of Bashar Awad Maarouf, Beirut, Dar Al Gharb, 1998.*
8. *Jarrar, Mamoun Fariz, Characteristics of the Islamic story, Jeddah, Dar Al-Manara for publication and distribution, (dt).*
9. *Al-Jirjani, Abdel-Qaher, Signs of Miracles, Achievement by Muhammad Al-Tunji, Beirut, Publisher Dar al-Kitab al-Arabi, I, 2, 1997.*
10. *Hassan, Mahmoud El-Sayed, Masterpieces of Miracles in Quranic Stories Study of the Characteristics of the Miracle Story Style, Alexandria Modern University Office for Printing and Publishing, 2nd Floor, 2003*
11. *Hassan, Mahmoud El-Sayed, Language Miracles in the Quranic Story, Alexandria, University Youth Foundation, 1981.*
12. *Hussein, Fahd, the place in the Bahraini novel «A critical study», Beirut, Fradis for publication and distribution, 2003.*
13. *Hamdan, Abdul Rahim, Building the main character in the novel «Omar appears in Jerusalem,» novelist «Najib Kilani», the fifth conference of the Faculty of Arts, Islamic University, Gaza 2011.*
14. *Al-Hamdani, Abdel-Kader, Hawamim wall, an analytical rhetorical study, Beirut, Dar Alkotob Scientific, (dt).*
15. *Abu Hayyan, Andalusia, the interpretation of the surrounding sea, Beirut, Dar revival of Arab heritage, i 4, 1990*
16. *Khatib, Abdul Karim, the interpretation of the Koran to the Koran, Beirut, Dar Arab thought, i 3, 1991*
17. *Abu Dawood, Sunan Abu Dawood, the achievement of Albany, Riyadh, Library of Knowledge, 1417 e.*
18. *Dulaimi, Adnan Mahdi, rhetorical miracle in the story of the Koran, a study in the wall of Tawasin, Amman, Dar Ghaida for publication and distribution, 2013.*
19. *Al-Dosari, Munira Mohammed, the names of the Quran and its virtues,, Dar al-Jawzi, Dammam: I 1, 1426 e. Pp. 351, 352.*
20. *Al-Razi, Fakhruddin Tafsir Razi Keys of the Unseen, Beirut, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing, 1981.*
21. *Zakaria, Abdel Mardi, dialogue and drawing characters in the stories of the Koran, Cairo, Zahra Library East, 1997.*
22. *Zamakhshari, Jarallah Mahmoud bin Omar, Scouts, Riyadh, Obeikan Library, first floor, 1998.*
23. *Abu Saud, Mohammed bin Mohammed, guidance of the sound mind, to the advantages of the Holy Book, Cairo, the House of the Koran, (dt)*
24. *Suyuti, Jalaluddin, peer charms in the vagaries of the Koran, Algeria, Dar Al-Huda for printing, (d).*
25. *Al-Shareef, Abdul Rahim, The Positive Characteristics of Non-Prophets in the Holy Quran, Jordan, Journal of Sharia and Law Studies, University of Jordan, Vol. 44, Supplement 2, 8/2017.*
26. *Al-Shawkani, The Interpretation of Fateh Al-Qadeer, Achieving Sayed Ibrahim, Cairo, Dar Al-Hadith, 2003*
27. *Al-Sabouni, Mohammad Ali, Safwat Al-Tafsir, 1st edition, Cairo, Dar Al-Sabouni for Printing, Publishing and Distribution, 1997*
28. *Tantawy, Mohamed Sayed, Interpretation of the Holy Quran, Cairo, Dar Nahdet Misr, I, 1998.*
29. *Interpretation of Liberation and Enlightenment, Ibn Ashour, Taher, Tunisia, Tunisian Publishing House, 1984.*
30. *Abbas, Fadl Hassan, Qur›anic Stories, Revelation and Nfath, Amman, Dar Al-Furqan, 1992.*
31. *Othman, Abdel Fattah, Building the novel, Cairo, Youth Library, 1982.*
32. *Olayan, Mustafa, Building the character in the Islamic story, Jordan, Journal of the Arab Academy of Jordan, No. 44, 1992.*
33. *Qasim, Riyad, the positive preacher in the light of the Holy Qur›an, Journal of the Islamic University of Islamic Studies, Volume XXII, No. II, June 2014*
34. *Freez, Mamoun, Characteristics of the Islamic story, Jarrar, Dar al-Manara for publication and distribution, Jeddah, d.*
35. *The art of the story, Mohamed Youssef Najm House of Culture, 7th floor, Beirut 1979.*
36. *Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed, the Whole of the provisions of the Koran, the presentation, Khalil Mohiuddin al-Mays, and the control of the review Sidqi Jamil al-Attar, and came out his conversations Arafat al-Asha, Beirut, Dar al-Fikr for printing and publishing, 1954.*
37. *Qutb, Sayed, in the shadows of the Koran, Beirut, Dar al-Shorouk, i 8, 1979.*
38. *Qutb, Sayed, art photography in the Koran, Cairo, Dar al-Maaref, I 9, 1980.*
39. *Ibn Katheer, The Interpretation of the Great Quran, Kuwait, Society for the Revival of Islamic Heritage, 5th edition, 2005.*
40. *Welding, Said Mohammed, stories of the Koran, Beirut, Hilal House and Library, i 1, 1987.*
41. *Al-Madhi, Shukri Aziz, The Social Significance of the Novel Form in Hanna Mina›s Novels, Fasoul Journal (3, 4), Vol. 8, December 1989, 32.*
42. *Al-Madhi, Shukri Aziz, Modern Arab Prose Arts, Al-Quds Open University Publications, 2008.*
43. *Al-Mahas, Abdel Gawad Mohamed, Literature of the Story in the Holy Quran, An Analytical Study on the World of Miracles, Alexandria, Egypt, The Qur›anic Studies Series (1), 2000.*
44. *Abu Musa, Mohammed Mohammed, the lava - Ghafir, a study in the secrets of the statement, Cairo, Wahba Library, the first, 2009.*
45. *Abu Mousa, Mohammed Mohammed, Characteristics of structures, Cairo, Wahba Library, 2006.*
46. *Al-Mashhadi, Mohammad Bin Mohammad Reza Al-Qomi, The Treasure of Minutes and the Sea of Strange Things, by: Hussein Darakahi, Tehran, Shams Al-Duha Cultural Foundation, (d).*
47. *Al-Manawi, Mohammed Abdel Raouf, Faiz al-Qadeer, explaining the small mosque, investigated by Ahmed Abdel Salam, Dar Al Kotob Scientific, Beirut, 2004.*
48. *Najm, Mohamed Youssef, the art of the story, Beirut, Dar Sader, the first, 1996.*
49. *A group of scholars of interpretation and Quranic sciences, the objective interpretation of the Holy Quran, under the supervision of d. Mustafa Muslim, Sharjah, University of Sharjah College of Graduate Studies and Scientific Research, 1st floor, 2010.*
50. *Al-Nasafi, Al-Nasafi Tafseer, The Perception of Download and the Facts of Interpretation, Damascus, Dar Al-Kalam Al-Tayeb, I Awla, 1998.*
51. *Wadi, Taha, Studies in Criticism of the Novel, Cairo, Dar Al Maaref, 1994.*
52. *Nofal ,. Yousef, Issues of Fiction, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Cairo, 1977.*

استراتيجيات تعلم اللغة العربية وأثرها في مستوى الاهتمام باللغة العربية لدى طلبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير (سونكلا نكرين) شطر فطاني بدولة تايلاند

Learning Strategies of Arabic Language and Its Impact on the Level of Interest in Arabic Language Among Students at the College of Islamic Studies, University of Prince Songkhla Nikreen, Thailand

د. توفيق بن إسماعيل بن سعيد
أستاذ مساعد/ الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا/ كوالا لمبور

أ. أمير تانونج ساك فانديننج
طالب دكتوراه/ جامعة الأمير "سونكلا نكرين" شطر فطاني/ تايلند

د. محمد صبري شهرير سعد
أستاذ مشارك/ الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا/ كوالا لمبور

Dr.Taufik Ismail Said
Assistant Professor/ International Islamic University Malaysia (IIUM)/ Kuala Lumpur
taufik@iium.edu.my

Mr. Amir Thannongsak Pandang
University of Prince Songkhla Nikreen/ Thailand
Thanongsak_psu@hotmail.com

Dr. Muhammad Sabri Sahrir Saad
Associate Professor/International Islamic University Malaysia (IIUM)/ Kuala Lumpur
muhdsabri@iium.edu.my

تاريخ الاستلام: 23/ 5/ 2019م، **تاريخ القبول:** 13/ 10/ 2019م.
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835

Received: 23/ 5/ 2019, **Accepted:** 13/ 10/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604850
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

إن استراتيجيات التعلّم إحدى الطرائق الأساسية لمساعدة الطلاب على إتقان اللغة واستيعابها بنجاح، وهي استخدام استراتيجيات معيّنة في أثناء تعلّم اللغة، ويكون المتعلم واعيًا بذلك أو دون وعي في استخدامه استراتيجيات تعلّم اللغة للتغلب على الصعوبات التي يواجهها في أثناء عملية التعلّم. لهذا يهدف هذا البحث إلى تعرف استراتيجيات تعلم اللغة العربية التي يستخدمها طلبة كلية الدراسات بجامعة الأمير "سونكلا نكرين" شطر فطاني بدولة تايلاند، ومستوى اهتمامهم باللغة العربية في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة بالجامعة. يقوم الباحثون باستخدام الاستبانة بوصفها أداة أساسية لهذا البحث، إذ توزع الاستبانات على عينة البحث. واستعان الباحثون باستبانة قائمة الاستراتيجيات في تعلم اللغة صيغة (Oxford strategy inventory for language (7.0) learning (SILL) منبثقة من تصنيف رابيكا أكسفود (1990م)، مترجمة إلى اللغة التايلاندية حتى يفهمها الطلبة فهما جيدًا. لقد أشارت الدراسة إلى أنَّ مستوى استخدام استراتيجيات تعلم اللغة لدى عينة البحث يظهر بشكل معتدل على وجه العموم، سواء أكان ذلك في المستوى العام، أم في مستوى المحاور الستة، وفي الوقت نفسه فإنَّ هناك استخدامًا للاستراتيجيات الستة بشكل متنوع لدى المتعلمين، ما يؤدّي إلى فروق في استخدام استراتيجيات التعلم على مستوى الفقرات سواء في مستوى المرتفع، أو المتوسط، أو المنخفض على التوالي.

كلمات مفتاحية: استراتيجيات التعلّم، اللغة العربية، استبانة قائمة الاستراتيجيات، صعوبة التعلم، الجامعة.

Abstract:

Learning strategies are one of the key ways to help students in mastering and understanding a language successfully. This can be done through using certain strategies during language learning. The learner is consciously or unconsciously using language-learning strategies to overcome difficulties in learning. This is aimed at identifying the Arabic language learning strategies used by the students of the University of Prince Songkhla Nikreen University, Thailand and their level of interest in Arabic in the use of language learning strategies at the University. The researchers used the questionnaire as a main tool for this research, where the questionnaires are distributed on the research sample. The researcher will use the language strategy of the Oxford Strategy Inventory for Language Learning (SILL) which will be translated into Thai language for students to understand it well. The study noted that the level of use of language learning strategies in the research sample appears moderately in general, either at the general level or at the level of the six axes. At the same time, the six strategies are used in a variety of learners, resulting in differences in the use of learning strategies at the level of paragraphs, both at the level High, or Low Smooth, or Low respectively.

***Keywords**: Learning Strategies, Arabic Language, List of Strategies, Learning Difficulty, University*

مقدمة:

إن استراتيجيات التعلّم إحدى الطرائق الأساسية في مساعدة الطلاب على إتقان اللغة واستيعابها بنجاح، والطالب الذي يستخدم استراتيجيات معيّنة في أثناء تعلّم اللغة، غالبًا سيكون متعلمًا جيدًا للغة[1]. يدرك الباحثون أهم الأمور المختلفة التي تؤدي إلى تحقيق النجاح في اللغة العربية بالنظر إلى أن طرق التعلم من العوامل الأساسية في تنمية قدرة اللغة، وهي تشجع المتعلمين على استخدام استراتيجيات تعلم اللغة أكثر دقةً وجودةً.

ومن الجدير القول، إن مجال البحث في استراتيجيات تعلم اللغة مازال نادرًا وحديثَ عهد، وبخاصة في تعلم اللغة العربية وتعليمها للناطقين بغيرها. تحاول هذه الدراسة أن تلقي الضوء على ماهية استراتيجيات تعلم اللغة العربية، وأثر مستوى الاهتمام في اللغة العربية لدى الطلبة الناطقين بغيرها في كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير «سونكلا نكرين» شطر فطاني؛ لتكون عونًا للمتعلمين في الإفادة منها لتحديد أساليب تعلم اللغة العربية، وإثراء البحث في مجال استراتيجيات تعلم اللغة العربية. وثمة أبحاث تشير إلى أن الدارسين يوظفون عادة استراتيجيات متنوعة في تعلم مفردات اللغة العربية.

مشكلة البحث:

تبرز مشكلة البحث في تعرف ماهية استراتيجيات تعلّم اللغة العربية لدى الطلبة الناطقين بغيرها، فقد ذكرت «نونج لكسنا كاما» أن المتعلم بوعي أو دون وعي يستخدم استراتيجيات تعلّم اللغة للتغلب على الصعوبات التي يواجهها في أثناء عملية التعلّم[2]. وتمثل هذه الطريقة إحدى الطرائق للحصول على النجاح في تعلّم اللغة واكتشاف ضعف المتعلم أثناء تعلّمها. بينما ذكر «ويل لينج» (Willing) أن من أسباب ضعف الطلاب في تعلّم اللغة وقلة معرفتهم باستراتيجيات تعلّم اللغة. وأضاف أيضًا أن الطلاب لا يقدرون على اختيار استراتيجيات تعلّم اللغة المناسبة بأنفسهم[3].

إن استخدام استراتيجيات تعلّم اللغة ذو علاقة قوية في استيعاب مهارة الكلام، فقد ذكرت «ثريا» أن نجاح إتقان مهارة الكلام في اللغة العربية ذو علاقة قوية بالاستراتيجيات المستخدمة لدى الطلاب. وكذلك، ذكر إبراهيم صدّيق أنه يجب على الطالب أن يكون واعيًا باستخدام استراتيجيات التعلّم من أجل تعلّم لغة أجنبية بشكل فعّال[4]. يتضح هنا أن نجاح دراسة اللغة للناطقين بغيرها ذو علاقة قوية باستراتيجيات تعلم اللغة. لذا، فإن هذا البحث سوف يسعى حثيثًا إلى إجراء دراسة علمية في كشف عن استراتيجيات تعلم اللغة العربية لدى الطلبة التايلانديين من تخصصات مختلفة غير العربية بكلية الدراسات الإسلامية حتى يستفيدوا في التغلب على الصعوبات التي يواجهونها في أثناء تعلم اللغة العربية واستيعابها.

تاريخ تأسيس جامعة الأمير سونكلا نكرين شطر فطاني

إن جامعة الأمير «سونكلا نكرين» شطر فطاني هي أول جامعة في جنوب تايلاند التي تأسست في عام 1968م، بمحافظة فطاني، وهي تضم 8 كليات، منها كلية الدراسات الإسلامية التي تأسست في عام 1992م، إذ هدفت إلى أن تكون مركزا للتربية، والبحوث الأكاديمية، والآداب الإسلامية، والخدمات للمجتمع، ويشمل على إنتاج الطلبة الذين يمتلكون المعارف الإسلامية في جميع التخصصات[5].

أسئلة البحث:

سوف يحاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما استراتيجيات تعلم اللغة العربية التي يستخدمها طلبة كلية الدراسات الإسلامية؟
- هل هناك فروق بين الجنسين في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة لدى الطلبة بكلية الدراسات الإسلامية؟
- ما أثر مستوى الاهتمام باللغة العربية في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة لدى طلبة كلية الدراسات الإسلامية؟

منهجية البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الكمي في دراسة استراتيجيات تعلم اللغة العربية لدى طلبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير «سونكلا نكرين» شطر فطاني. وتكمن أهيمة هذا البحث الكمي في محاولة دراسة معارف الإنسان وأفكاره وسلوكياته من أجل الحصول على النتائج العقلانية المناسبة[6]. ويقوم الباحثون بتحليل البيانات عبر برنامج (SPSS) من أجل كشف الاستراتيجيات المستخدمة عند متعلمي اللغة، وذلك باستخدام قائمة استراتيجيات تعلم اللغة (SILL) صيغة (7.0) بوصفها أداةً للبحث من أجل الحصول على الإجابات المطلوبة. وكذلك يقوم الباحثون باستخدام اختبار قيمة (ت) (T.Test) من أجل معرفة استخدام استراتيجيات للتعلم وفقًا للمتغيرة المستقلة: الجنس، مع التحليل التباييني (ANOVA)، من أجل معرفة أثر المتغير المستقل: مستوى الاهتمام باللغة، وذلك في محاولة للإجابة عن أسئلة البحث.

أداة البحث:

لقد اعتمد الباحثون على الاستبانة بوصفها أداة أساسية لهذا البحث، إذ توزع الاستبانات على عينة البحث. وهي استبانة قائمة لالاستراتيجيات في تعلم اللغة صيغة (7.0)-Oxford strategy inventory for language learning (SILL)) منبثقة من تصنيف (رابيكا أكسفود)[7]، إذ يترجمها الباحثون إلى اللغة التايلاندية ليفهمها الطلبة جيدًا.

وتنقسم هذه الاستبانة إلى قسمين، الأول يحتوي على المعلومات العامة لأفراد العينة، أما الثاني فيحتوي على قائمة استراتيجيات تعلم اللغة، المكونة من 50 فقرة، وتحدد الإجابة عن فقرات الاستبانة بدرجات متدرجة من 5–1 (بتاتًا، قليلاً، أحيانًا، غالبًا، دائمًا). ومن ثم، سيقوم الباحثون بتحليل البيانات باستخدام برنامج (SPSS) ما يؤدي إلى نتائج إحصائية لتعرف مدى اختلافها لإظهار السلوك الواقعي في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة، وتردد استخدامها في كل أنواعها، كما يمكننا أن نتعرف آثار المتغيرات الأساسية في استخدامها.

تحليل نتائج الدراسة:

يصف الجزء الأول من نتائج الدراسة الخلفية الأساسية لعينة البحث وفقًا لجنسهم، ومستويات اهتمامهم باللغة العربية. ويعرض الجزء الثاني الإجابات عن كل الأسئلة البحثية الثلاثة وهي: استراتيجيات تعلم اللغة العربية التي يستخدمها طلبة كلية الدراسات الإسلامية، والفروق بين الجنسين في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة لدى الطلبة، وأثر مستوى اهتمامهم باللغة العربية في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة. لذلك، **يحاول الباحثون الطرح من خلال هذه النتائج إلى الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التي أثارتها الدراسة على النحو الآتي:**

أ. تحليل البيانات الديمغرافية لعينة البحث:

تتكون عينة البحث في هذه الدراسة من 180 طالبًا وطالبة، وهم من طلبة كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمير «سونكلا نكرين» شطر فطاني في الفصل الدراسي 2014 /2015م. وهناك نوعان من الخصائص الديموغرافية من عينة البحث، وصفت في الجدول (1) أدناه.

الجدول رقم (01):

بيانات خصائص الديموغرافية لعينة البحث

الخصائص الديموغرافية	الفئة	التردد (N=180)	النسبة المئوية
الجنس	الذكور	40	22.2
	الإناث	140	77.8
مستوى الاهتمام باللغة العربية	قليل جدًا	1	0.6
	قليل	23	12.8
	إلى حدما	89	49.4
	كبير جدًا	67	37.2

كما هو مبين في الجدول (9) أعلاه، كان معظم المشاركين في هذه الدراسة من الإناث، وبلغ عددهن 140 طالبة بنسبة (77.8 %). وهذا العدد يمثل ثلاثة أضعاف عدد الطلاب الذكور، والذي بلغ عددهم 40 طالبًا بنسبة (22.2 %). لذلك، وبالنظر إلى الجدول أعلاه في جانب الاهتمام باللغة العربية، نجد أنَّ أكبر تكرار التردد هو الاهتمام باللغة العربية (إلى حد ما) والذي بلغ 89 طالبًا بنسبة 49.4 % ، وهو في مستوى أكبر من بقية المستويات الأخرى. بينما نسبة التردد في مستوى الاهتمام باللغة العربية (جداً)، فيمثل ثاني أكبر عدد الترددات؛ إذ بلغ عددها 67 طالبًا بنسبة مئوية 37.2 %. وعلى العكس من ذلك، فإنَّ نسبة (الاهتمام باللغة العربية قليل) في مستوى منخفض بتكرار وصل إلى 23 طالبًا، ويمثل نسبة مئوية قدرها 12.8 %. وتليها نسبة التردد في مستوى (الاهتمام باللغة العربية قليل جدًا)، إذ وصلت نسبتها إلى 0.6 %، أي أنها في أدنى مستوى من بقية المستويات الأخرى على التوالي.

ب. تحليل البيانات ونتائج أسئلة البحث.

لقد قام الباحثون باستخدام معيار أكسفورد[8] من أجل قياس مستويات التردد في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة كما يأتي أدناه:

الجدول رقم (02)

معيار أكسفورد

الوزن النسبي	مستوى الاستخدام
5.0 - 4.5	مرتفع جدًا
4.4 - 3.5	مرتفع
3.4-2.5	معتدل
2.4-1.5	منخفض
1.4-1.0	منخفض جدًا

ويتكون هذا القسم من قسمين رئيسيين، من أجل الإجابة عن الأسئلة البحثية الثلاثة على النحو الآتي:

أولا- ما استراتيجيات تعلم اللغة العربية التي يستخدمها طلبة كلية الدراسات الإسلامية؟

قام الباحثون بعرض نتائج التحليل الإحصائي الذي جاء في ثلاثة مستويات؛ وهي: المستوى العام، ومستوى المحاور، ومستوى الفقرات، وذلك أظهر نتيجة التحليل لاستخدام استراتيجيات تعلم اللغة كما يأتي :

نتائج التحليل لاستبانة استراتيجيات تعلم اللغة الست لعينة الدراسة وفقا للفقرات:

لقد بيّنت الجداول اللاحقة نتائج التحليل لاستبانة استراتيجيات تعلم اللغة لدى عينة البحث في ستة جداول تبعًا لأنواع الاستراتيجيات الست في تعلم اللغة، مع بيان أعلى درجة وأدناها، ويتضح ذلك من الجدول (03) أدناه:

الجدول رقم (03)

محور الاستراتيجيات التذكرية (Memory Strategies)

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي
1	أراجع الدروس العربية غالبًا.	5.0	43.3	43.3	7.8	0.6	2.56
2	أستخدم القافية لتذكر الكلمات العربية الجديدة.	7.8	36.7	41.7	12.2	1.7	2.63
3	أستخدم البطاقات التعليمية لتذكر الكلمات العربية الجديدة.	14.4	40.0	32.2	10.6	2.8	2.47
4	أتذكر الكلمة الجديدة عن طريق تكوين صورة ذهنية للوضع أو السياق الذي يمكن أن تستعمل فيه.	12.2	31.7	40.6	12.8	2.8	2.62
5	أفكر في العلاقة بين ما أعرفه من قبل وبين الأشياء الجديدة التي أتعلمها في اللغة العربية.	6.7	29.4	43.9	16.1	3.9	2.81
6	أتذكر الكلمات الجديدة عن طريق إنشاء الجمل من المفردات.	7.2	33.9	42.8	13.9	2.2	2.70
7	أستخدم الإيماءات لتذكر الكلمات العربية الجديدة.	8.3	30.0	41.7	15.6	4.4	2.78
8	أتذكر الكلمات الجديدة عن طريق تذكر مكان وجودها في الصفحة الكتاب أو على لوحات الشارع.	12.8	36.1	34.4	15.6	1.1	2.56
9	أحاول أن أجد صلة ما بين صوت الكلمة العربية الجديدة وصورتها حتى أتمكن من تذكرها.	8.3	40.0	32.8	17.2	1.7	2.64

وبالنظر إلى الجدول (03) أعلاه، نلاحظ أنَّ أكثر الاستراتيجيات استخدامًا عند الطلبة يتمثل في الاستراتيجيات التذكرية، وهي الموجودة في الفقرة الخامسة؛ إذ بلغت نسبتها (2.81)، وهذا العدد يدل على أنَّ هؤلاء الطلبة يفضلون الربط بين ما يعرفونه من قبل وبين الأشياء الجديدة التي يتعلمونها في اللغة العربية؛ لتساعدهم على فهم اللغة بطريقة أسهل، أي أنهم يحاولون الربط بين المعارف الأصلية لديهم، والمتعلقة باللغة العربية مثل قواعد اللغة، والمفردات اللغوية، والجمل، والكلمات الجديدة، أو القواعد الجديدة التي يدرسونها من أجل فهمها بصورة أسهل وأحسن. وكذلك الفقرة السابعة نسبتها ليست بعيدة كثيرًا عن الفقرة الخامسة، إذ وصلت النسبة إلى (2.78) وهي معتدلة. وهذا يدل على أنهم يميلون إلى الأداء من أجل تذكر الجمل العربية ومفرداتها، وعلى سبيل المثال، استخدام المشاعر، والإيماءات المصاحبة للتعبير، أو استخدام تقنيات مختلفة وأدوات تعليمية متعددة من أجل المساعدة على التذكر. وبالمقابل، فإنَّ أدنى درجة في الفقرة الثالثة وصلت النسبة فيها إلى (2.47). وهذا يدلّ على أنَّ معظم الطلبة لا يفضلون طريقة استخدام البطاقات التعليمية التي تساعد على تذكر الكلمات الجديدة، وقد يكون سبب ذلك لأنهم ينظرون إليها باعتبارها وسيلة تعليمية قديمة، ويستطيعون اختيار استراتيجيات أخرى من أجل مساعدتهم على التذكر أحسن منها. بينما ثاني أكبر نسبة التردد في الفقرتين إحداهما الفقرة الأولى، والأخرى الفقرة الثامنة حيث تكون نسبة كل منهما (2.56). وهذا يدلّ على أنَّ هاتين الاستراتيجيتين مازالتا لا تحظيان بشعبية لدى المتعلمين.

الجدول (04)

محور الاستراتيجيات المعرفية (Cognitive Strategies)

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي
10	أتدرب على نطق الأصوات العربية.	6.7	23.3	42.8	17.2	10.0	3.01
11	أبادر إلى بدء المحادثة باللغة العربية.	9.4	35.6	32.8	17.8	4.4	2.72
12	أحاول أن أتكلم العربية كالناطقين بها	8.9	33.9	33.3	17.8	6.1	2.78
13	أكتب ملاحظات، الرسائل أو التقارير باللغة العربية.	21.1	29.4	25.0	17.2	6.7	2.59
14	أشاهد البرامج التلفزيونية أو الأفلام باللغة العربية.	25.6	36.1	27.2	8.3	2.8	2.27
15	عندما أقرأ نصًا باللغة العربية أقرأه أولًا بسرعة ثم أعود إليه لأقرأه بدقة وانتباه.	7.2	43.9	35.0	8.9	5.0	2.61
16	أنطق الكلمات الجديدة وأكتبها أكثر من مرة	11.7	48.9	28.3	10.6	,6	2.39
17	أجد معنى الكلمة الجديدة عند تقسيمها إلى تصنيفات ليسهل فهمها.	11.1	39.4	35.0	12.2	2.2	2.55
18	أقرأ الكتب العربية الإضافية.	21.7	47.8	17.8	11.1	1.7	2.23
19	أقرأ العربية من أجل الاستمتاع.	20.6	43.3	23.9	8.9	3.3	2.31
20	أبحث عن الطرق الدراسية لتحسين تعلم اللغة.	6.7	20.6	29.4	26.7	16.7	3.26
21	أستخدم الكلمات العربية التي أعرفها في مواقف مختلفة.	7.8	40.0	41.1	9.4	1.7	2.57
22	أحاول أن لا أترجم حرفيًا عندما أدرس نصًا عربيًا.	12.8	38.9	36.7	6.7	5.0	2.52
23	ألخص المعلومات التي أقرأها أو أسمعها باللغة العربية.	17.8	46.7	24.4	8.3	2.8	2.32

يتّضح من الجدول (04) أعلاه في الاستراتيجيات المعرفية الأعلى؛ أنَّ أكثر درجة في الفقرة العشرين التي حققت نسبة (3.26) وهذا يدل على أنَّ الطلبة بحاجة إلى تحسين تعلم اللغة إذ يحاولون أن يبحثوا عن طرائق مختلفة من أجل مساعدتهم على تعلم اللغة العربية بشكل أفضل واستيعابها بصورة أحسن. بينما كانت نسبة الفقرة العاشرة في الدرجة العالية أيضًا وبلغت نسبتها (3.01). وهذا يشير إلى أنَّ الطلبة يحتاجون إلى ممارسة نطق اللغة العربية، ويفضلون التطبيقات أكثر، ما يؤدّي إلى معرفة أنهم لم يدرسوا اللغة العربية بوصفها لغة إجبارية فقط ولكنهم يحتاجونها لأنفسهم؛ لأن النطق باللغة العربية غير ضروري عندهم في هذه الكلية. وبالمقابل، فإنَّ نسبة الفقرة الثامنة عشرة في درجة أدنى، وأقل من فقرات أخرى ووصلت نسبتها (2.23). كما أنَّ نسبة الفقرة الرابعة عشرة في درجة منخفضة أيضاً ؛ إذ وصلت النسبة إلى (2.27). وذلك يشير إلى أنَّ معظم الطلبة لا يميلون إلى قراءة الكتب العربية الإضافية ويكتفون بقراءة الكتب التعليمية في الفصل، ولا يفضلون مشاهدة البرامج التلفزيونية أو الأفلام باللغة العربية، وهذا يدل على أنهم يركزون على تعلم اللغة العربية في الفصل الدراسي أكثر من تعلمها خارج الفصل. أما بقية الفقرات الأخرى، فهي في المستوى المتوسط. وهذا يشير إلى أنَّ الطلبة يميلون إلى تطبيقات اللغة العربية وممارستها بشكل معتدل، وهذا يعدّ جيداً لدى الطلبة غير المتخصصين في اللغة العربية.

الجدول (05)

محور الاستراتيجيات التعويضية (Compensation Strategies)

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي	الرقم
24	أحاول أن أخمن معنى الكلمات غير المألوفة حتى أستطيع فهمها.	6.1	33.9	37.2	15.0	7.8	2.84	24
25	أستعمل الإشارات عندما لا أستطيع أن أجد كلمة عربية مناسبة خلال المحادثة.	9.4	32.2	36.7	13.9	7.8	2.78	25
26	أصنع كلمات جديدة إذا لم أعرف الكلمات العربية الصحيحة.	22.2	37.8	26.7	9.4	3.9	2.35	26
27	أقرأ النص العربي دون أن أبحث عن معنى كل كلمة من القاموس.	24.4	38.3	22.2	11.7	3.3	2.31	27
28	أحاول أن أخمن ما سيقوله المتحدث الآخر بالعربية.	7.8	34.4	31.7	20.6	5.0	2.96	28
29	إذا لم أجد الكلمة العربية، أستعمل كلمة أو عبارة أخرى تحمل المعنى نفسه.	8.3	36.7	34.4	17.2	3.3	2.71	29

يبين الجدول (05) أعلاه النسبة المئوية للاستراتيجيات التعويضية. ومن هذا الجدول، نلاحظ أنَّ النسبة المئوية للفقرة الثامنة والعشرين أقصى من غيرها، إذ بلغت (2.96)، بينما النسبة المئوية للفقرة الرابعة والعشرين بعدها مباشرة، إذ وصلت نسبتها المئوية (2.84). وهذا يشير إلى أنَّ أغلبية الطلبة يميلون إلى طريقة تخمين المعاني للمفردات العربية في التعلم، أي أنهما استراتيجيتان تساعدان على التخمين ؛إذ تعتمد على الإرشاد اللغوي والإرشاد غير اللغوي مثل السياق، والمواقف، وبنية النص. ولذلك، يفضلهما المتعلمون أكثر من غيرهما. وهذا أيضا يدلّ على أنَّ الطلبة يتمتعون بمحاولة تعلم اللغة العربية حتى إن لم يتمتعوا بثروة لغوية كبيرة، ولكنهم يحاولون أن يخمنوا معاني الكلمات المختلفة. أما بقية الفقرات الأخرى، فجميعها في المستوى القريب منها: النسبة المئوية للفقرة الخامسة والعشرين، والفقرة التاسعة والعشرين، والفقرة السادسة والعشرين، والفقرة السابعة والعشرين فقد وصلت نسبة التردد فيها جميعًا إلى (2.78، 2.72، 2.35، 2.31) على التوالي. وبالنظر إلى النسبة المئوية في كل الفقرات؛ نجد أنها كلها في المستوى المتقارب، أي أنَّ النسب تراوحت بين (2.31 – 2.96)، وهذه التقارب النسبي يدل على أنَّ الطلبة يفضلون بشكل معتدل في استعمال الإشارات والإيماءات المصاحبة، والكلمات ذات المعاني المماثلة والمتشابهة، وصناعة الكلمات الجديدة عندما لا يجدون الكلمة العربية الصحيحة خلال تعلم اللغة أو المحادثة. وهذا يعدّ علامة جيدة لتعلم اللغة لدى الطلبة غير المتخصصين في اللغة العربية.

الجدول (06)

محور الاستراتيجيات فوق المعرفية (Metacognitive Strategies)

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي
30	أبحث عن أشخاص أستطيع أن أتحدث باللغة العربية معهم.	11.7	29.4	33.3	18.9	6.7	2.79
31	أستمع بانتباه عندما يتحدث شخص ما باللغة العربية.	6.1	18.9	31.7	24.4	18.3	3.41
32	أحاول أن أجد طرائق كثيرة من أجل ممارسة اللغة العربية.	5.6	28.9	30.0	20.6	15.0	3.11
33	أحاول أن أبحث عن طرق تساعدني لكي أكون متعلمًا جيدًا في اللغة العربية.	4.4	21.7	34.4	25.0	14.4	3.23
34	أبحث عن فرص من أجل القراءة باللغة العربية.	8.3	15.0	35.0	28.3	13.3	3.23
35	أرتب جدولي حيث يكون عندي وقت كافٍ لدراسة اللغة العربية.	7.8	40.0	35.6	11.1	5.6	2.67
36	عندي هدف واضح من أجل تحسين اللغة العربية.	3.9	30.0	38.9	22.2	5.0	2.94
37	أفكر بطرائق متقدمة في تعلم العربية.	5.0	24.4	41.1	22.8	6.7	3.02
38	أحاول أن ألاحظ أخطائي المرتكبة من أجل تحسين أدائي.	8.9	31.1	36.7	17.8	5.6	2.80

بيّن الجدول (06) درجة نسبة التردد للاستراتيجيات فوق المعرفية. نظرا إلى النسبة بشكل معتدل، نجد أكثر نسبة كانت في الفقرة الواحدة والثلاثين؛إذ تصل نسبتها إلى أقصى مستوى معتدل من غيرها، إذ بلغت (3.41)، وهذا يشير إلى أنَّ الطلبة يرغبون في تعلم اللغة العربية في المستوى المطلوب، ويحتاجون إلى تنميتها. وهذه الاستراتيجية تساعد الطلبة على الاهتمام بتعلم اللغة العربية بشكل أفضل. وهناك أربع فقرات ظهرت نسبتها بشكل معتدل ليست بعيدة جداً عن الفقرة السابقة، ومنها الفقرات الثالثة والثلاثون، والرابعة والثلاثون، والثانية والثلاثون، والسابعة والثلاثون، إذ بلغت نسبها (3.23، 3.23، 3.11، 3.02) على التوالي. وهذه الاستراتيجيات الأربعة هي استراتيجيات تنظيم التعلم والتخطيط فيها، مثل الفقرة الثالثة والثلاثين التي هي محاولة للبحث عن طرق مساعدة متعلمي اللغة لكي يكونوا متعلمين جيدين في اللغة العربية، والفقرة الرابعة والثلاثون التي تبحث عن فرص من أجل القراءة باللغة العربية بصورة أفضل، والفقرة الثانية والثلاثون في محاولة البحث عن طرق متنوعة من أجل ممارسة اللغة العربية، والفقرة السابعة والثلاثون في التفكير بطرائق متقدمة في تعلم العربية. ومن هذه الاستراتيجيات المذكورة، نجد أنَّ الطلبة يحتاجون إلى التطوير في تعلم اللغة العربية، ويريدون تنميتها بشكل أفضل. وجاءت بقية الفقرات الأخيرة في المستوى المتوسط، ليست بعيدة جداً عن غيرها، ومنها الفقرات السادسة والثلاثون، والثامنة والثلاثون، والثلاثون، والخامسة والثلاثون، إذ وصلت النسبة فيها إلى (2.94، 2.80، 2.79، 2.67) على التوالي. وهذا يدلّ على أنَّ الطلبة يهتمون بتنظيم الوقت الدراسي، ويكون هدفهم واضحاً في تعلم اللغة العربية، ويهتمون بالأخطاء الذاتية من أجل تحسين اللغة.

الجدول (07)

محور الاستراتيجيات الوجدانية (Affective Strategies)

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي
39	أحاول أن أسترخي عندما أشعر بالخوف من استعمال العربية.	10.0	27.2	39.4	17.2	6.1	2.82

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي
40	أشجع نفسي عندما أشعر بالخوف من استخدام اللغة العربية.	6.7	28.3	36.7	22.8	5.6	2.92
41	أكافئ نفسي عندما يكون أدائي جيدًا بالعربية.	11.7	35.0	28.9	19.4	5.0	2.71
42	أستطيع معرفة الأوقات التي أكون فيها متوترًا وأنا أتعلم أو أستعمل العربية.	16.1	26.7	30.0	15.6	11.7	2.80
43	أدوّن أحاسيسي ومشاعري في مفكرة خاصة في تعلم العربية.	42.8	30.0	15.6	7.2	4.4	2.01
44	أتحدث مع الآخرين حول شعوري وأنا أتعلم العربية.	15.6	28.3	30.0	16.7	9.4	2.76

بينت الاستراتيجيات الوجدانية في الجدول (7) أنَّ معظم الطلبة يهتمون بهذه الاستراتيجيات بشكل معتدل؛ إذ يمكننا أنَّ نلاحظ أنَّ أقصى درجة كانت في الفقرة الأربعين، إذ حققت نسبة مقدارها (2.92)، وهي عن التشجيع الذاتي عندما يشعر الطالب بالخوف من استخدام اللغة العربية. وتليها الفقرة التاسعة والثلاثون، ؛إذ بلغت نسبتها (2.82)، وهي عن محاولة الاسترخاء عندما يشعر الطالب بالخوف من استعمال العربية. وهاتان النتيجتان تشيران إلى أنَّ الطلبة يمكنهم أن يتغلبوا على الخوف بشكل معتدل في أثناء استخدام اللغة العربية، وهم يعرفون بأنفسهم ماذا ينبغي عليهم أن يفعلوا عندما يواجهون ذلك الموقف. أما بقية الفقرات، فنسبتها ليست بعيدة عن الاستراتيجيتين السابقتين، ومنها الفقرات الثانية والأربعون، والرابعة والأربعون، والواحدة والأربعون، والثالثة والأربعون، إذ وصلت النسبة فيها (2.80، 2.76، 2.71، 2.01) على التوالي. ومن تلك النسب، ندرك أنَّ الطلبة يعرفون كيف يشجعون أنفسهم من أجل تعلم اللغة، ويلاحظون التوتر بأنفسهم عند استخدام اللغة، ويبحثون عن طرائق تساعدهم على الاسترخاء عند الوقوع في الأخطاء اللغوية. بينما كانت أدنى درجة في الفقرة الثالثة والأربعين، إذ وصلت النسبة فيها إلى (2.01)، وهي بذلك تعدّ أقل من الفقرات الأخرى في هذه الاستراتيجيات الوجدانية. وهذا يدل على أنَّ الطلبة لا يفضلون التعبير عن المشاعر عبر الكتابة، ولكنهم يفضلون أن يبحثوا عن طرائق أخرى من أجل الاسترخاء الذاتي مثل المحادثة مع الآخرين حول تعلم اللغة، أو التشجيع الذاتي في تعلمها.

الجدول (08)

محور الاستراتيجيات الاجتماعية (Social Strategies)

الرقم	الفقرات	بتاتًا %	قليلا %	أحيانًا %	غالبًا %	دائمًا %	الوزن النسبي
45	إذا لم أفهم شيئًا بالعربية، أسأل المتحدث أن يُبطئ أو يعيد.	10.0	24.4	36.1	20.0	9.4	2.94
46	أطلب مساعدة من الناطقين بالعربية عندما أحتاجها.	24.4	31.7	22.8	12.8	7.8	2.53
47	أطرح أسئلة بالعربية مع زملائي.	22.8	33.9	27.8	13.9	1.7	2.38
48	أمارس اللغة العربية مع زملائي الطلبة.	13.9	38.3	29.4	13.9	4.4	2.57
49	أطلب من الناطقين باللغة العربية أن يصححوني إذا ما أخطأتُ وأنا أتكلم العربية.	21.1	33.3	30.6	9.4	5.6	2.45
50	أحاول أن أتعلم ثقافة الناطقين بالعربية.	10.6	25.6	33.9	20.0	10.0	2.93

بينت لنا الاستراتيجيات الاجتماعية في الجدول (08) أنَّ المتعلمين يستخدمونها بشكل معتدل. وكذلك بيّنتْ أنَّ أكثر نسبة تردد في الاستخدام جاءت في الفقرة الخامسة والأربعين، إذ بلغت النسبة فيها (2.94). وبعدها مباشرة الفقرة الأخيرة، التي جاءت في المرتبة الثانية، ؛إذ حققت نسبة مقدارها (2.93). وهاتان النسبتان تدُلّان على أنَّ الطلبة يفضلون طرح السؤال للتوضيح عندما لا يفهمون شيئاً ما عن اللغة العربية مثل طرح سؤال على المعلم، أو سؤال الناطقين بالعربية أن يقوموا بتكرار التكلم، أو الشرح، أو إعطاء المثال عند حالة عدم الفهم. وفي الوقت نفسه، يميلون إلى تعلم ثقافة الناطقين باللغة العربية من أجل فهم اللغة بشكل أحسن. أمَّا نسبة درجة في الفقرات الأخرى، فهي ليست بعيدة بشكل كبير: ومنها الفقرة الثامنة والأربعون، والفقرة السادسة والأربعون، والفقرة التاسعة والأربعون، والفقرة السابعة والأربعون، إذ وصلت النسبة إلى 2.57، 2.53، 2.45، 2.38 على التوالي. وهذا يشير إلى أنَّ المتعلمين يقومون بالتعامل اللغوي مع الآخرين في المستوى المتوسط من أجل ممارسة اللغة العربية.

وفي ما يأتي جدول عرض مستويات التردد في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة العربية لدى الطلبة على مستوى المحاور حسب الوزن النسبي:

الجدول (9)

مستوى استخدام عينة البحث لاستراتيجيات تعلم اللغة على مستوى المحاور

محاور الاستراتيجيات	الوزن النسبي	المستوى
الاستراتيجيات التذكرية	2.64	معتدل
الاستراتيجيات المعرفية	2.58	معتدل
الاستراتيجيات التعويضية	2.65	معتدل
الاستراتيجيات فوق المعرفية	3.02	معتدل
الاستراتيجيات العاطفية	2.67	معتدل
الاستراتيجيات الاجتماعية	2.63	معتدل
متوسط الاستخدام العام	3.13	معتدل

في الجدول (09) أعلاه، نرى مستوى استخدام استراتيجيات تعلم اللغة على مستوى المحاور لدى عينة البحث كما يلي:

1. المحور الرابع وهو الاستراتيجيات فوق المعرفية التي جاءت في المرتبة الأولى بالنسبة لمتوسط التردد في استخدامها، إذ حققت النسبة (3.02).

2. المحور الخامس وهو الاستراتيجيات العاطفية التي جاءت في المرتبة الثانية بالنسبة لمتوسط التردد في استخدامها، إذ بلغت النسبة (2.67).

3. المحور الثالث وهو الاستراتيجيات التعويضية التي جاءت في المرتبة الثالثة بالنسبة لمتوسط التردد في استخدامها، إذ وصلت النسبة (2.65).

4. المحور الأول وهو الاستراتيجيات التذكرية التي جاءت في المرتبة الرابعة بالنسبة لمتوسط التردد في استخدامها، إذ وصلت النسبة (2.64).

5. المحور السادس وهو الاستراتيجيات الاجتماعية التي جاءت في المرتبة الخامسة بالنسبة لمتوسط التردد في استخدامها، إذ وصلت النسبة (2.63).

6. المحور الثاني وهو الاستراتيجيات المعرفية التي جاءت في المرتبة السادسة بالنسبة لمتوسط التردد في استخدامها، إذ وصلت النسبة (2.58).

استراتيجيات تعلم اللغة لدى عينة البحث وفقًا للمتغيرات منها الجنس، ومستوى الاهتمام باللغة:

1- الجنس:

لقد ظهر استخدام استراتيجيات تعلم اللغة على المستوى العام وفقاً للجنس لدى الذكور والإناث معتدلًا بنسبة (2.67)، و(2.70) على التوالي، بينما يكون مستوى المحاور عند الذكور في مستوى معتدل حيث تراوحت الأوزان النسبية بين (2.48) و (3.03)، بينما جاء معتدلًا أيضًا عند الإناث حيث تراوحت بين (2.60) و (3.01)، وهذا يتضح من الجدول (10) أدناه:

الجدول (10)

استخدام استراتيجيات تعلم اللغة على المستوى العام ومستوى المحاور وفقًا للجنس

الاستراتيجيات	الذكور	الإناث	مستوى الدلالة	الاختلاف
التذكرية	2.48	2.68	0.995	الذكور< الإناث
المعرفية	2.49	2.60	0.953	الذكور< الإناث
التعويضية	2.68	2.65	0.169	الذكور> الإناث
فوق المعرفية	3.03	3.01	0.037	الذكور> الإناث
العاطفية	2.70	2.66	0.662	الذكور> الإناث
الاجتماعية	2.64	2.63	0.179	الذكور> الإناث
المتوسط العام	2.67	2.70		معتدل

وعندما قام الباحثون باجراء اختبار قيمة (ت) (T.test)، لم يظهر في الجدول السابق أيُّ اختلاف ذي دلالة إحصائية بين الجنسين إلا في استراتيجية واحدة وهي الاستراتيجيات فوق المعرفية ؛إذ كان مستوى الدلالة فيها (0.037)، أي (sig. < 0.05) وبالنظر إلى الوزن النسبي، يتبين لنا أنَّ هناك اختلافًا في استخدام الاستراتيجيات فوق المعرفية بين الذكور والإناث،وقدحققت نسبة استخدام للذكور (3.03)، وهي أكثر من استخدام للإناث، إذ وصلت النسبة (3.01). وهذا يشير إلى أنَّ الذكور يستخدمون الاستراتيجيات فوق المعرفية أكثر من الإناث قليلاً. وذلك لأنَّ المتعلمين يفضلون البحث عن طرائق متنوعة من أجل مساعدة أنفسهم على تعلم اللغة بصورة أفضل، ويحاولون أن يبحثوا عن فرص استخدام اللغة أكثر، بالإضافة إلى أنَّهم يميلون إلى تخطيط للتعلم مسبقاً، وتنظيم الوقت الكافي للتعلم، ما يجعل نسبة التردد في استخدم هذه الاستراتيجيات بين الجنسين قريبة جداً. وبالنظر إلى الجدول (10) أعلاه، نجد أنَّ نسبة التردد في مستوى المحاور يظهر أنَّ الإناث أكثر من الذكور في استراتيجيتين؛ إحداهما الاستراتيجيات التذكرية، والأخرى الاستراتيجيات المعرفية، بينما الذكور أكثر من الإناث في أربع استراتيجيات وهي الاستراتيجيات التعويضية، والاستراتيجيات فوق المعرفية، والاستراتيجيات العاطفية، والاستراتيجيات الاجتماعية، ولكن تلك النسبة قريبة جداً من نسبة الإناث. ومع ذلك، فإنَّ مستوى المتوسط العام للإناث أكثر من الذكور. أمَّا في مستوى الفقرات، فليست هناك أية اختلافات ذات دلالات إحصائية في استخدام الاستراتيجيات الستة، إلا في فقرتين فقط إحداهما الفقرة (5)، والأخرى الفقرة (22) كما يمكننا أن نرى ذلك في ما يلي:

الجدول (11)

استخدام استراتيجيات تعلم اللغة على مستوى الفقرات وفقًا للجنس

الرقم	الفقرة	الذكور	الإناث	المتوسط الكلي	مستوى الدلالة	نمط الاختلاف
1	5	2.40	2.93	2.81	0.001	الذكور<الإناث
2	6	2.52	2.75	2.70	0.153	الذكور<الإناث
3	7	2.55	2.84	2.78	0.089	الذكور<الإناث
4	9	2.40	2.71	2.64	0.062	الذكور<الإناث

الرقم	الفقرة	الذكور	الإناث	المتوسط الكلي	مستوى الدلالة	نمط الاختلاف
5	10	2.72	3.09	3.01	0.052	الذكور<الإناث
6	11	2.72	2.72	2.72	0.984	الذكور=الإناث
7	20	2.95	3.35	3.26	0.054	الذكور<الإناث
8	22	2.82	2.44	2.52	0.025	الذكور>الإناث
9	24	2.92	2.82	2.84	0.570	الذكور>الإناث
10	25	2.70	2.82	2.81	0.572	الذكور<الإناث
11	28	3.35	2.85	2.96	0.233	الذكور>الإناث
12	31	3.60	3.35	3.41	0.442	الذكور>الإناث
13	32	3.02	3.13	3.11	0.615	الذكور<الإناث
14	33	3.18	3.25	3.23	0.701	الذكور<الإناث
15	35	2.80	2.63	2.67	0.325	الذكور>الإناث
16	38	2.70	2.83	2.80	0.482	الذكور<الإناث
17	39	2.82	2.82	2.82	0.985	الذكور=الإناث
18	40	2.78	2.96	2.92	0.292	الذكور<الإناث
19	42	2.70	2.83	2.80	0.560	الذكور<الإناث
20	44	2.90	2.72	2.76	0.402	الذكور>الإناث
21	45	2.82	2.98	2.94	0.597	الذكور<الإناث
22	47	2.35	2.39	2.38	0.848	الذكور<الإناث
23	50	3.10	2.89	2.93	0.292	الذكور>الإناث

وبالنظر إلى الجدول (11) أعلاه، نجد أنَّ الاختلافات ذات الدلالات الإحصائية في الاستخدام موجودة في فقرتين إحداهما الفقرة الخامسة؛ إذ إنها في مستوى ذي دلالة إحصائية عند (0.001)، والأخرى الفقرة الثانية والعشرون، وهي في مستوى ذي دلالة إحصائية عند (0.025) على التوالي. وذلك يجعلنا نعترف بأنَّ الإناث اهتممن بطريقة ربط العلاقة بين المعارف الموجودة والمعارف الجديدة في اللغة العربية أكثر من الذكور. وكذلك نجد الإناث لا يعتمدن على الترجمة الحرفية في تعلم النصوص العربية أكثر من الذكور؛ بل يحاولن أن يترجمن الجملة حسب سياقها، وهذا لا يظهر إلا بصورة قليلة ذلك عند الذكور. لذلك، نجد من الجدول (11) أعلاه أنَّ الفقرات (9،7،6،5) كلها من الاستراتيجيات التذكرية، ما يؤدّي إلى التأكد من أنَّ الإناث يستخدمن هذه الاستراتيجيات أكثر من الذكور؛ فقد كثر استخدام فقراتها عند الإناث، أي إنهنّ يفضلن استخدام طريقة مراجعة الدروس العربية غالبًا لتذكر اللغة العربية، ويملن إلى استخدام صلة العلاقة بين المعلومات الموجودة والمعلومات الحديثة، ويستخدمن القافية، والبطاقات التعليمية، والإيماءات لتذكر المفردات العربية الجديدة، ويفضلن تكوين الكلمات الجديدة لتذكر المفردات الجديدة، ويهتمن بتذكر الكلمات الجديدة بطريق تذكر مكان وجودها في صفحة الكتاب أو على لوحات الشوارع، ومن تلك الأمور العديدة التي تكون أكثر استخدماً عند الإناث، بينما يقل ذلك عند الذكور.

بينما في الفقرات (22،20،11،10) من الاستراتيجيات المعرفية، نجد معظم الفقرات في الاستراتيجيات كانت أكثر استخداماً عند الإناث، إذ إنهنّ أكثر من الذكور في ممارسة لنطق الكلمات الجديدة، وكتابتها أكثر من مرة، وبدء المحادثة باللغة العربية مع الآخرين مثل الناطقين بها، وكتابة الملاحظات والرسائل، أو التقارير باللغة العربية، ومشاهدة البرامج التلفزيونية أو الأفلام باللغة العربية، وقراءة النص باللغة العربية أول مرة بسرعة قبل قراءتها مرة أخرى بدقة وانتباه، وإيجاد معنى الكلمة الجديدة عند تقسيمها إلى تصنيفات، وقراءة اللغة العربية من أجل الاستمتاع، وكتابة الخلاصة حول المعلومات من قراءتها، أو استماعها باللغة العربية، وهذه الاستراتيجيات أكثر استخدامًا عند الإناث كما جاء ذلك على مستوى المحاور، بينما يقل ذلك لدى الذكور. أما في الفقرة (24)، فنلاحظ أنَّ نسبة التردد في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة لدى الذكور أكثر من الإناث، أي أنهم يميلون إلى تخمين معنى الكلمات غير المألوفة من أجل فهمها أكثر من الإناث. ومع ذلك، فقد أظهرت نتيجة التحليل الإحصائي أنَّ الإناث يملن أكثر من الذكور إلى استعمال الإشارات، أو الإيماءات عند غياب كلمة عربية مناسبة في أثناء المحادثة، وهنّ يستعنّ بمحاولة التخمين أكثر من الذكور، فيتوقعن ما سوف يقوله المتحدث الآخر باللغة العربية، كما ظهر ذلك في الفقرة (25) والفقرة (28). ووجدنا في الفقرة (31) أنَّ الذكور يهتمون بالاستماع والانتباه عندما يتحدث شخص ما باللغة العربية أكثر من الإناث، وفي الوقت نفسه نجد أنَّ الإناث أكثر محاولة في البحث عن طرائق كثيرة من أجل ممارسة اللغة العربية بشكل أكثر من الذكور، وأكثر محاولة في جعل المتعلم جيداً في اللغة العربية، كما يظهر في الفقرتين (32) و (33). والعكس من ذلك في الفقرة (35)، تثبت أنَّ الذكور يهتمون بترتيب الجدول وتمتعهم بالوقت الكافي لتعلم اللغة العربية أكثر من الإناث. ومع ذلك، فقد وجدنا أنَّ الإناث يرغبن في ملاحظة الأخطاء عند استخدام اللغة العربية أكثر من الذكور من أجل تحسين ممارسة اللغة بشكل أحسن.

ونلاحظ من الفقرة (39) أن الاهتمام بها لدى الذكور والإناث متساو. والجدير بالذكر أنَّ معظم الطلبة يحاولون الاسترخاء عندما يشعرون بالخوف من استعمال اللغة العربية، وإنَّ ذلك في مستوى واحد بين الجنسين. بينما استخدمت الإناث تشجيعًا ذاتيًا في استخدام اللغة العربية مهما شعرن بالخوف في استخدامها بشكل أحسن من الذكور، وذلك يظهر في الفقرة (40). كما الإناث أفضل من الذكور في قدرة معرفة أوقات التوتر أثناء استخدام اللغة العربية، ويتضح ذلك في الفقرة (42). وفي الفقرة (44)، يتضح أنَّ الذكور يهتمون بطريقة الاسترخاء عبر التحدث مع الآخرين حول مشاعرهم في تعلم اللغة العربية أكثر من الإناث. وعند النظر إلى الفقرتين (45)، و(47) المخصصتين بالاستراتيجيات الاجتماعية، وجدنا أنَّ الإناث أكثر من الذكور، إذ يستخدمن طريقة الطلب من المتحدث إبطاء سرعة تحدثه أو تكراره للكلام إذا لم يفهمن كلامه بالعربية في أكثر الأحيان بصورة أكثر من طلب الذكور ذلك، كما تميل الإناث إلى ممارسة اللغة من ناحية إثارة أسئلة عديدة متعلقة باللغة العربية على الأصدقاء داخل الفصل أو خارجه أكثر من الذكور. ومع ذلك، يدرك الذكور أهمية تعلم ثقافة الناطقين بالعربية أكثر من الإناث، وهذا كما ظهر في الفقرة الأخيرة. وبذلك يتبين

لنا من الجدول (11) أنَّ طبيعة الجنسين وخصائصهما تؤثر في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة بشكل واضح. وهناك بعضٌ من الاستراتيجيات الستة التي يستخدمها الذكور أكثر من الإناث ولكن عندما نظرنا إلى المستوى العام، وجدنا أنَّ الإناث يستخدمنها أكثر من الذكور، وإن كانت النسبة بين الجنسين قريبة جداً.

3- **مستوى الاهتمام باللغة العربية:**

وبالنظر إلى معدل استخدام استراتيجيات تعلم اللغة على المستوى العام وفقاً للاهتمام باللغة؛ فنجد أنه في المستوى المتوسط لكل مستويات الاهتمام باللغة. أما على مستوى المحاور، فإنها في المستوى المعتدل أيضاً حيث جاءت الأوزان النسبية على مستوى المتوسط العام عند (2.763)، و (2.714)، و (2.478) على التوالي. وكذلك ظهرت الأوزان النسبية على مستوى المحاور في المستوى الثاني (الاهتمام بها قليل) بين (2.22) و (2.88)، بينما في المستوى الثالث (الاهتمام بها إلى حد ما)، فتراوح ما بين (2.59) و (3.04). وفي المستوى الأخير، تراوح ما بين (2.66) و(3.03). وبالنظر إلى تلك الأوزان النسبية، يتبين لنا أنَّ المتعلمين جميعهم يستخدمون استراتيجيات تعلم اللغة العربية في المستوى المعتدل في كل المحاور الستة، ويصنف اهتمامهم بها في المستوى الجيد بالنسبة لكونهم متعلمين غير متخصصين في اللغة العربية كما يمكننا أن ننظر إلى الجدول أدناه:

الجدول (12)

استخدام استراتيجيات تعلم اللغة على مستوى المحاور وفقا للاهتمام باللغة العربية

الاستراتيجيات	الاهتمام بها قليل	الاهتمام بها إلى حد ما	الاهتمام بها جدا	مستوى الدلالة	نمط الاختلاف
التذكرية	2.277	2.665	2.739	0.004	3>2>1
المعرفية	2.229	2.595	2.690	0.006	3>2>1
التعويضية	2.527	2.691	2.664	0.657	3<2>1
فوق المعرفية	2.884	3.0474	3.0381	0.637	3<2>1
العاطفية	2.590	2.687	2.676	0.803	3<2>1
الاجتماعية	2.361	2.603	2.773	0.067	3>2>1
المتوسط العام	2.478	2.714	2.763		معتدل

خخلاصة القول، بناء على نتائج التحليل التباييني (ANOVA-) في الجدول (12) أعلاه، أنّ الباحث يلحظ أنَّ نسبة التردد في الاستراتيجيات فوق المعرفية بدأت بصورة أكبر من غيرها منذ المستوى الثاني، وحتى المستوى الأخير الذي لا يزال بصورة أكبر من الاستراتيجيات أخرى، بينما كانت نسبة التردد في الاستراتيجيات المعرفية أدنى من بقية الاستراتيجيات الأخرى من المستوى الثاني إلى المستوى الأخير. وعندما نظرنا إلى كل الاستراتيجيات في الجدول (12) أعلاه؛ لوجدنا أنَّ لكل الاستراتيجيات نسبة التردد في استخدام استراتيجيات التعلم بدأت تنخفض وتستمر في الارتفاع بالعكس في المستوى الثالث والرابع منها: الاستراتيجيات التذكرية، والاستراتيجيات المعرفية، والاستراتيجيات الاجتماعية. وثمة ثلاث استراتيجيات انخفضت في المستوى الأخير (المستوى الرابع) وهي: الاستراتيجيات التعويضية، والاستراتيجيات فوق المعرفية، والاستراتيجيات العاطفية، ومع ذلك، فإنَّ انخفاض التردد في ذلك قليل جدًا مقارنة مع المستوى الثالث لكل الاستراتيجيات. ومن المتوسط العام، نجد أنَّ نسبة التردد في استخدام لكل إستراتيجيات سوف ترتفع وفقاً لمستويات اهتمامهم باللغة أو وفقًا لرغبتهم في تعلمها بشكل واضح.

خلاصة الدراسة

لقد أشارت الدراسة إلى أنَّ مستوى استخدام استراتيجيات تعلم اللغة لدى عينة البحث يظهر بشكل معتدل على وجه العموم، سواء أكان ذلك في المستوى العام، أم في مستوى المحاور الستة. وفي الوقت نفسه، فإنَّ هناك استخدامًا للاستراتيجيات الستة بشكل متنوع لدى المتعلمين، مما يؤدّي إلى فروق في استخدام استراتيجيات التعلم على مستوى الفقرات سواء في مستوى المرتفع، أو المتوسط، أو المنخفض على التوالي. وذلك نظرًا لتفضيل المتعلمين بعض الاستراتيجيات على بعض، وهذا يعبِّر على أنهم في مستوى جيد لاستخدام استراتيجيات تعلم اللغة بالنسبة لكونهم ليسوا متخصصين في اللغة العربية، بل ينتسبون إلى تخصصات مختلفة. وكذلك فقد أشارت هذه الدراسة الحالية إلى أنَّ استراتيجيات تعلم اللغة العربية التي يستخدمها المتعلمون يظهر منها أنَّ الاستراتيجيات فوق المعرفية هي الأكثر استخدامًا بشكل عام، وتليها الاستراتيجيات العاطفية، والاستراتيجيات التعويضية، والاستراتيجيات التذكرية، والاستراتيجيات الاجتماعية على التوالي، وأقل الاستراتيجيات استخدامًا هي الاستراتيجيات المعرفية. ولاحظ الباحثون أنَّ المتعلمين فضّلوا الاستراتيجيات غير المباشرة أكثر من غيرها ولا سيما الاستراتيجيات فوق المعرفية، والاستراتيجيات العاطفية؛ إذ إنَّ إحداهما أكثر استخدامًا، والأخرى تليها في المرتبة الثانية، وذلك يتفق مع وجهة نظر «أكسفود» التي ترى أنَّ الاستراتيجيات غير المباشرة سوف توفر بعض التقنيات المهمة للمستخدمين لاكتساب جميع المهارات اللغوية الأربعة9. وسبب ذلك أنَّ معظم المتعلمين يدركون أهمية تعلم اللغة بأنفسهم، ويعرفون قيمة تعرف قدرتهم الذاتية، ويشجعون أنفسهم في تعلم اللغة، فضلاً عن التفاعل مع الآخرين، والتحدث لتبادل المعلومات، وذلك يساعدهم على تعلم اللغة بشكل أحسن. وهذه النتائج تتفق مع نتائج البحث الذي أجرته الباحثة «ناضلة» في موضوع استراتيجيات تعلم مهارة الكلام المستخدمة بمركز اللغات بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ووجدت أنَّ المتعلمين قد استخدموا الاستراتيجيات غير المباشرة أكثر من غيرها وخاصة الاستراتيجيات فوق المعرفية، والاستراتيجيات العاطفية؛ وبالمقابل قد استخدموا الاستراتيجيات المعرفية بصورة أقل من غيرها[10].

وكذلك جاءت نتيجة بحث «تيرا فان» التي قامت بدراسة أسلوب التعلم واستراتيجياته للغة الإنجليزية لدى طلبة السنة الثانية بجامعة «راجابات» في منطقة «بانكوك»، أنَّ المتعلمين استخدموا الاستراتيجيات غير المباشرة أكثر من غيرها وبخاصة الاستراتيجيات فوق المعرفية، والاستراتيجيات العاطفية؛ وبالمقابل استخدموا الاستراتيجيات المعرفية أقل من غيرها أيضاً[11]. وأيضاً أشارت دراسة «إبراهيم صديق» الذي قام بدراسة الاستراتيجيات المستخدمة في تعلم اللغة العربية لدى الطلاب المتخصصين في

قسم اللغة العربية بجامعة الأمير «سونجكلا»، إلى أنَّ متعلمي اللغة استخدموا الاستراتيجيات غير المباشرة أكثر من غيرها ولا سيما الاستراتيجيات فوق المعرفية. وكذلك جاءت نتيجة بحث «نورحميمي» في دراسته عن تعليم مهارة الكتابة وتعلمها للطلبة غير المتخصصين في اللغة العربية عبر شبكة الإنترنت بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ووجد أنَّ متعلمي اللغة العربية استخدموا الاستراتيجيات غير المباشرة أكثر من غيرها وخاصة الاستراتيجيات فوق المعرفية، أما الاستراتيجيات المعرفية فهي أقل من غيرها.

وأظهرت النتائج أنَّ استخدام استراتيجيات تعلم اللغة العربية بين الجنسين كان معتدلاً، ولم تظهر فروق كبيرة في استخدام الاستراتيجيات الستة بين الجنسين؛ ولكنْ هناك اختلافٌ ذو دلالة إحصائية في استخدام بعض الاستراتيجيات وهي الاستراتيجيات فوق المعرفية ؛ إذ كانت الدلالة الإحصائية فيها عن (0.037)، وهو أقل من مستوى الدلالة (sig. < 0.05). وذلك يدل على أنَّ استخدامه الذكور لها أكثر من الإناث ليس بشكل كبير، وقد حققت نسبة استخدام الذكور (3.03). أمَّا نفس النسبة للإناث، فقد وصلت إلى (3.01). ومع ذلك، ففي المستوى المتوسط العام نجد أنَّ الإناث أكثر استخداماً من الذكور. وذلك يتفق مع دراسة "أكسفورد» في أنَّ تستخدم الإناث لاستراتيجيات التعلم أكثر من الذكور، وقد يكون سبب ذلك أنَّ الإناث يستطعن أن يتكيفن في التعلم بصورة أفضل من الذكور، والاهتمام بالأنشطة اللغوية بصورة أفضل من الذكور أيضاً، ويكون إتقانهم الاجتماعي أعلى من الذكور[12]. وكذلك أشارت نتيجة بحث «فلاو فان» التي أجريت على دراسة استراتيجيات تعلم اللغة الإنجليزية لدى طلبة السنة الأول والثانية بجامعة «بانكوك»، إلى أنَّ الاختلاف بين الجنسين أثَّر في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة حيث إنَّ الإناث استخدمن الاستراتيجيات أكثر من استخدام الذكور لها بشكل عام[13]. وجاءت دراسة «لي» الذي حاول أن يبحث عن العلاقة بين السنة الدراسية والجنس والنتيجة الدراسية، وأظهرت النتائج أنَّ الجنس قد أثَّر في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة، أي أنَّ الإناث قد استخدمن استراتيجيات تعلم اللغة بصورة أعلى من الذكور في كل الجوانب[14]. كما اكتشف «أتافول» في دراسته أنَّ الإناث استخدمن استراتيجيات التعلم بصورة أكبر من الذكور في كثير من الأحيان، وذلك حين أجرى بحثه العلمي على طلبة من «تايلاند وفيتنام»[15]. وأيضًا أشارت «نونج لكسنا كاما» في دراستها عن استراتيجيات تعلم اللغة وعلاقتها بالأخطاء اللغوية لمتعلمي العربية في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا إلى أنَّ هناك اختلافًا بين الذكور والإناث في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة العربية، والإناث أكثر من الذكور في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة العربية بشكل عام[16].

وأظهرت النتائج أنَّ استخدام استراتيجيات تعلم اللغة وفقاً لمستوى الاهتمام باللغة العربية كان معتدلا، ولم تكن هناك فروق كبيرة في استخدامها في كل مستويات الاهتمام باللغة العربية؛ ولكن ظهر في بعض الاستراتيجيات اختلاف ذو دلالة إحصائية، ومنها الاستراتيجيات التذكرية، والاستراتيجيات المعرفية، إذ قلَّ الاستخدام في المستوى الثاني، ثم ارتفع في المستوى الثالث قبل أن يستمر الارتفاع في المستوى الأخير. وكذلك أشارت النتائج إلى أنَّ عينة البحث قد استخدموا استراتيجيات تعلم اللغة الست بصورة أكثر تبعًا لمستويات اهتمامهم باللغة العربية، أي أنَّ عينة البحث قد استخدموا استراتيجيات التعلم الستة بشكل منخفضة عندما يكون اهتمامهم باللغة العربية قليلاً (الاهتمام باللغة العربية قليل). أمَّا عندما يزيد هذا الاهتمام باللغة، فيترتب عليه أن ترتفع نسبة التردد في استخدام الاستراتيجيات الستة (الاهتمام بها إلى حد ما)، وسوف يستخدمونها بصورة أكثر عندما يهتمون باللغة أكثر من غيرها في المستوى الرابع (الاهتمام بها جداً)؛ ومع ذلك فهناك انخفاض تردد قليل في استخدام بعض الاستراتيجيات للمتعلمين الذين يهتمون باللغة في المستوى الرابع (الاهتمام بها جداً).

الخاتمة

أخيرًا في ختام هذه الدراسة، يمكن أن نستخلص هذا البحث أنَّ نسبة التردد في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة ترتفع تبعًا لمستويات الاهتمام باللغة العربية، أي أنَّ المتعلمين سوف يستخدمون استراتيجيات التعلم بصورة أكثر عندما يهتمون باللغة بشكل أكثر. وذلك يتفق مع نظرية التعلم عند برونر التي ترى أنَّ الدافع عامل مهم لمساعدة المتعلمين على النجاح في التعلم[17]، ما يؤدّي بهم إلى استخدام استراتيجيات تعلم اللغة بصورة أكثر من أجل الوصول إلى النجاح اللغوي. كما جاءت دراسة «كامني» التي قامت بدراسة أسلوب التعلم والتعليم بجامعة «شولالونجكورن (إحدى جامعات بانكوك)»، وأشارت إلى أنَّ الاهتمام عامل مهم يساعد المتعلمين على نجاح التعلم،[18]، ما يؤدّي إلى اكتساب استراتيجيات تعلم اللغة بشكل أكير بهذف النجاح في التعلم. وكذلك جاءت نتيجة الدراسة العلمية التي أجراها «أتافول كام كين» عن دراسة العوامل التي تؤثر في استخدام استراتيجيات تعلم اللغة الإنجليزية بوصفها لغة أجنبية لدى الطلبة التايلانديين والفيتناميين بجامعة «كاسيتسارت». واستنتج الباحث أنَّ الدافع هو أهم عامل يؤثر في استخدام استراتيجيات التعلم، وأظهرت نتيجة التحليل أيضاً أنَّ انخفاض الدافع يؤدّي إلى استخدام فئات الاستراتيجيات الستة بصورة أقل[19].

الهوامش

1. 1. *Bremer, S, Language Learning Strategies and Language Proficiency: Investigating the Relationship in Hong Kong,(Asian Pacific Journal of Language in Education, 1999) ,p2.*
2. *Nonglaksana Kama, Strategies for Learning Arabic as a Second Language at the International Islamic University in Malaysia (National Seminar on Teaching Arabic, International Islamic University Malaysia, 2007), page 3.*
3. *Willing Ken, Teaching How to Learn : Learning Strategies in ESL. Sydne, (National Centre for English Language Teaching and Research,1989), p1.*
4. *Ibrahim Sideh, Language Learning Strategies of Arabic Major Students at Prince of Songkla University, Pattani Campus, Thailand, (Dissertation of the Degree of Master, Institute of Education, International Islamic University Malaysia, 2013), p87.*
5. *The History of College of Islamic studies, Prince of Songkla University, Pattani campus, (2015).*
6. *<http://www.cis.psu.ac.th/main/index.php?option=com_content&view=article&id=110&Itemid=998>*
7. *Kanyamon Inwang, Research Methodology, Phitsanulok University, (2012), p5.*
8. *Oxford, R. L, Language Learning Strategies: What Every Teacher Should Know, (Boston: Heinle and Heinle, 1990), p*

in Malaysia (National Seminar on Teaching Arabic, International Islamic University Malaysia, 2007).

المراجع الأجنبية

1. *Attapol Khamkhien, Factors Affecting Language Learning Strategy Reported Usage by Thai and Vietnamese EFL Learners, Kasetsart University,Thailand, (Centre for Language Studies, National University of Singapore, Electronic Journal of Foreign Language Teaching, Vol .7 No.1, 2010).*
2. *Bremer, S, Language Learning Strategies and Language Proficiency: Investigating the Relationship in Hong Kong,(Asian Pacific Journal of Language in Education, 1999).*
3. *H. Douglas Brown, Principles of Language Learning and Teaching, (1994).*
4. *Ibrahim Sideh, Language Learning Strategies of Arabic Major Students at Prince of Songkla University, Pattani Campus, Thailand, (Dissertation of the Degree of Master, Institute of Education, International Islamic University Malaysia, 2013).*
5. *J. Michael O'Malley and Anna Uhl Chamot, Learning strategies in second language acquisition, (New York : Cambridge University press, 1990).*
6. *Kanyamon Inwang, Research Methodology, Phitsanulok University, (2012).*
7. *Lee Kyung Ok, The relationship of school year, sex and proficiency on the use of learning strategies in learn English of Korean junior high school students. (from Asian EFL Journal,Retrieved November 10, 2005,).*
   <http://www.asian-efl-journal.com/sept_o3_ok.php, 200>
8. *Murat Hismanoglu, Language Learning Strategies in Foreign Language Learning and Teaching, Hacettepe University (Ankara, Turkey), (The Internet TESL Journal, Vol. VI, No. 8, August 2000). <http://iteslj.org/Articles/Hismanoglu-Strategies.html>*
9. *Oxford, R. L, Language Learning Strategies: What Every Teacher Should Know,(Boston: Heinle and Heinle, 1990).*
10. *Oxford, R. L., Research on second language learning strategies, (Annual Review of appliedlinguistic,1993).*
11. *Plaewpan Pringprom, The Study of Language Learning Strategies Used by First-year and Second-year Students at Bangkok University, (Education Studies of Language Institute of Bangkok University, 2010).*
12. *Rubin, J, What the 'good language learner' can teach us. (TESOL Quarlerly, vol. 9,1975), p143.*
13. *Suree Jongsataponsit, A study of the learning of English. Mathayomsuksa 5in the Schools under the Department of Education Bangkok, (Dissertation of master of Education, Chulalongkorn University, 2013).*
14. *Teeraporn Plailek, A study of English Learning Styles and English Learning Strategies of Second Year Students, Rajabhat Universities In Bangkok, (the research of Rajabhat Universities, 2012).*
15. *The Curriculum and Courses Offered-Revised curriculum 2011-2010 , (College of Islamic studies, Prince of Songkla University, Pattani campus, 2015).*
16. *The History of College of Islamic studies, Prince of Songkla University, Pattani campus, (2015).*
    <http://www.cis.psu.ac.th/main/index.php?option=com_content&view=article&id=110&Itemid=998>
17. *Willing Ken, Teaching How to Learn : Learning Strategies in ESL. Sydne, (National Centre for English Language Teaching and Research,1989).*
9. *Oxford, R. L, Language Learning Strategies: What Every Teacher Should Know, (Boston: Heinle and Heinle, 1990), p*
10. *Oxford, R. L,Language learning strategies: What every teacher should know. (Boston: Heinle and Heinle,1990).*
11. *Nadhilah Abdel Faisal. Speaking Skills Learning Strategies Used in the Language Center: A Field Study (Master Degree in Humanities (Arabic as a Second Language), International Islamic University of Malaysia, 2012).*
12. *Teeraporn Plailek, A study of English Learning Styles and English Learning Strategies of Second Year Students, Rajabhat Universities In Bangkok, (the research of Rajabhat Universities, 2012), p7.*
13. *Oxford, R. L., Research on second language learning strategies,(Annual Review of appliedlinguistic,1993), p175–187.*
14. *Plaewpan Pringprom, The Study of Language Learning Strategies Used by First-year and Second-year Students at Bangkok University, (Education Studies of Language Institute of Bangkok University, 2010).*
15. *14 Lee Kyung Ok, The relationship of school year, sex and proficiency on the use of learning strategies in learn English of Korean junior high school students. (from Asian EFL Journal,Retrieved November 10, 2005,).<http://www.asian-efl-journal.com/sept_o3_ok.php, 200>*
16. *ttapol Khamkhien, Factors Affecting Language Learning Strategy Reported Usage by Thai and Vietnamese EFL Learners, Kasetsart University,Thailand, (Centre for Language Studies, National University of Singapore, Electronic Journal of Foreign Language Teaching, Vol .7 No.1, 2010), pp 66-85.*
17. *Nonglaksana Kama, Strategies for Learning Arabic as a Second Language at the International Islamic University in Malaysia (National Seminar on Teaching Arabic, International Islamic University Malaysia, 2007), page 3.*
18. *17 Bruner, Jerome, The Process of Education, (New York:Vintage Books,1963), p1-54.*
19. *<https://notendur.hi.is//~joner/eaps/brunerb1.htm>*
20. *Kamani,Learning and teachingstyleat the University of Chula longkorn,(ChulalongkornUniversity 2000),p66.*
21. *Attapol Khamkhien, Factors Affecting Language Learning Strategy Reported Usage by Thai and Vietnamese EFL Learners, Kasetsart University,Thailand,Centre for Language Studies, National University of Singapore, (Electronic Journal of Foreign Language Teaching, Vol .7 No.1,. 2010). pp. 66-85,*

ـ المراجع العربية

1. ناضلة بنت عبد الفيصل، استراتيجيات تعلم مهارة الكلام المستخدمة بمركز اللغات: دراسة ميدانية (رسالة لنيل درجة ماجستير في العلوم الإنسانية(اللغة العربية بوصفها لغة ثانية) الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2012م
2. نونج لكسنا كاما، استراتيجيات تعلّم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، (الندوة الوطنية لتعليم اللغة العربية، الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية، 2007)،

ترجمة المراجع العربية

1. *Nadhilah Abdel Faisal. Speaking Skills Learning Strategies Used in the Language Center: A Field Study (Master Degree in Humanities (Arabic as a Second Language), International Islamic University of Malaysia, 2012).*
2. *Nonglaksana Kama, Strategies for Learning Arabic as a Second Language at the International Islamic University*

إنتاج اللامساواة في سياسة الاحتلال تجاه التعليم في الأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1948

Producing Inequality in Occupation Policy Towards Education in the Occupied Palestinian Territories of 1948

د. محمود موسى زياد
أستاذ مساعد/ جامعة القدس-غير متفرغ/ فلسطين

Dr.Mahmoud Mousa Ziad
Assistant Professor/al-Quds University-Part time/ Palestine
Mah8670@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 12/ 7/ 2019م، **تاريخ القبول:** 30/ 10/ 2019م.
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835

Received: 12/ 7/ 2019, **Accepted:** 30/ 10/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604861
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى مناقشة مكانة جهاز التعليم العربي لدى عرب 1948، ودوره جهازاً يعمل من جانب على حراك الأفراد والمجموعة، ومن جانب آخر يعمل على بلورة شخصية مرب واثقة بنفسها وفخورة بانتمائها، ومكانتها ودورها في جهاز يقوم بخدمة مجموعة أقلية تختلف عن مجموعة الأغلبية، قوميا، ودينيا، وثقافيا. وفي المقابل كيف يسعى الاحتلال من خلال السيطرة على هذا الجهاز التربوي التعليمي من خلال السياسات والبرامج والمناهج المفروضة إلى إنتاج لا مساواة في مختلف القضايا المتعلقة بالتعليم العربي مقارنة بالتعليم العبري، وأثر ذلك في حياة المواطن الفلسطيني في النواحي السياسية والمهنية والتعليمية. وتتمحور إشكالية هذه الدراسة في التمييز المتواصل بحق جهاز التعليم العربي، كاللامساواة في القوانين، والموارد المخصصة، والبنى التحتية له مقارنة بالتعليم العبري. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي، بالإضافة إلى المنهج التحليلي. وقد توصلت الدراسة لمجموعة من النتائج.

الكلمات المفتاحية: التعليم/ سياسة إسرائيل/ الأراضي المحتلة عام 1948/ اللامساواة.

Abstract

This study aims to discuss the status of the Arab educational system in the 48 Arab territories, and its role as a body that works on the individuals' mobility and groups. On the other hand, the education system works to develop a self-confident personality and proud of its belonging, position and role in a system that serves a minority group, that differs from the majority group, nationally, religiously, and culturally. In contrast, how the occupation seeks to control this educational system through policies, programs and curricula impose on the production of inequality in various issues related to education. The problem of this study is the continuous discrimination against the Arab educational system, such as inequality in the laws, allocated resources, and infrastructure compared to Hebrew education. This study was based on the descriptive approach, in addition to the analytical approach. The study reached a number of results.

***Keywords**: Education, Israel Policy, Occupied Palestinian Territories of 1948, Inequality.*

مقدمة

يتكون المجتمع الإسرائيلي من عدة مجتمعات ثانوية غير متجانسة، ورغم ذلك فإن جهاز التعليم فيه ما يزال أحادي الثقافة وليس متعدد الثقافات. ومما يدلل على أن طبيعة المجتمع غير متجانسة، أن «جهاز التعليم الرسمي في دولة الاحتلال يقسم إلى قسمين: الأول جهاز التعليم اليهودي، والذي يقسم بدوره إلى التعليم الرسمي العلماني، والتعليم الرسمي الديني، أما القسم الثاني فهو جهاز التعليم العربي في مناطق 48 الواقعة تحت سيطرة الاحتلال الإسرائيلي»[1]. فالتعليم في مناطق 48، يُعد أمرا شائكا ومركبا أكثر؛ بسبب مكانة الأقلية العربية كمجتمع أقلية قومية، إثنية ودينية، وبسبب هذه المكانة والخصوصية فهي غير مشمولة في لب المراكز الأيديولوجية الموجهة لسياسة صنع القرارات في دولة الاحتلال. وهشاشة قوتها في التأثير في المشاركة في اتخاذ القرارات في البلاد لا تمكنها من الحصول على الموارد، ولا على الانخراط في البرامج والمشاريع المميزة لوزارة التربية والتعليم الإسرائيلية [2].

لم تجد الأقلية العربية في دولة الاحتلال فرصة أمامها لتحسين أوضاعها الاجتماعية، والاقتصادية وتغيير موقعها في المجتمع الإسرائيلي إلا بتطوير العامل البشري بوساطة جهاز التعليم. فقد أصبح التعليم المجال الوحيد الذي يمكن بوساطته اكتساب المعرفة العلمية والمهارات المهنية الملائمة؛ لتطوير الإنسان والمجتمع، وإثراء الموارد البشرية؛ إذ له دور مركزي على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة. فقد تحول التعليم إلى أداة مهمة في التطور الاجتماعي والاقتصادي لكل مجتمع، وبالذات لدى مجتمعات الأقليات، والمجتمعات الضعيفة أو المستضعفة [3].

يحظى التعليم بأهمية في أي مجتمع كان، لكن أهميته تتضاعف لدى مجموعة الأقلية في مجتمع متعدد القوميات ومتعدد الثقافات. فهو يمنح فرصا متساوية للجميع؛ لتطوير مهاراتهم ومواهبهم وقدراتهم الشخصية. ولكنه يكتسب أهمية خاصة عند الجماعات والأقليات الضعيفة التي تفتقر إلى الموارد السياسية والاقتصادية التي، بدورها، تحدد مكانتها وموقعها في المجتمع؛ بحيث يصبح التعليم القناة الوحيدة للحراك، على المستويين الفردي والجماعي؛ للحصول على مواقع أفضل في سوق العمل، وتغيير الوضع القائم في توزيع موارد المجتمع، وتقليص الفجوات الاجتماعية والاقتصادية، وللتعليم أهمية قصوى في حفاظ مجتمع الأقلية على خصوصيته الثقافية[4].

وهذا ما نشهده لدى الأقلية العربية الفلسطينية في «إسرائيل»، حيث الوعي الاجتماعي الكبير للحاجة والأهمية الكامنة في توفير التعليم للجيل الناشئ، انطلاقا من الإيمان بأن التعليم يضمن حراكا، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة. فهناك علاقة إيجابية بين التعليم وبين الحراك الاجتماعي الاقتصادي. ولذلك مكنت المجتمعات الديموقراطية، درجة معينة من الحراك الاجتماعي لأبناء الأقليات والطبقات المستضعفة وذلك بوساطة الأداة التعليمية[5].

تطمح الأقلية العربية الفلسطينية، هي الأخرى كأي مجتمع آخر، إلى التنمية المجتمعية والتطور الاقتصادي. الأمر الذي يتطلب تطوير جهاز التعليم العربي بحيث يلبي الاحتياجات العصرية؛ لغرض الوصول إلى إنجازات عليا. وقد فسر باحثون ضآلة الإنجازات التعليمية، عند الأقليات، بالمتغيرات المتعلقة بالتفاعل بين الأقلية وبين الأغلبية، (فمحدودات النجاح والانجازات العلمية لدى الأقليات يتعلق أيضا بطبيعة العلاقات القائمة بين الأقلية والأغلبية، ومدى المسؤولية التي يأخذها أبناء الأقلية على أنفسهم، وكذلك مسؤوليتهم عن تعليم أبنائهم، والتشجيع الذي تبديه

الأغلبية لتعريف أهداف التعليم كأداة للتطور الثقافي، الاجتماعي والاقتصادي لدى أبناء الأقلية)[6]، بحسب أوغوبو (Ogbu).

يمكن القول، إن أهمية التعليم الرسمي في المجتمعات متعددة الثقافات تبرز في صقل ثقافة مشتركة لجميع الفئات، مع الحفاظ على خصوصية كل مجموعة ثقافية، لكن السياق السياسي الفلسطيني في دولة الاحتلال يبقى بعيدا كل البعد عن سياق المجتمعات متعددة الثقافات. فالتعليم في دولة الاحتلال، التي تأبى أن تكون دولة لجميع مواطنيها، لا يعترف بخصوصية الفلسطينيين، كأقلية قومية أصلانية ذات حقوق جمعية؛ ولذا يعمل على طمس هويتها، وخصوصيتها الثقافية. ويتجاهل حقوق واحتياجات الطلاب العرب؛ وبالتالي يحرمهم من تطوير هوية حضارية وقومية خاصة بهم [7].

مشكلة الدراسة

تتمحور إشكالية هذه الدراسة في التمييز المتواصل بحق جهاز التعليم العربي، حيث يتجلى هذا التمييز في اللامساواة في القوانين، والموارد المخصصة، والبنى التحتية له مقارنة بالتعليم العبري، وينتج عن هذا تمييز متواصل ضد الفلسطينيين في الداخل المحتل حتى أيامنا هذه. وهذا يقودنا إلى محاولة الإجابة عن التساؤل: كيف عمقت اللامساواة في القوانين والتشريعات والموارد، الفجوات في النتائج بين الجهازين العربي والعبري؟ وما هي أوجه اللامساواة الأخرى الممنهجة بحق جهاز التعليم العربي؟ ولماذا تسعى أجهزة دولة الاحتلال ومنها جهاز التربية والتعليم للسيطرة على جهاز التربية والتعليم العربي؟، وما هي أهدافه؟ وماهي أشكال السيطرة على هذا الجهاز التربوي؟

ومن الإشكالية الأساسية تبرز مجموعة من الفرضيات وهي:

1. يستخدم النظام التعليمي في الداخل المحتل كأداة لتهميش الفلسطينيين العرب.
2. يستخدم النظام التعليمي من أجل فرض السيطرة على الفلسطينيين العرب.
3. تهدف السياسة الإسرائيلية لعزل الفلسطينيين قوميا وحضاريا.

أهمية الدراسة:

هناك أهمية للتعليم في أي مجتمع كان، لكن أهميته تتضاعف عندما نتطرق إلى التعليم لدى مجموعة أقلية في مجتمع متعدد القوميات ومتعدد الثقافات، وبخاصة إذا كان التعليم في ظل سيطرة دولة احتلالية «كإسرائيل». وكذلك أهمية تطور جهاز التعليم العربي بحيث يلبي الاحتياجات العصرية؛ لغرض الوصول إلى إنجازات عالية. فمعاينة تطور جهاز التعليم العربي يشير إلى البطء في تكيف الجهاز للواقع العلمي والتكنولوجي المعاصر مقارنة بجهاز التعليم العبري.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان مكانة جهاز التعليم العربي، ودوره كجهاز يعمل، من جانب، على حراك الأفراد والمجموعة، ومن جانب آخر يعمل على بلورة شخصية مرب واثقة بنفسها وفخورة بانتمائها، ومكانتها ودورها في جهاز يقوم بخدمة مجموعة أقلية تختلف عن مجموعة الأغلبية، قوميا، ودينيا، وثقافيا. وكيف يسعى الاحتلال من خلال السيطرة على هذا الجهاز التربوي التعليمي بالسياسات والبرامج والمناهج المفروضة إلى إنتاج لا مساواة في مختلف القضايا المتعلقة بالتعليم العربي مقارنة بالتعليم العبري، وأثر ذلك في حياة المواطن الفلسطيني في النواحي السياسية والمهنية والتعليمية.

منهج الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي، حيث تم الاعتماد على المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الأقلية العربية، وكذلك موضوع التعليم في الوسط العربي في دولة الاحتلال الإسرائيلي، بالإضافة إلى المنهج التحليلي.

الدراسات السابقة

هدفت دراسة **ميعاري (2014)** إلى إعطاء خلفية عامة عن العرب الفلسطينيين في دولة الاحتلال الإسرائيلي، المتمثلة في سياسة السيطرة والتحكم، والإقصاء المطبقة عليهم في مجالات مختلفة، مع التركيز على السياسة التربوية الإسرائيلية تجاه التعليم العربي ورد الفعل العربي على هذه السياسة. وقد خلصت الدراسة إلى أن السياسة التربوية الإسرائيلية تجاه التعليم العربي، وبخاصة في المناهج، التي تهدف إلى طمس الهوية القومية والوطنية، والذاكرة الجماعية للفلسطينيين في «إسرائيل»، أو إضعافها من ناحية، وإتخامهم بالقيم والمضامين اليهودية والصهيونية، من ناحية أخرى.

هدفت دراسة **عطا الله، وآخرون (2014)** للبحث في مناهج التدريس المفروضة على الطلاب العرب الفلسطينيين في مناطق 48، التي تستهدف هويتهم ولغتهم؛ حيث ركزت الدراسة على المرحلة الثانوية لخصوصيتها. وقد هدفت الدراسة لتوعية الفلسطينيين في مناطق 48 كأقلية لحقوقهم الثقافية الجماعية المكفولة في كل القوانين والمواثيق الدولية ذات الصلة بالحقوق الثقافية.

هدفت دراسة **طه (2014)** إلى إبراز أهم التحديات التي يمر بها التعليم العربي في دولة الاحتلال، حيث أنه منذ العام 1948 وقع تحت سيطرة المؤسسة الإسرائيلية وأذرعها الثقافية؛ ما زاد من تعقيدات الواقع التربوي والثقافي، وأثر سلبا على خصائص الهوية الوطنية والانتماء للفلسطينيين في الداخل المحتل.

جاءت دراسة **أبو سعد (2013)** لتبحث في جهاز التعليم العربي عامة في دولة الاحتلال، الذي تسيطر عليه أنظمة الدولة، مع التركيز على معالجة أوضاع التعليم عند المجتمع العربي في النقب خاصة، وكذلك تحديد العوامل الرئيسة التي تؤثر سلبا أو إيجابا في جهاز التعليم العربي. كما هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسات التي اتبعتها السلطات الإسرائيلية، وما زالت تتبعها تجاه العرب الفلسطينيين من البدو في النقب؛ حيث هدفت تلك السياسات إلى محو الهوية القومية للعرب البدو هناك، وإلى بناء أجيال خنوعة وموالية للسلطة.

الدراسات الأجنبية

تناولت دراسة (**Mossawa Center 2018**) التمييز الهيكلي الذي يهدد باستمرار تعليم المواطنين العرب في دولة الاحتلال. حيث بينت أن النظام المدرسي الإسرائيلي يفصل بين الطلاب على أساس العرق والدين. وقد أشارت الدراسة إلى النقص الحاد في الغرف الصفية في المدارس العربية، وإلى التمييز الواضح في الميزانيات بين التعليم العربي، والتعليم العبري. وقد أشارت الدراسة إلى أن السلطات المهيمنة للدولة استمرت في التمييز بشكل منهجي ضد المجتمع العربي وممثليه المنتخبين.

أشارت دراسة **(Taub Center 2017)** إلى ما يعانيه نظام التعليم العربي في، من الإهمال والتمييز خلال سنوات طويلة، في مقابل نظام التعليم الإسرائيلي، سواء من حيث الموارد المخصصة، أو من حيث النواحي الأكاديمية. وقد تناولت الدراسة الفوارق بين النظامين في الميزانيات؛ إذ أشارت إلى أن ميزانية كل طالب عربي في نظام التعليم العربي، أقل بكثير من ميزانية الطالب اليهودي في نظام التعليم العبري.

تحديد المصطلحات

المساواة: يدور معنى المساواة على المماثلة والمعادلة [8]، يقال هذا الثوب مساو لذلك الثوب، وهذا الدرهم مساو لذلك الدرهم، واستوى يقال على وجهين: أحدهما، نحو قولنا: استوى زيد وعمر أي تساويا، قال تعالى: ﴿**لا يستوون عند الله**﴾[9]، وثانيهما، كقوله تعالى: ﴿**ذو مرة فاستوى**﴾[10] بمعنى اعتدال الشيء في ذاته. أما المساواة في علم الأخلاق فهي المبدأ المثالي الذي يقرر أن الإنسان من حيث هو إنسان مساو لأخيه الإنسان في الحق والكرامة. ولهذه المساواة قسمان: المساواة المدنية، والمساواة السياسية[11].

الكنيست: البرلمان الإسرائيلي، حيث يتم مناقشة القوانين والتشريعات المتعلقة بالدولة.

الوزارة: يقصد بها وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية المسؤولة عن التعليم في دولة الاحتلال.

المدرسة: كل مؤسسة تعليمية غير رياض الأطفال بغض النظر عن عدد طلبتها، وتركيبها الصفي سواء أكانت أساسية أم ثانوية إذ أدنى صف فيها لا يقل عن الصف الأول وأعلى صف لا يزيد عن الثاني عشر.

التفضيل المصحح: أي تفضيل المواطنين العرب في الميزانيات لتعويضهم عن سياسة التمييز المتبعة ضدهم منذ قيام دولة الاحتلال.

التسرب: الانقطاع عن المدرسة قبل إتمامها، لأي سبب كان باستثناء الوفاة وعدم الالتحاق بأي مدرسة أخرى.

البجروت، إحدى أهم الشهادات في دولة «إسرائيل» يحصل عليها الطلاب الذين أنهوا دراستهم الثانوية في احدى المدارس المعترف بها رسمياً من وزارة التربية والثقافة والرياضة، وذلك بعد اجتيازهم لجميع الالتزامات والامتحانات المقررة من الوزارة.

عرب 1948، العرب الفلسطينيون الذين حافظوا على وجودهم في مدنهم وقراهم، بعد احتلال إسرائيل لفلسطين عام 1948، أو هجروا منها إلى مناطق أخرى في المنطقة التي تم إعلانها لاحقا دولة إسرائيل، ومنهم من يمنعون حتى اليوم من العودة إلى قراهم أو بلداتهم الأصلية التي عُرّفتْ بمناطق مغلقة أو مناطق أمنية.

ولغرض تحقيق أهداف الدراسة سيتم تناول الموضوعات الآتية:

- **أولا**: الإقصاء والتمييز ضد المواطنين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1948.
- **ثانيا**: جهاز التربية والتعليم العربي في ظل الاحتلال من عام 1948 – 2019.

أ. التعليم العربي تحت الحكم العسكري من سنة 1948 – 1966.

ب. التعليم العربي 1967 – 1991.

ت. التعليم العربي من سنة 1992 – 2019.

- **ثالثا**: اللامساواة في التعليم: سياسة الاحتلال الاسرائيلي تجاه جهاز التعليم العربي في مناطق48

أ. اللامساواة في البنية التحتية

ب. اللامساواة في الهيكل التنظيمي لجهاز التعليم العربي.

- **رابعا**: طمس الهوية الجماعية للشعب الفلسطيني كشكل من أشكال التمييز.

الخاتمة، وتشمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

- **أولا**: الإقصاء والتمييز ضد المواطنين الفلسطينيين في الأراضي المحتلة عام 1948

لم تعترف دولة الاحتلال الإسرائيلي بمواطنيها الفلسطينيين كأقلية قومية أصلية ذات حقوق جماعية، بل عملت على تجزئتهم، فاعتبرتهم طوائف وأقليات وكثيرا ما عرفتهم في السجلات والإحصاءات الرسمية (غير اليهود). ولا تزال المؤسسة الإسرائيلية ممثلة بالكنيست والحكومة وأحزاب السلطة، ترفض الاعتراف بحق هؤلاء الفلسطينيين بالإدارة الذاتية، فيما يتعلق بشؤونهم الداخلية والمحلية. رغم أن القرارات الدولية نصت على أن الناس متساوون أمام القانون، ومتساوون في اكتساب الحقوق وممارستها دون تفريق بينهم؛ بسبب اللون أو الجنس أو الدين أو اللغة «فالأفراد أمام القانون سواء، دون تمييز بينهم بسبب الأصل أو الجنس أو الدين أو اللغة أو المركز الاجتماعي في اكتساب الحقوق وممارستها، والتحمل بالالتزامات وأدائها»[12]. كما إن مواثيق الأمم المتحدة تنص على ذلك، كما في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948، في مادته الثانية: «إن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات.... دون أي تمييز، كالتمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي سياسيا أو غير سياسي، أو الأصل الوطني أو الاجتماعي أو الثروة، أو المولد أو أي وضع آخر...» [13] ورغم صدور العديد من المواثيق عن الأمم المتحدة في العقود الأخيرة تعنى بحقوق الأقليات والشعوب الأصلية (Indigenous Peoples) كالذي أقرته الجمعية العامة في 13 أيلول 2007[14].

لم تقر دولة الاحتلال بالحقوق الجماعية للأقلية الفلسطينية في الأراضي المحتلة عام 48، وطبقت عليها سياسة الإقصاء

والسيطرة. وطورت كما يقول إيان لوستك (Lustick): نظام سيطرة شاملا يقوم على التجزئة (Segmentation)، بمعنى فصل الأقلية الفلسطينية عن الأكثرية اليهودية اجتماعيا وسياسيا وإداريا من ناحية، وتطبيق سياسة فرق تسد على هذه الأقلية، وما رافق ذلك من تعزيز للانقسامات الداخلية بين أبنائها بحسب الدين والحمولة والمنطقة الجغرافية. ويقوم على التبعية (Dependence)، التي تعني تعزيز اعتماد المواطنين العرب على الأكثرية اليهودية في الموارد الاقتصادية والسياسية المهمة، وبخاصة في إيجاد فرص عمل والحصول على تصاريح أو رخص لأغراض مختلفة. وأخيرا الاحتواء (Co - optation)، أي استقطاب القيادات التقليدية من خلال منحها الامتيازات أو الرشاوى؛ بهدف الاستيلاء على الموارد العربية، وبخاصة الأراضي ومراقبة المجتمع المحلي [15].

مارست دولة الاحتلال التمييز والإقصاء ضد مواطنيها الفلسطينيين في كل المجالات؛ فعلى الصعيد السياسي استبعدوا من مراكز صنع القرار السياسي، ومن الوظائف الحكومية العليا؛ رغم أنهم منحوا بعض الحقوق الأساسية مثل: حق الانتخاب، وحق الترشح للكنيست، والسلطات المحلية. كما عملت المؤسسة الإسرائيلية على تعزيز الهيمنة الإثنية اليهودية الحصرية على الحقل السياسي، وتستخدم «المشاركة السياسية لمواطنيها الفلسطينيين، كمصدر هام لشرعنة مظهرها الديمقراطي المزيف»[16]. ففي مجال التشريع كثرت في الكنيست في العقد الأخير مشاريع القوانين والتعديلات القانونية المعادية للعرب، التي تهدف إلى تعميق فكرة الدولة اليهودية، وإلى نزع الشرعية عن الأقلية الفلسطينية في دولة الاحتلال ومن ذلك البند 134 (ج) الذي ينص على «أن رئيس الكنيست ونوابه لن يوافقوا على مشروع قانون إذا كان، من وجهة نظرهم، عنصريا أو ينكر وجود دولة «إسرائيل» كدولة للشعب اليهودي»[17]. وتكمن أهمية هذه القوانين والأنظمة في أنها تحد من قدرة الأقلية العربية الفلسطينية على المستوى البرلماني–الحزبي لتغيير هوية «إسرائيل» القومية من دولة يهودية إثنية إلى دولة مدنية أو دولة ثنائية القومية.

- **ثانيا**: جهاز التربية والتعليم العربي في ظل الاحتلال من عام 1948 – 2019

يجري تقسيم جهاز التربية والتعليم الإسرائيلي إلى أجزاء وقطاعات، وفق الانتماء القومي ودرجة التدين، فهناك جهاز تعليم خاص بالمدارس اليهودية للمتدينين، وآخر للعلمانيين، أما الثالث، فهو جهاز التعليم العربي. وجرى في كل من هذين الجهازين اعتماد لغة مختلفة: اللغة العربية في التعليم العربي، واللغة العبرية في التعليم اليهودي، ويعود السبب في ذلك إلى سياسة العزل والفصل العنصري بين المجموعتين، فالطالب العربي نادرا ما يلتقي باليهودي[18].

أ. التعليم العربي تحت الحكم العسكري من سنة 1948 - 1966

فرضت دولة الاحتلال الحكم العسكري على الداخل الفلسطيني في حرب 1948 وبعدها لمدة 18 عاماً حيث تميز هذا النظام بشقين أساسيين هما: التجزئة والتبعية وذلك بهدف السيطرة على المجتمع العربي الفلسطيني في الداخل. حيث هدفت إلى فصل الأقلية الفلسطينية العربية عن الأكثرية اليهودية في الدولة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، كما سعت إلى تجزئة الأقلية العربية الفلسطينية جغرافيا، وسعت لتجزئتها إلى عدة مجموعات صغيرة مع إبراز الاختلافات في نمط الحياة (بدو وغير بدو) والديانة (إسلام ومسيحيون ودروز) متبعة سياسة فرق تسد ومصممة لهذه المجموعات الثانوية هويات مختلفة الأمر الذي أبرز الأقلية العربية الفلسطينية كجزء من العدو[19].

مارست إسرائيل ضد هذه الأقلية الهشة والمنكوبة، استراتيجية الاحتواء من خلال خلق تعاون وبناء علاقات بين الدولة وعدد من النخب العربية، عن طريق منحهم امتيازات اجتماعية وسياسية ودفع الرشا؛ بهدف انتزاع وسلب ما تبقى للأقلية العربية من موارد وإبقاء أفرادها تحت المراقبة الدائمة والمتواصلة، وهذا ما عُرف بالنخب المتعاونة. فمنذ البداية عينت الحكومة الاسرائيلية المتعاونين معها من الفلسطينيين في مناصب قيادية داخل المجتمع الفلسطيني (مخاتي، شيوخ ، قيادات دينية، رؤساء بلديات، او غيرهم)، أو قامت بتعيينهم في وظائف ومناصب في أجهزة رسمية منفصلة تتعامل مع الأقلية الفلسطينية (مفتشون تربويون، ومديرو مدارس، ومعلمون). فعلى مدار فترة الحكم العسكري لم يتم تعيين أي معلم أو موظف حكومي من دون وساطة أحد المتعاونين من عملاء دولة الاحتلال [20].

عارض الاحتلال منح جهاز التعليم العربي إدارة ذاتية خوفا أن تدفع هذه الاستقلالية الأقلية الفلسطينية إلى المطالبة بالتحرر؛ ولذلك استمرت السيطرة على المناهج التعليمية كي لا تكون أرضاً خصبة لنمو المشاعر القومية وتنمية الحس الوطني. وهكذا تحددت سياسة التعليم الحكومي بإدراج جهاز التعليم العربي ودمجه ضمن الجهاز التربوي الحكومي العام، لكن من خلال تطبيق آلية الحكم العسكري التي يترتب عليها عزل جهاز التعليم العربي عزلاً ثقافياً واجتماعياً وسياسياً؛ بهدف السيطرة وإحكام الرقابة عليه[21].

وجرى تطوير نظام مدرسي منفصل للعرب وآخر لليهود وهذا أسهم في تعميق الهوة والفجوة بين الجهازين، ومن أبرز مظاهر الفصل اعتماد لغات مختلفة للتدريس، ففي الجهاز العربي اعتمدت اللغة العربية، وفي اليهودي العبرية، فضلاً عن اختلاف جوهري في المناهج، وتخصيص الميزانيات[22]، وتوفير المرافق الضرورية اللازمة في المؤسسات التربوية، فقد أعاق عدم توفر بنية تحتية ملائمة في المدارس العربية تقدم الجهاز العربي وتطوره، فضلا عن الحكم العسكري الذي عانت الأقلية العربية عواقبه، وآثاره السلبية في مناحي الحياة ومجالاتها كافة[23].

ب. التعليم العربي 1967 – 1991 م

بدأت حكومة الاحتلال بعد عام 1967 بتطبيق سياسة الدمج، واتبعت هذه السياسة لعدة أعوام بهدف توحيد جميع الهويات والثقافات المتعددة للمجموعات التي شكلت نسيجاً، وخلق هوية إسرائيلية واحدة تتسم بالمميزات الثقافية لمجموعة الأكثرية فقط، مع تجاهل تام للاختلافات بين مجموعة المهاجرين والأقلية الفلسطينية. ومن الخطوات الأولى؛ لتحقيق الدمج وتطبيق الإصلاحات قام الكنيست بإقرار إنشاء المدارس الإعدادية وإلغاء المدارس الشاملة، وتم إعادة تنظيم الجهاز المدرسي فانتقل من مرحلتين دراسيتين إلى ثلاث مراحل دراسية. فاكتملت خلال الستينيات فكرة الدمج، إذ جرى إعادة بناء هيكلة جهاز التعليم

في المدارس العربية، لكن يُذكر أنه جرى إقصاء المعنيين العرب من التخطيط لمثل هذه الإصلاحات بشكل متعمد، فظهر جلياً أن عملية تحديد السياسات التربوية، وإدارة النقاش بشأنها هو شأن يهودي داخلي لا يحق للمسؤولين العرب التدخل فيه. وقد أدت الإصلاحات التربوية بعيداً عن هيكلة جهاز التعليم العربي، إلى تغيير في مناهج التدريس، فلم تتم الإشارة إلى القومية العربية من خلال خطة الدمج التي طبقت[24].

عُينت في شباط 1972 لجنة استشارية لدراسة الاتجاهات الأساسية في التعليم العربي، فعملت على تحديد خطوط عريضة جديدة، وبتحديد المناهج أملاً أن تكون هذه التغييرات دافعاً إلى تعزيز تماهي الأقلية العربية مع الدولة. وفي عام 1975 عُينت لجنة أخرى بهدف تحديد حاجات التعليم العربي والسياسة التي سيتم اتباعها خلال الثمانينيات. فاعتمدت السياسة التي تم رسمها على أسس الثقافة العربية وعلى تشجيع التميز لدى العرب في دولة الاحتلال، ولكن طالبت الطلاب العرب بالولاء لدولة الاحتلال، بينما مُنح الطالب اليهودي حرية تنمية شعوره بالانتماء وفق تراث شعبه اليهودي[25]. وقد دعمت هذه الازدواجية في جهازي التعليم؛ بوضع أهداف مختلفة لهما، وسعت لتعزيز طابع الدولة اليهودي، واستمرت هذه الإصلاحات في خدمة أهداف دولة الاحتلال.

ت. التعليم العربي 1992 – 2019

بدأ يظهر التأرجح والتناقض في تعامل دولة الاحتلال مع الأقلية الفلسطينية بدءاً من سنة 1993 وتزامناً مع محادثات السلام بين الفلسطينيين ودولة الاحتلال، فبدلاً من أن تؤدي عملية السلام دوراً في تحقيق المساواة التامة للأقلية الفلسطينية في الداخل عام 1948، أظهرت الأعوام اللاحقة أن هذه الأقلية تعيش حالة تهميش مُضاعف[26]. هذه التناقضات شجعت الأقلية الفلسطينية على المطالبة بالإدارة الذاتية الثقافية والتعليمية والمؤسساتية والقومية؛ بهدف الاستقلالية التامة في القضايا التعليمية، التي تهدف إلى تعزيز الهوية الثقافية القومية للأقلية العربية الفلسطينية. وقد رأت وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية في الإدارة الذاتية أداة لتحقيق مثل هذا النوع من التربية[27].

حاولت الأقلية العربية تقديم اقتراحات وبرامج بديلة تُمكنها من التخلص من السيطرة المُحكمة للدولة المركزية، وأعرب ممثلو الأقلية العربية عن استيائهم من الإهمال والتهميش المستمر ضدهم، فتم تشكيل لجان مشتركة بين لجنة المتابعة ووزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، لكن لم يعترف وزير التربية والتعليم الإسرائيلي (جدعون ساعر) بتوصيات اللجان الأمر الذي أبقى التعليم العربي في طور الانتظار[28].

- **ثالثا**: اللامساواة في التعليم: سياسة الاحتلال الإسرائيلي تجاه التعليم العربي

– اللامساواة في البنية التحتية

يعاني التعليم العربي من مشكلتين أساسيتين، وهما: انعدام الإدارة الذاتية في مجال التعليم العربي، والتمييز في تخصيص ميزانيات التعليم. فالمعطيات الإحصائية تشير، بوضوح، إلى تمييز متواصل ضد الجمهور الفلسطيني، ويظهر ذلك في نسبة المصروفات العامة على التلميذ الواحد. فوزارة التربية والتعليم الإسرائيلية عملت على تعميق سياسة التمييز ضد جهاز التعليم العربي، وعمّقت الفجوات في الميزانيات بين جهاز التعليم العربي من جهة، وأجهزة التعليم العبري، من جهة أخرى، مع تفضيل أكبر لجهاز التعليم العبري من التيار الديني الصهيوني. ووصلت الفجوات والفوارق في الميزانيات التي ترصد على مستوى الطالب إلى نسب 33 % وحتى 40 %[28].

ارتفعت الميزانية العامة التي ترصد للطالب الواحد في جهاز التعليم العبري «الديني الصهيوني» بنسبة 12 %، وميزانية الطالب اليهودي في جهاز التعليم العبري الرسمي بنسبة 8 %، بينما ميزانية الطالب العربي ارتفعت بنسبة 5 %، ما زاد الفجوات أكثر. وتبين المعطيات في موقع وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية، والمعطيات التي نشرها ملحق ذي ماركر (The Marker) الاقتصادي، أن الطالب العربي في المرحلة الثانوية حصل على ميزانية تقل بنحو 36% عما حصل عليه الطالب اليهودي في جهاز التعليم الديني الرسمي. وأظهر التقرير أن دولة الاحتلال استثمرت ميزانيات إضافية، مبلغ 1360 دولارا في الطالب اليهودي الذي يدرس في مدارس التيار الديني الصهيوني، و850 دولارا في المدارس الإسرائيلية العامة، مقابل 570 دولارا في الطالب العربي[29]. فميزانية كل طالب في نظام التعليم العربي أقل بكثير من نظام التعليم العبري؛ فقد جرى تخصيص 5680 دولارا لكل طالب في المرحلة الابتدائية في المسار العبري في عام 2015، بينما خُصِّصَ حوالي 4550 دولارا فقط في التعليم العربي [30]. وقد أشار التقرير الصادر عن مركز مساواة عام 2018، أن دولة الاحتلال الإسرائيلي تنفق 1135 دولارًا أمريكيًا أكثر لكل طالب يهودي مقارنةً بنظيره العربي، ما يعني أن الطلاب العرب والمدارس العربية يعانون من عيوب تعليمية طويلة الأجل[31].

وقال تقرير آخر لصحيفة «ذي ماركر» (The Marker) إن ميزانيات التعليم التي تحصل عليها البلديات العربية من وزارة التربية والتعليم في أفضل أحوالها مشابهة لتلك التي تحصل عليها البلديات اليهودية، وفي حالاتها الأسوأ أقل بنسبة 20 % من تلك التي تحصل عليها البلدات اليهودية. وبالتالي تكون ميزانيات التعليم في البلديات العربية بالنسبة لحصة الطالب العربي أقل بنسبة 35 % من تلك التي للطالب اليهودي. وتكشف تقارير وزارة التربية والتعليم الإسرائيلية ومعطياتها عن صورة قاتمة من حالة عدم المساواة في تمويل جهاز التعليم من المجالس والبلديات، وتصل الفروقات إلى 340 في المائة بين البلدات، وتحتل البلدات العربية الفلسطينية والبلدات اليهودية، التي غالبيتها من تيار الحريديم، أسفل درجات السلم من حيث حصولها على ميزانيات حكومية، علما بأن العرب واليهود الحريديم يشكلون نحو نصف جهاز التعليم في (إسرائيل). وفي المقابل، بيّنت المعطيات أن بعض المستوطنات الإسرائيلية والقرى التعاونية والكيبوتسات تحصل على أعلى نسبة تمويل لمدارسها. وتنعكس الفوارق الطبقية المتفاقمة في حجم الميزانيات المخصصة للجهاز التعليم في صفوف البلدات المختلفة طبقا لحالتها المادية والاقتصادية، إذ يتضح أن البلدات والمدن الإسرائيلية المصنفة بأنها برجوازية، وتملك تصنيفا بين 4 – 6 وفق (مقياس العناقيد)، حصلت على أكبر حجم من الميزانيات[32].

يتبين، من قراءة لنتائج هذا التمييز، أن الطالب العربي

يحصل على ساعات تعليمية أقل من الطالب اليهودي، ما يزيد من إمكانية عدم المساواة في الفرص بين الطلاب، وكذلك في جودة التعليم الذي تتلقاه كل فئة، ومستواه. وكذلك فإن حصة الطالب العربي من سلة الخدمات التربوية لا تزال شحيحة، ولا تفي بالاحتياجات الضرورية. وتتجلى الفجوات الكبيرة الفاصلة بين الجهازين التربويين في مسألة الموارد؛ إذ لا زالت المدارس العربية تعاني من عدم قدرتها على توفير الخدمات التعليمية والتربوية التي توفرها المدارس اليهودية لطلابها، إذ يعاني جهاز التعليم العربي من عدد ساعات أقل بنحو 10 % قياسا بالجهاز اليهودي، وعدد ساعات التدريس الممنوحة للطالب العربي تصل إلى نحو 1.4 ساعة بالمعدل، بينما يحصل الطالب اليهودي 1.7 ساعة بالمعدل، إضافة إلى 43.8 ساعة ممنوحة للصف في المدارس العربية قياسا بنحو 48.7 ساعة في المدارس اليهودية [33]. وبحسب تقرير مركز مساواة الصادر عام 2018، فإن ضآلة الميزانيات المخصصة للتعليم العربي، أدت إلى، معاناة المدارس العربية من: نقص غرف التدريس، وكذلك الازدحام في الصفوف، وإلى المعاناة من المباني الأقل تأهيلا، وأقل صلاحية للتعليم [34]؛ **وهذه الظروف نتج عنها**:

1. وجود فجوة في البنية التحتية بين التعليم العربي، والتعليم العبري، كما تتسم غرف التدريس العربية بالاكتظاظ، إذ إن معدل عدد الطلاب لكل معلم أكبر في المدارس الابتدائية منه في المراحل الأخرى، فهناك زيادة دائمة لعدد التلاميذ في الغرف الدراسية في المدارس العربية بنحو (4 – 5) تلاميذ للغرفة مقارنة بالمدارس اليهودية. وهذه الفجوة ناجمة، في الأساس، عن التلاعب في المعايير المستخدمة في توزيع ساعات التدريس، كاستخدام معايير خاصة لا يستفيد منها إلا الطلاب اليهود، والواضح أن هذه المعايير وضعت حسب حاجات جهاز التعليم العبري[35].

2. نتائج متدنية في الامتحانات الرسمية على أنواعها في المدارس العربية، ونسبة التسرب المرتفعة، ونسبة النجاح المنخفضة في امتحانات (البجروت)، ونسبة القبول في الجامعات الإسرائيلية. فقد أشار تقرير دوف ليبر (Dov Lieber) الصادر عام 2017، إلى أن نسبة تسرب الطلاب العرب في المدارس حوالي ضعفي نسبة تسرب الطلاب اليهود، فمثلا 36 % فقط من العرب الذين تتراوح أعمارهم بين 25 و34 عامًا كان لديهم أكثر من 13 عامًا من التعليم، مقارنة بـ 72 % بين اليهود من الأعمار نفسها [36].

وكان مجلس التعليم العالي أصدر معطيات حول نسب انخراط الطلاب العرب في الجامعات والكليات الإسرائيلية، حيث يتبين منها أن نسبة الطلاب العرب في اللقب الأول (البكالوريوس) وصلت في العام 2016 /2017 16.1 %، و13 % اللقب الثاني (الماجستير)، و6.3 % للقب الثالث (الدكتوراه). ويشار هنا، إلى أن هذه الإحصاءات تتعلق بأعداد الطلبة الجامعيين في معاهد التعليم العالي الإسرائيلية، وبحسب تقديرات غير رسمية فيتراوح عدد الطلاب الجامعيين في الضفة المحتلة والأردن وأوروبا، ما بين 16 – 17 ألف طالب [37]. وهذا يعني أن هناك فجوة في التعليم الجامعي بين المواطنين العرب واليهود، وأن تمثيل الطلاب العرب في الجامعات الإسرائيلية متدن، وأن تمثيل الطلاب العرب من مجموع طلاب الجامعات، وتمثيل الخريجين العرب من مجموع خريجي الجامعات أقل بكثير من نسبة السكان العرب من مجموع سكان دولة الاحتلال[38].

– اللامساواة في الهيكل التنظيمي لجهاز التعليم العربي.

يطلق على جهاز التعليم العربي، قسم التعليم للعرب وهو يتسم بالمركزية المفرطة، ويخضع، بشكل مطلق، للحكومة ويديره ويشرف عليه يهود، ولا يشرك المواطنين العرب، بصورة فعلية، في صنع القرارات المتعلقة بالتعليم العرب[39]. فجهاز التعليم العربي يفتقر إلى إدارة ذاتية مستقلة، كما إن هذا الجهاز الإداري يخضع إلى سيطرة كاملة من الحكومة الإسرائيلية، منذ قيام دولة الاحتلال وحتى اليوم. فوزارة التعليم العبري وموظفوها، وأحيانا جهاز المخابرات (الشاباك) «يتحكمون في التعليم العربي في كل المجالات: كالبنية التحتية، ومستوى الخدمات، ومناهج التعليم، والبرامج، والتعيينات»[40]. فالشاباك يتدخل في تعيين المعلمين ومديري المدارس والمشرفين في جهاز التعليم العربي، كما إن المربين والإداريين العرب لا يُشركون في عملية صنع القرار ورسم السياسات التربوية، وهذا بعكس «جهازي التعليم الديني، والديني الرسمي المنفصلين إداريا، وفيزيائيا عن جهاز التعليم الحكومي»[41]. فجهاز التعليم العربي غير مستقل بأي شكل من الأشكال، ويجري تعيين رجال الإدارة من المفتشين والمديرين وغيرهم في وزارة التربية والتعليم في المناصب الإدارية رفيعة المستوى، لكن ليس هناك حضور إلا لعدد قليل من العرب فقط[42].

وهذا الواقع يحد من مساهمة العرب الفلسطينيين في البرامج التعليمية والتربوية المتعددة في الوزارة، وعلاوة على ذلك؛ فإن انعدام تمثيل العرب في المناصب الرفيعة في وزارة التربية والتعليم، «يمنع المدارس العربية من الاطلاع على البرامج التعليمية المتعددة التي تعتبر إلزامية»[43].

- **رابعا**: طمس الهوية الجماعية للشعب الفلسطيني كشكل من أشكال اللامساواة

يعمل جهاز التعليم العبري على طمس، وإضعاف الهوية الجماعية القومية لدى الأقلية العربية الفلسطينية في دولة الاحتلال. وينعكس ذلك في بعض القوانين بما فيها قانون التعليم الرسمي (الحكومي) لعام 1953؛ إذ عمل هذا القانون على إيجاد تعليم رسمي، وتعليم رسمي ديني. وخارج هذا القانون بقيت المدارس التي تدرس أبناء اليهود المتدينين المتشددين، التي اعترف بها رسميا باسم التيار المستقل، أو التعليم الديني غير الرسمي [44]، بينما لم يحظ التعليم العربي باعتراف مشابه. ويرجع سبب عدم الاعتراف بالتعليم العربي، بحسب ميعاري، إلى: افتقار الأقلية العربية الفلسطينية إلى قوة سياسية فاعلة في الكنيست، وخارج الكنيست ما أسهم في عدم حصولها على إدارة ذاتية مستقلة في مجال التعليم[45].

حدد قانون التعليم الرسمي لعام 1953، الخطوط العريضة لمضمون التعليم الرسمي، الذي تقدمه الدولة بحسب منهاج يقره الوزير، بشرط أن يخدم هذا المنهاج ترسيخ القيم التي نص عليها القانون، وهي التربية على قيم الثقافة الإسرائيلية، وحب الوطن والولاء للدولة، ولشعب إسرائيل، والتطلع إلى مجتمع يقوم على الحرية والعدالة والمساواة والتسامح والمساعدة المتبادلة وحب الإنسانية. وقد أُقر هذا الهدف المشبع بالقيم اليهودية والصهيونية، لجميع الطلاب في التعليم الرسمي، يهودا وعربا[46].

يبدو، واضحا، أن هذا القانون لم يأخذ بعين الاعتبار حاجات التعليم العربي، بل يتجاهل وجود أقلية عربية فلسطينية أصلية متميزة قوميا وثقافيا في هذه البلاد، ولا يعبر عن حاجاتها الضرورية، ومصالحها الخاصة. وهذا التجاهل لم يكن عفويا أو سهوا؛ بل كان مقصودا منه التعبير عن يهودية الدولة، وعدم الاعتراف بمواطنيها العرب كجماعة قومية، وسعى إلى طمس هويتهم الجماعية والثقافية. كما لم تحظ الرواية التاريخية والمميزات الثقافية للأقلية العربية باعتراف رسمي من طرف الدولة، وغيبت ملامحها ومميزاتها من مناهج التدريس[47].

زادت الانتقادات الموجهة إلى أهداف التعليم ومناهجه في المدارس العربية من حيث: وضع المدارس العربية والمناهج المقررة، وغياب الاهتمام بتعليم اللغة العربية، حيث تدريس الأدب العربي دون كتب، ومواده مكتوبة بطريقة مشتتة، وحذف جزء كبير منه مما يتناول التحرر الوطني؛ بطريقة لا تمكن التلاميذ من رصد الإرث الوطني الثمين لشعبهم[48]، ولذلك عُيّنتْ لجنة خاصة عام 1971 سميت لجنة يادلين؛ لإعادة النظر في أهداف التعليم العربي، حيث أوصت بمجموعة من المبادئ التي يجب أن يرتكز عليها التعليم للعرب، ومنها: التربية على قيم السلام، والتربية على الولاء للدولة، مع التشديد على المشترك لكل مواطنيها، والحفاظ على الخصائص الفريدة للعرب، ووضع خطط تهدف إلى تسهيل استيعاب المواطنين العرب اجتماعيا واقتصاديا، وتنمية القيم الثقافية العربية والإسرائيلية والعالمية، وتربية الفتاة على الاستقلالية وتحسين مكانتها»[49].

تنبع أهمية هذه الوثيقة من كون الجهات الرسمية أولت انتباها لخصوصية التعليم للعرب، ولضرورة صياغة أهداف خاصة بالطلاب العرب؛ لكن يلاحظ أن هذه الوثيقة تحتوي على تناقضات داخلية كثيرة؛ فهي لم تعبر عن احتياجات العرب الفلسطينيين وطموحاتهم؛ لأنها لم تتطرق إلى هويتهم القومية، بل حاولت خلق إنسان عربي إسرائيلي، مقتلع من جذوره القومية والثقافية، المتصلة بالعالم العربي وبالشعب الفلسطيني. فهذه الوثيقة تجاهلت الهوية القومية للعرب في «إسرائيل» وطمستها، وحاولت إلغاء ثقافتهم من خلال فرض أخلاقيات، وقيم مقبولة على المجتمع الإسرائيلي، المهيمن عليه يهوديا عبر نظام تعليم تسيطر عليه الحكومة[50]. وقد شُكلت، بعد ذلك، لجنة جديدة باسم لجنة تخطيط التعليم العربي لسنوات الثمانينيات [51]، حيث انتقدت هذه اللجنة وثيقة يادلين؛ لأنها تجاهلت الصراع الذي يواجهه العرب، بين التماثل مع الشعب العربي والولاء للدولة.

لم تتغير السياسة الرسمية تجاه التعليم العربي، بشكل جدي حتى اليوم، فالكنيست أدخل عام (2000) تعديلات على قانون التعليم الرسمي، وبخاصة على أهدافه. وبمراجعة لتلك الأهداف، يتبين أنها لا تختلف جوهريا عن الأهداف السابقة، لأهداف التعليم العربي، حيث يتطرق بند واحد فقط بشكل مباشر للسكان العرب ولجماعات سكانية أخرى في دولة الاحتلال. وينص على «التعرف على اللغة والثقافة والتاريخ والتراث والتقاليد الفريدة لهؤلاء السكان ولتلك الجماعات السكانية»[52]. وهذا البند، لا يتناول حصريا الأقلية العربية الفلسطينية في دولة الاحتلال، بل يركز على الثقافة والتراث والتقاليد، ولا يشير إلى انتمائها للشعب الفلسطيني، ولأمتها العربية، ولا يدعو إلى ضرورة تعزيز وعيها بذلك. وبالمقابل؛ فإن القانون يشدد على غرس القيم اليهودية والصهيونية، وقيم دولة الاحتلال كدولة يهودية وديمقراطية.

أضف إلى ذلك، أن وزراء التربية والتعليم الإسرائيليين تبنوا هذه السياسة، فقد نقل عن وزيرة التربية والتعليم «ليمور لفنات» قولها: «سوف يُرسَّخ التعليم في القيم الأبدية للتقاليد اليهودية، وفي الوعي الصهيوني واليهودي وفي القيم العالمية كتاب الكتب التوراة، واللغة العبرية وتاريخ الشعب اليهودي هي حجر الأساس لهويتنا الوطنية، وتأخذ مكانتها في تعليم الأجيال الشابة»[53]. أما الوزير «جدعون ساعر، فأكد على التربية للقيم اليهودية والصهيونية، وأوضح أنه لن يسمح بتعليم الرواية العربية في المدارس؛ لأنها تعتبر قيام إسرائيل نكبة [54].

أقرت حكومة الاحتلال في العام 2005 تقرير لجنة «دوفرات» كأساس لإعادة صياغة مبنى التعليم في «إسرائيل» وأهدافه ومضامينه؛ وتضمن التقرير فصلا يتعلق بالتعليم العربي، إذ اقترح فتح صفحة جديدة في بناء جهاز التعليم العام العربي على أسس المساواة والشراكة، بشكل يقوي الانتماء والاخلاص للدولة، كما اقترح أن يُعبّر التعليم العام العربي، رغم الصراع القومي القائم، عن التراث العربي الخاص، وعن الاخلاص الكامل لدولة «إسرائيل»، والمساواة الكاملة في الحقوق والواجبات بين كل مواطنيها بدون فروق بحسب الدين والجنس والقومية، وأوصى التقرير بأن يلتزم التعليم العام العربي بأهداف التعليم العام وإضافة أهداف خاصة له، منها: تنمية الهوية الشخصية والهوية العربية الجماعية وتطويرها كأساس تربوي ونفسي واجتماعي لاندماج كامل في المجتمع الإسرائيلي، وفي دولة «إسرائيل» كدولة يهودية وديمقراطية. ومعرفة اللغة العربية وتنميتها ومعرفة الثقافة والتراث العربي. ومعرفة الثقافة اليهودية واللغة العبرية وتاريخ الشعب اليهودي.

تعتبر إضافة مثل هذه البنود للتعليم العربي، وبخاصة فيما يتعلق بتنمية الهوية العربية والجماعية تقدما، مقارنة بقانون التعليم الرسمي المعدل لعام 2000، لكن هذا التقدم النسبي لا يكفي؛ لأن مفهوم الهوية العربية الجماعية هو بالأساس مفهوم ثقافي، ويأتي في سياق الاندماج في دولة الاحتلال كدولة يهودية وديمقراطية بحسب القانون. كما إن تقرير «دوفرات»، لا يعترف بالمواطنين العرب كأقلية قومية، وأنهم جزء من الشعب العربي الفلسطيني [55]. كما إن الأهداف الواردة في تقرير «دوفرات» لا تحتوي على أي شيء جديد، فهي كما يقول الحاج: «كالأهداف الواردة في تقرير لجنة بيلد عام 1975، تتطرق إلى تعزيز الهوية الجماعية للطلاب العرب، ولكن كأقلية دينية وثقافية وليس كأقلية قومية. وهناك بعض التراجع في تقرير دوفرات مقارنة بتقرير بيلد، إذ لا يتطرق التقرير إلى إسرائيل «كبلاد مشتركة لكل مواطنيها، بل يتطرق إليها كدولة يهودية وديمقراطية»[56].

الخاتمة

طبقت السياسات التربوية والثقافية للدولة العبرية تجاه العرب، وفقا للفرضية التي تقول: «إنك إذا تحكمت بما يدخل وعي الشعب تحكم هذا الوعي ومنتوجه» بحسب مرعي. وانطلاقا من

ذلك، تحكمت سلطة الاحتلال في التربية والثقافة الرسميتين، حتى تحصل على هوية دونية خاضعة، مجزأة معدومة الملامح القومية. فأصبحت العملية التربوية للفلسطينيين في مناطق 48 جهاز سيطرة سياسية واجتماعية في يد المؤسسة الإسرائيلية الحاكمة، وذلك منذ قيام دولة الاحتلال إلى يومنا هذا. فجهاز التربية والتعليم تديره الأكثرية، وكل قرار له صلة بالتعليم العربي تتخذه الأكثرية نيابة عن الأقلية.

وفي الختام يمكن إجمال أهم النتائج فيما يأتي:

1. يرفض الاحتلال الاعتراف بخصوصية الأقلية الفلسطينية، ولذلك يسعى إلى طمس هويتها الثقافية، ويتجاهل حقوقها واحتياجاتها، في المجالات المختلفة ومنها التعليم.

2. عمل الاحتلال على التمييز بين المواطنين الفلسطينيين واليهود من خلال مجموعة القوانين التي تم سنها، وتعمل على تعزيز الهيمنة والسيطرة على الأقلية الفلسطينية.

3. عارضت حكومة الاحتلال منح جهاز التعليم العربي إدارة ذاتية، فتم إدراجه ودمجه في الجهاز التربوي الحكومي، بهدف عزله ثقافيا واجتماعيا.

4. عمق الاحتلال الفجوة بين التعليم العربي والتعليم اليهودي؛ من خلال العمل على تطوير جهازين تربويين مختلفين أحدهما للعرب وآخر لليهود.

5. يعاني الجهاز التربوي العربي من التمييز في المخصصات، وبرز ذلك في نسبة المصروفات لكل طالب، فنسبة الطالب العربي أقل بكثير من نسبة الطالب اليهودي.

6. يعاني جهاز التعليم العربي من عدد ساعات أقل بنحو 10% من عدد الساعات التعليمية المخصصة للطالب اليهودي.

7. يوجد فجوة كبيرة في البنية التحتية بين جهاز التعليم العربي، وجهاز التعليم اليهودي، حيث العجز الكبير في المباني، والغرف الصفية، والحواسيب والمختبرات، والمكتبات.

8. تعاني الغرف التدريسية في جهاز التعليم العربي من اكتظاظ كبير، على عكس الغرف التدريسية في التعليم اليهودي.

9. عدم وجود إدارة ذاتية للتعليم العربي، سهل سيطرة الحكومة على الجهاز، والتحكم به من خلال التحكم بالمجالات المتعلقة به من حيث التعيينات والبرامج، ومناهج التعليم.

10. سعى واضعو السياسة الإسرائيلية، إلى تفريغ المناهج الدراسية في جهاز التعليم العربي من مضامينها القومية العربية، وبخاصة في مواد التاريخ واللغة العربية.

الهوامش:

1. إسماعيل أبو سعد، التعليم العربي في إسرائيل وسياسة السيطرة: واقع التعليم في النقب، (بئر السبع: جامعة بن غوريون، 2011)، ص84.

2. نقلا عن: د. خالد حسني عرار، الدكتور سامي خليل مرعي (1940 – 1986)، الإنسان، الرؤيا، المشروع والإرث الحضاري،) الناصرة: المركز العربي للحقوق والدراسات، 2010)، ص129.

3. عزيز حيدر، "العرب في إسرائيل والتعليم العالي"، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 4، العدد 15 (1993). الموقع الالكتروني للمجلة https://bit.ly/2FLv16w:

4. عرار، ص127 – 128.

5. المرجع نفسه، ص128.

6. المرجع نفسه، ص128.

7. إلياس عطا الله، وآخرون، المغيبون، قراءة نقدية لكتب المناهج الإسرائيلية في المدارس العربية الثانوية، (حيفا: جمعية الثقافة العربية، 2014)، ص17 – 18.

8. إبراهيم مصطفى، وآخرون، المعجم الوسيط، (تركيا: المكتبة الإسلامية، د. ت)، ص466.

9. ﴿ التوبة:19﴾

10. ﴿ النجم:6 ﴾

11. شكري شرف الدين، اللامساواة في المدرسة وتأثيرها على التحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير مشورة (جامعة محمد خيضر، بمسكرة، 2015)، ص22.

12. كريم كشاكش،الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة،(الاسكندرية: منشأة المعارف، 1987)، ص303.

13. «الاعلان العالمي لحقوق الإنسان» الأمم المتحدة، في 31/3/2018، في: https://bit.ly/2hrKTAM

14. *General Assembly of the United Nations, United Nations Declaration on the rights of Indigenous Peoples, Resolution 61/295 13 September. 2007*

15. *Ian Lustick, Arabs in the Jewish State, (Austen and London: University of Texas press), p6477-*

انظر: محمود ميعاري، مناهج التعليم العربي في إسرائيل، (الناصرة: المجلس التربوي العربي، 2014) ص22–21.

16. *Amal Jamal, "The Contradictions of State-Minority Relations in Israel: The Search for Clarifications", Blackwell Publishing Ltd, Constellations Volume 16, Number 3(2009), p 495.: https://bit.ly/2RU5P2z* شوهد في *3/7/2019.*

17. *Ilan Saban , "Minority Rights in Deeply Divided Societies: A Framework for Analysis and the case of the Arab-Palestinian Minority in Israel" Journal of International Law and Politics, vol 36, (2004),p 902 : https://bit.ly/2XlJS2l* شوهد في: 2019 /6/25: في

18. خالد عرار، "السياسات التربوية الإسرائيلية وحال التعليم العربي في إسرائيل» مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد (115)، 2018، ص137.

19. المرجع نفسه، ص139.

20. *Lustick, p64-77.*

21. *Mar'i, Sami. Arab Education in Israel. (New York: Syracuse University, 1978), p.53.*

22. ميعاري، ص21. انظر أيضا

23. *Golan-Agnon, Daphna "Separate but not Equal: Discrimination Against Palestinian Arab Students in Israel". American Behavioral Scientist, vol. 49, no. 8, pp. 1075-1084, (April 2006).*

24. *Arar, Khalid & Khaled Abu-Asbah (2013). "Not Just Location: Attitudes and Functioning of Arab Local Education Administrators in Israel". International Journal of Education Management, vol. 27, issue 1, pp. 54-73.*

25. نضال محمد وتد، تمييز إسرائيلي في الميزانيات ضد الطلبة العرب، العربي

الجديد، في 1/9/2016 ، في: https://bit.ly/2unch6R شوهد بتاريخ 11/10/2019

26. الخنساء ذياب، وربى دعاس «جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل: فجوات مستمرة في ظل المطالبة بالعدل الاجتماعي»، الكرمة، العدد (8،9)، 2013، ص 28.

27. *Al-Haj, Majid "National Ethos, Multicultural Education, and the New History Textbooks in Israel". Curriculum Inquiry, vol.35, issue 1, (March 2005). pp. 47–71.*

28. *Jabareen, Yousef, & Ayman Agbaria. Education on Hold: Israeli Government Policy and Civil Society Initiatives to Advance Arab Education in Israel. (Nazareth: Dirasat, Arab Center for Law and Policy, 2011).*

29. المرجع نفسه، ص28.

30. عرار، السياسات، ص145.

31. المرجع نفسه، ص146.

32. المرجع نفسه، ص148.

33. ميعاري، ص28.

34. نقلا: نضال محمد وتد، «تمييز إسرائيل في الميزانيات ضد التعليم العربي»، القدس العربي، في: 1/9/2016، في: https://bit.ly/2LvOp9V شوهد بتاريخ: 27/8/2019.

35. *Taub Center Staff, "The Arab education system in Israel: Are the Gaps closing?", November,08, 2017, at: https://bit.ly/2MLFgNf, seen at: 25/8/2019.*

36. *The Mossawa Center "Briefing Paper on Human Rights for Arab Citizens in Israel: Discrimination Against the Arab Minority in Israel", January 2018, https://bit.ly/2ZqNzVp, seen at 27/8/2019.*

37. المرجع السابق نفسه.

38. *Dov Lieber, "Some education gaps between Jews and Arabs nearly closed", 31, August, 2017, at: https://bit.ly/32pUjAf, seen at: 29/8/2019.*

39. التعليم العالي في إسرائيل: خلفية ارتفاع نسبة الطلبة العرب، مدار، في 8/2/2018، في https://bit.ly/2xumzE0 شوهد بتاريخ3/10/2019

40. خالد أبو عصبة، جهاز التعليم في إسرائيل، (رام الله: مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2006)، ص146–145.

41. قصي حاج يحيي، ومازن أبو عيطة، دراسات وبحوث في المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل، (كفر قرع: دار الهدى، 2007)، ص117–116.

42. ميعاري، ص28–27.

43. يحيى، وأبو عيطة، ص14.

44. أبو سعد، ص98.

45. ميعاري، ص33.

46. أبو عصبة، ص96–91.

47. ميعاري، ص34.

48. عزيز حيدر، التربية والتعليم والبحث العلمي» إسرائيل: دليل عام، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2004)، ص306.

49. *Abu-Saad, Ismael. "Present Absentees: The Arab School Curriculum in Israel as a Tool for De-Educating Indigenous Palestinians". Journal of Holy Land and Palestine Studies, vol. 7, no. 1, (May 2008), pp. 17-43.*

50. ماجد الحاج، تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، ص189.

51. المرجع نفسه، ص206. انظر أيضا: ميعاري، ص37.

52. *Sami Mar`i, Arab Education in Israel, New York: Syracuse University press, 1978, (p53).*

53. الحاج، ص206.

54. ميعاري، ص43–41.

55. المرجع نفسه، ص43.

56. المرجع نفسه، ص44.

57. الحاج، ص230–228.

المصادر والمراجع العربية:

1. القرآن الكريم

2. أبو سعد، اسماعيل. التعليم العربي في إسرائيل وسياسة السيطرة: واقع التعليم في النقب، (بئر السبع: جامعة بن غوريون، 2011).

3. أبو عصبة، خالد، جهاز التعليم في إسرائيل. (رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2006).

4. حاج، ماجد. تعليم الفلسطيني في إسرائيل بين الضبط وثقافة الصمت، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006).

5. حيدر، عزيز. التربية والتعليم والبحث العلمي، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2004).

6. عرار، خالد حسني. الدكتور سامي خليل مرعي 1986–1940، الإنسان، الرؤيا ، المشروع والإرث الحضاري، (الناصرة: المركز العربي للحقوق والدراسات، 2010).

7. عطا الله، إلياس وآخرون، المغيبون، قراءة نقدية لكتب المناهج الإسرائيلية في المدارس العربية الثانوية، (حيفا: جمعية الثقافة العربية، 2014).

8. كشاكش، كريم. الحريات العامة في الأنظمة السياسية المعاصرة، (الاسكندرية: منشأة المعارف، 1987).

9. مصطفى، إبراهيم، وآخرون. المعجم الوسيط، (تركيا: المكتبة الإسلامية، د.ت).

10. ميعاري، محمود. مناهج التعليم العربي في إسرائيل، (الناصرة: المجلس التربوي العربي، 2014).

11. يحيى، قصي حاج، ومازن أبو عيطة. دراسات وبحوث في المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل، (مركز دراسات الأدب العربي، كفر قرع: دار الهدى، 2007).

الدوريات:

1. حيدر، عزيز. «العرب في إسرائيل والتعليم العالي»، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 4، العدد 15، بيروت، (1993).

2. الخنساء ذياب، وربى دعاس «جهاز التربية والتعليم العربي في إسرائيل: فجوات مستمرة في ظل المطالبة بالعدل الاجتماعي»، الكرمة، العدد 8،9، (2013).

3. عرار، خالد «السياسات التربوية الإسرائيلية وحال التعليم العربي في إسرائيل» مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 115، (2018).

4. مخول، جنان عبده. «بين التعليم العربي والتعليم للعربسياسات التغييب وإمكانات التصدي» ، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 18، العدد69، بيروت، (2007).

رسائل ماجستير:

1. شرف الدين، شكري، اللامساواة في المدرسة وتأثيرها على التحصيل الدراسي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة محمد خيضر، بمسكرة،2015.

Translated References:

1. *1. The Holy Quran*
2. *Abu Saad, Ismail. Arab Education in Israel and The Policy of Control: The Reality of Education in the Negev, (biir alsbe: Bin Gurion University, 2011).*
3. *Abu Asbah, Khalid. Education System in Israel, (Ramallah: Madar- Palestinian Center for Israeli Studies, 2006).*
4. *Haj, Majid. Palestinian education in Israel between discipline and culture of silence, (Beirut: Center for Arab Unity Studies, 2006).*
5. *Heider, Aziz. Education, Scientific Research, Israel General Guide, (Beirut: Institute for Palestine Studies, 2004).*
6. *Arar, Khalid Husni. Dr. Sami Khalil Mer`i 1940-1986, Man, Vision, Project and Cultural Heritage, (al Naasira: Arab Center for Law and Studies, 2010).*
7. *Atallah, Ilyas, et al, Absentees, critical reading of Israeli curriculum books in Arab secondary schools, (Haifa: Arab Culture Association, 2014).*
8. *Kashkish, Dr. Kareem. Public freedoms in contemporary political systems, (al'iskandaria: monchaatalmaref,1978).*
9. *Mustafa, Ibrahim, et al. Al Mu`jam El Wasit, (Turkey: Islamic Library).*
10. *Mi`ari, Mahmoud. Curricula of Arab Education in Israel, (al Naasira: Arab Educational Council, 2014).*
11. *Yahia, Qusai Haj, Mazen Abu Eitah. Studies and research in the Arab-Palestinian community in Israel, (Center for Arab Literature Studies, Kufr Qare`: Dar el Huda, 2007).*

Periodicals:

1. *1. Arar, Khalid. "Israeli educational policies and the case of Arab education in Israel" Journal of Palestinian Studies, no.115, Beirut, (2018).*
2. *Aziz, Hieder. "Arabs in Israel and higher education", Journal of Palestinian Studies, vol.4 no.15, Beirut, (1993).*
3. *Diab, Alkansa`, Ruba Daas." The Arab education system in Israel: Persistent gaps in the demand for social justice", Alkarma, no.8,9, (2013).*
4. *Makhul, Jinan Abduh. "Between Arab education and education for Arabs, absenteeism policies and coping potential", Journal of Palestinian Studies, vol.18 no.69, Beirut, (2007).*

Master's Thesis

1. *1. Shraf Addein, Shukri. Inequality in school and its impact on educational attainment, (Unpublished Master`s Thesis), Muhammad Kheider University, Bemaskarah, 2015.*

English References:

1. *1. Abu-Saad, Ismael. "Present Absentees: The Arab School Curriculum in Israel as a Tool for De-Educating Indigenous Palestinians". Journal of Holy Land and Palestine Studies, vol. 7, no. 1, (May 2008), pp. 17-43.*
2. *Al-Haj, Majid "National Ethos, Multicultural Education, and the New History Textbooks in Israel". Curriculum Inquiry, vol.35, issue 1, (March 2005). pp. 47–71.*
3. *Arar, Khalid & Khaled Abu-Asbah (2013). "Not Just Location: Attitudes and Functioning of Arab Local Education Administrators in Israel". International Journal of Education Management, vol. 27, issue 1, pp. 54-73.*
4. *General Assembly of the United Nations. United Nations Declaration on the rights of Indigenous Peoples. Resolution 61/295 13 September, (2007)*
5. *Golan-Agnon, Daphna "Separate but not Equal: Discrimination Against Palestinian Arab Students in Israel". American Behavioral Scientist, vol. 49, no. 8, pp. 1075-1084, (April 2006).*
6. *Jabareen, Yousef, & Ayman Agbaria. Education on Hold: Israeli Government Policy and Civil Society Initiatives to Advance Arab Education in Israel. (Nazareth: Dirasat, Arab Center for Law and Policy, 2011).*
7. *Jamal, Amal, "The Contradictions of State-Minority Relations in Israel: The Search for Clarifications", Blackwell Publishing Ltd, Constellations Volume 16, Number 3(2009)*
8. *Lustick, Ian. Arabs in the Jewish State. Austen and London: University of Texas press, 1980.*
9. *Mar'i, Sami. Arab Education in Israel. New York: Syracuse University Pres,1978.*
10. *Saban, Ilan "Minority Rights in Deeply Divided Societies: A Framework for Analysis and the case of the Arab-Palestinian Minority in Israel" Journal of International Law and Politics, vol 36, (2004)*

المواقع الإلكترونية:

https://bit.ly/2FLv16w
https://bit.ly/2hrKTAM
https://bit.ly/2RU5P2z
https://bit.ly/2XlJS2l
https://bit.ly/2XHFTg6
https://bit.ly/2LvOp9V
https://bit.ly/2MLFgNf

الصراع العثماني البرتغالي البحري في القرن السادس عشر

'Ottoman-Portuguese Maritime Conflict in the 16th Century'

د. عصام محمد علي عدوان
أستاذ مساعد/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Dr. Issam Mohammed Ali Adwan
Assistant Professor/al-Quds Open University/ Palestine
Dr.issamadwan@gmail.com
iadwan@qou.edu

تاريخ الاستلام: 14/ 7/ 2019م، **تاريخ القبول:** 6/ 10/ 2019م.
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835

Received: 14/ 7/ 2019, **Accepted:** 6/ 10/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604866
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

تناول البحث الصراع العثماني البرتغالي البحري في القرن السادس عشر الميلادي؛ لخطورة هذا الصراع ونتائجه المنعكسة على المنطقة العربية، ولأهمية الدور العثماني في التصدي للخطر البرتغالي الذي استهدف المنطقة دينياً وتجارياً وسياسياً. وقد هدف البحث إلى تبيان دوافع البرتغاليين والعثمانيين، من الصراع المحتدِم خلال القرن السادس عشر، مع بيان مظاهر فشل ونجاح كلا الطرفين. وقد اتبع الباحث منهج البحث التاريخي، مستفيداً من أهم مصادر ومراجع دراسات الخليج العربي والبحر الأحمر للقرن السادس عشر. وجاء البحث في ثلاثة فصول؛ تناول الفصل الأول دوافع الصراع العثماني البرتغالي وتضمن مبحثين، الأول: عن الدوافع البرتغالية، والثاني: عن الدوافع العثمانية. وتناول الفصل الثاني جبهات الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر، وجاء في مبحثين، الأول: عن الصراع منطلقاً من البحر الأحمر، والثاني: من الخليج العربي. وتناول الفصل الثالث: تقويم الجهود العثمانية، ومدى نجاح أو فشل العثمانيين والبرتغاليين.

وقد أظهرت نتائج البحث الأهداف الدينية والسياسية والاقتصادية لطرفي الصراع، والمعيقات التي حالت دون تمكّن الدولة العثمانية من إنهاء الخطر البرتغالي، ومنها: التفرُّق الإسلامي، وضعف الأسطول العثماني في مقابل الأسطول البرتغالي، وانشغال العثمانيين وتحصينات البرتغاليين.

كلمات مفتاحية: العثمانيون – البرتغاليون – الخليج العربي – البحر الأحمر – المحيط الهندي – القرن السادس عشر.

Abstract

The study discussed the Ottoman-Portuguese maritime conflict in the sixteenth century AD, the seriousness of this conflict and its repercussions on the Arab region, as well as the importance of the Ottoman role in addressing the Portuguese threat that targeted the region religiously, commercially and politically.

The research aims to show the motives of the Portuguese and Ottomans of the conflict that raged between them during the sixteenth century, with the manifestations of failure and success of both parties.

The researcher adopted the historical research method, depending on the most important sources and references of the studies of the Arabian Gulf and the Red Sea of the sixteenth century.

The first chapter discussed the motives of the Ottoman-Portuguese conflict and it includes two topics: the first is the motives of Portugal, and the second is the Ottoman motives.

The second chapter discussed Fronts of the Ottoman-Portuguese conflict in the 16th century, which came in two categories: the first is the conflict in the Red Sea, and the second is the Arabian Gulf. The third chapter discussed the evaluation of the Ottoman efforts and the success or failure of the Ottomans and the Portuguese.

The results of the research showed the religious, political and economic objectives of the two sides of the conflict, and the obstacles that prevented the Ottoman Empire from ending the Portuguese threat, including: Islamic dispersion, the weakness of the Ottoman fleet in exchange for the Portuguese fleet and the preoccupation of the Ottomans and the fortifications of the Portuguese.

***Keywords**: Ottomans, Portuguese, Arabian Gulf, Red Sea, Indian Ocean, 16th century.*

مقدمة:

اتسم القرن السادس عشر الميلادي بالنسبة للمشرق الإسلامي، بصراع مرير مع البرتغاليين الذين انطلقوا من البرتغال في حملات بحريّة استكشافية بحثاً عن طريق للتجارة يُفسد على المسلمين تجارتهم ويُنهك قواهم، دافعهم الانتقام من المسلمين ونشر المسيحية وتكوين امبراطورية عريقة بعيدة الأرجاء، وبرزت الدولة العثمانية الفتية كحامي حمى المسلمين ومنقذهم من ذلك الخطر الداهم. وعلى الرغم من عظيم اهتمامات تلك الدولة وانشغالاتها في توسعاتها وحروبها داخل أوروبا، وضد الدولة الصفوية، إلا إنها تصدت للغزو البرتغالي الحاقد بمجرد أن واتتها الظروف، وكان ذلك بعد أن استقر الحكم العثماني في الشام ومصر والحجاز ثم اليمن والعراق. وأخذ الصراع بينهما في الغالب طابع المعارك البحرية. واضطلعت الدولة العثمانية بمهامها تجاه الأقاليم العربية فذادت عنها، وحمت المقدسات الإسلامية، وحافظت قدر الإمكان على التجارة الشرقية تمر عبر الأراضي العربية والعثمانية. ولا شك أن الأعمال التي قامت بها الدولة العثمانية كانت من الأهمية بأن حافظت على تماسك الأقاليم العربية التي خضعت لها وحفظتها من الخطر البرتغالي، وهو أقل ما يمكن تقديره لها.

وتبرز أهمية البحث في خطورة هذا الصراع الذي حاول فيه البرتغاليون الانتقام من المسلمين وإفساد تجارتهم الشرقية من جهة، وأهمية الدور العثماني في التصدي لهذا الخطر والحدّ من تمدده. كما تبرز أهميته في تسليط الضوء على دوافع ونتائج هذا الصراع.

هدف البحث إلى تبيان دوافع البرتغاليين والعثمانيين، من الصراع المحتدِم بينهما لأكثر من ستين عاماً، مع بيان مظاهر فشل ونجاح كلا الطرفين.

واعتمد البحث منهج البحث التاريخي، فجاءت الأحداث متسلسلة في سياقها التاريخي، ومعتمدة على أهم المراجع ذات الصلة. وقد استفاد البحث من عدد من المصادر والمراجع المختصة، من أهمها: مخطوط «قلادة البحر» للمؤرخ اليماني بامخرمة، والذي حقّقه د. محمد عبد العال أحمد بعنوان: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه. وكتاب دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، للدكتور المتخصص عبد العزيز عوض.

وجاء البحث في ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول دوافع الصراع العثماني البرتغالي. وتناول الفصل الثاني جبهات الصراع العثماني البرتغالي. وتناول الفصل الثالث تقويم الجهود العثمانية ومدى نجاح أو فشل العثمانيين والبرتغاليين.

الفصل الأول:

دوافع الصراع لدى البرتغاليين والعثمانيين في القرن السادس عشر:

لتعرف الأهداف والدوافع التي حفزت البرتغاليين لخوض غمار تحديهم للعرب والمسلمين، خاصةً في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي، وللتعرف على أهداف ودوافع العثمانيين في التصدي» للاستعمار» البرتغالي، وفي تطلعهم إلى المناطق الإسلامية الجنوبية ليخضعوها لسلطانهم، وأسبابهم في ذلك متعددة، نستعرض تلك الأهداف والدوافع في المبحثين التاليين:

المبحث الأول: دوافع الصراع البرتغالي في المناطق الإسلامية الشرقية في القرن السادس عشر:

للوصول إلى إجابة شافية بشأن الأهداف البرتغالية في الشرق الإسلامي، ومن ثم أسباب هيمنتهم في تلك المناطق طيلة قرن من الزمان، لا بد قبل ذلك من الاطلاع على ظروف ذلك البلد وأحواله الذاتية.

فالبرتغال بلدٌ صغير نسبياً تبلغ مساحته 34،170 ميلاً مربعاً، وبلغ عدد سكانه في مطلع القرن السادس عشر أقل من مليون نسمة، في الوقت الذي بلغ فيه عدد سكان انجلترا ثلاثين مليوناً، واسبانيا نحو خمسة ملايين، كعينة تبين قلة عدد سكان البرتغال قياساً إلى بعض جاراتها في أوروبا، كان اقتصادها في ذلك القرن في طور النشوء، ويعاني من التخلف الزراعي والصناعي الشيء الكثير قياساً إلى أقرانه في أوروبا آنذاك، وتبعد البرتغال عن مناطق نفوذها في الشرق مثل ملبار حوالي عشرة آلاف ميل بحري، وتستغرق الرحلة من لشبونة إلى جوا (Goa) آنذاك، عاماً كاملاً في الأقل، ونادراً ما كانت تصل رحلاتها سالمةً بل غالباً ما يصل ثلثا مَن فيها، وقُدِّر عدد جنود البرتغال الذين هم من مواليدها، بحوالي ستة أو سبعة آلاف جندي ولم يتجاوزوا هذا العدد في أي وقت من الأوقات، أما التسليح البحري للسفن: فلم تكن البرتغال تضاهي الدول التي تحدتها في الشرق مثل المماليك في مصر والسلطنة الهندية في كجرات وولاية جاوا والصين، لا من حيث العدد ولا السلاح، وإن كانت بعض أنواع المدافع البرتغالية أقوى من مثيلاتها لدى الشرقيين بقليل[1].

على ضوء المعلومات السابقة كخلفية عن طبيعة البرتغال، يمكن تتبع أهداف البرتغال في حملاتها الاستكشافية البحرية وفرض سيطرتها على الخليج العربي والمحيط الهندي، **ومحاولتها لفرض سيطرتها أيضاً على البحر الأحمر، فيما يلي:**

أولاً- الدافع الديني:

1. «إن الغزاة البرتغاليين قد أتوا إلى الشرق وهم مشبعون بالروح الصليبية وآثار حروبها المريرة من جهة، والصراع مع العرب والمسلمين في الجزيرة الإيبيرية وشمال إفريقية من جهة أخرى»[2].

2. كان المستكشفون البرتغاليون الأوائل متشوقين لنشر المسيحية، وجعلها تهيمن على العالم[3]، إلى جانب اكتشاف البلدان التي يجلبون منها الفلفل وشتى التوابل[4].

3. شكّل البحر الأحمر إغراء للبرتغاليين لأنه يؤدي إلى الأماكن المقدسة الإسلامية، وشعروا بوصولهم جدة التي هي بمثابة ميناء مكة على البحر الأحمر في عام 1505م، أنهم ردّوا الإهانة التي وجهها المسلمون بسيطرتهم على القسطنطينية في عام 1453م[5]. فقد فكر البرتغاليون بقيادة الفونسو دي البوكيرك (Afonso de Albuquerque) في السيطرة عليها، إما لتحقيق أهداف صليبية حاقدة أو لتثبيط همة المقاومة الإسلامية في الهند، ولقطع طريق الإمدادات بين دولة المماليك وبين مسلمي الهند[6]، فقد جاء في رسالة أرسلها البوكيرك إلى ملك البرتغال عمانويل في 20/10/1514م، قوله:» إن السفرة إلى البحر الأحمر على أي حال ستكون مفيدة، على أساس التوابل الثمينة التي تأتي سنوياً إلى هذه الأجزاء من الهند، ونظراً لأني أرغب في القضاء على الروم (العثمانيين)، وبعد فتح علاقات مع برسترجون (مصَّوع) سأدمِّر مكة؛ لهذه الأسباب صممت على الذهاب إلى البحر الأحمر أولاً وتحطيم قوة السلطان (أي السلطان الغوري) في هذه المياه»[7].

4. تدلل وحشية البرتغاليين في تعاملهم مع المسلمين في الشرق على قوة الروح الصليبية لديهم بعد طردهم المسلمين من البرتغال، وقد استهدفوا القضاء على القوة السياسية والاقتصادية للمسلمين في الشرق، واحتكار تجارتهم ونشر المسيحية والتي اكتفوا فيما بعد ببناء الكنائس والأسقفيات في مناطق تواجدهم فقط8.

5. لقد أصيب البرتغاليون، والإسبان، بعقدة الانتقام بسبب سيطرة المسلمين على الأندلس عهداً طويلاً، وبسبب سيطرة المسلمين الأتراك على القسطنطينية في عام 1453م[9]، ومن أجل الانتقام قاموا باضطهاد المسلمين وتعذيبهم وملاحقتهم وردهم عن دينهم سواء داخل الأندلس أو خارجها، وجاءت تصرفاتهم في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر استكمالاً لهذا الانتقام الحاقد ضد كل ما هو إسلامي، حتى أن البوكيرك قد انتهج أسلوب التمثيل في المسلمين الذين يعثر عليهم في خليج هرمز أو عدن فيقطّع أيديهم وأنوفهم وآذانهم[10].

6. وقد كان البوكيرك أكبر ممثل للسياسة الحاقدة ضد المسلمين حتى أنه تعاون مع الهندوس ضدهم، كما حاول التعاون مع شاه إيران لاحتلال أراضي ومقدسات المسلمين[11]، وقد قال لجنوده وهو يحثهم على احتلال ملقا:» إن الخدمة الجليلة التي سنقدمها لله هي طردنا المسلمين من هذه البلاد؛ وذلك لأنني على يقين أننا لو انتزعنا تجارة ملقا من أيديهم (أي المسلمين) لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عَيْنٍ»[12].

ثانياً- الدافع الاقتصادي:

1. لقد قرر الملك عمانويل الأول ملك البرتغال،» أن يقضي على سيطرة الدول العربية التجارية مرة واحدة وللأبد عن طريق احتلال عدن وهرمز وملقا»[13].

2. رغبة الأوروبيين عموماً في التخلص من الضرائب الباهظة التي فرضتها حكومة المماليك على التجارة المارّة في

موانئ مصر والشام، كما سعوا إلى التخلص من سياسة الاحتكار للبضائع الشرقية وخاصة تجارة التوابل، والتي جعلت المستفيد منها المماليك والبنادقة فقط، وفكر البرتغاليون في خوض غمار التجارة بأنفسهم لتحقيق الأرباح لأنفسهم[14].

3. ومن أجل فك الاحتكار العربي والبندقي لتجارة التوابل، ولأجل إضعاف الاقتصاد العربي والإسلامي توجه البرتغاليون لاكتشاف طرق تجارية جديدة تمنع التجارة الشرقية من دخول الأراضي الإسلامية أو البحار الإسلامية، فضلاً عن احتكارهم لها[15].

4. بعد أن قطعت الدولة العثمانية الطريق البري الواصل بين أوروبا والشرق الذي تربطها به علاقات تجارية، توجهت البرتغال للبحث عن طريق آخر مستفيدة من إطلالها على المحيط غرباً، الأمر الذي يشير إلى جدية الدوافع الاقتصادية. وفي عام 1502 قررت البرتغال منع العرب من الحصول على التوابل وإحكام سيطرتها على التجارة مع الهند، وفرضت تراخيص على أي سفن تنطلق محملة بالبضائع من السواحل الغربية للهند، حارمة المسلمين من ذلك، وعملت على منع وصول السفن التجارية إلى البحر الأحمر[16].

5. بانقضاء الفترة الأولى من «الاستعمار» البرتغالي التي اتسمت بالأهداف الدينية والانتقامية من المسلمين، عمدت البرتغال لتأسيس مراكز تجارية في سواحل المناطق التي وصلتها في الهند والخليج العربي والقرن الإفريقي، وسواحل إفريقية، تماماً كما أقامت علاقات تجارية مع الصين واليابان[17].

وهناك أسباب ودوافع أخرى «للاستعمار» البرتغالي منها:

1. لم يكن بمقدور الدول الصغيرة في أوروبا مثل البرتغال أن تنافس الكبار في أوروبا فتمد في رقعتها وممتلكاتها داخل القارة الأوروبية، بل إنها بالكاد كانت تحافظ على استقلالها، فما كان عليها إلا أن تفتش عن مكان آخر يعزز من وجودها في أوروبا، أو في الأقل يصون استقلالها من جهة، ويُسهم في رخائها من جهة أخرى، وإن كان ذلك قد نبه الدول الكبرى داخل أوروبا وأجج صراعات بشأنه، كما تحول على الصعيد الداخلي إلى رخاء لأفراد محظيين وإفقار الدولة فيما بعد[18].

2. انصرفت البرتغال (كدولة صغيرة في أوروبا) مبكراً إلى فنون الملاحة والاكتشافات وترتب على ذلك سبقٌ في إنشاء الأساطيل، ومن ثَمّ ممارسة نفوذها فيما وراء البحار دون أن تمتلك قوة بحرية نافذة، كما أنها توجهت إلى مناطق تنعدم فيها المنافسة الأوروبية[19].

3. مع احتكاك الأسطول البرتغالي بالموانئ الإسلامية في خليج عدن منذ عام 1503، ووصوله جدة في عام 1505، أدرك ضعف القوة البحرية لدى دولة المماليك، وتأخرها في الرد المناسب؛ الأمر الذي حفزه أكثر للمبالغة في التغلغل في البحر الأحمر وإحكام السيطرة على خليج عدن ومضيق هرمز[20].

4. لقد اتسمت أنشطة البرتغاليين في البحار والمحيطات الشرقية بروح التنافس والتوسع الإقليمي، وكان المنافس الأكبر لهم في تلك المناطق هو الدولة العثمانية الفتية، فعندما سقطت دولة المماليك في مصر والشام عام 1516 – 1517م، في يد العثمانيين، عقد البرتغاليون تحالفاً مع الحبشة لعرقلة التقدم العثماني في مناطق البحر الأحمر، وحشد البرتغاليون في الربع الأول من القرن السادس عشر عدة أقطار مناهضة للتوسع العثماني واشتملت تلك الأقطار على الحبشة وفارس وجنوب الهند، وكانت قد برزت تلك الروح التنافسية عندما أكد ملك البرتغال عمانويل الأول سنة 1499م أنه «سيد غينيا والفتوحات والملاحة والتجارة في الحبشة والجزيرة العربية وإيران والهند»[21].

كانت تلك هي أبرز دوافع الاستعمار البرتغالي في المناطق الشرقية الإسلامية، وهي على أي حال كفيلة بتحفيز الجهود البرتغالية للمخاطرة والترحال والاستيطان في مناطق نائية، ولكن يجدر القول، إن عوامل متعددة أدت إلى انهيار قوتهم ونفوذهم البعيد المدى من أهمها: بُعد تلك المناطق، ووجود قوى محلية كان على رأسها الدولة العثمانية، ذات أهداف توسعية في مناطق الجنوب الإسلامي كالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق.

المبحث الثاني:

الدوافع العثمانية للتوسع نحو الجنوب الإسلامي في القرن السادس عشر الميلادي، وأسباب تصديهم للبرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي والبحر الأحمر، ويمكن ترتيبها كالتالي:

1. كان الشاه الفارسي يشكل خطراً يهدد الوجود العثماني في آسيا، فقد كان للشاه إسماعيل الصفوي أنصار كثيرون في أقاليم آسيا الصغرى التركية، هؤلاء الأنصار كانوا يعتنقون التشيع ويُعدّون أنفسهم من أتباع الشيخ الأردبيلي صفي الدين، وهم يشكلون خطراً دائماً على الهدوء والنظام في الدولة، وكانت انتفاضة إقليم تكه في سنة1511م، والتي قادها باسم الشاه إسماعيل الأمير التركماني شاه قلى (أي عبد الشاه)، كانت خير دليل على ذلك الخطر القادم من جهة فارس، وأصبح ضرورياً أن ينقل سليم الأول حروبه من أوروبا إلى فارس لتوطيد دعائم حكمه ودحر الصفويين فانتصر عليهم في معركة جالديران عام 1514م، ووضع حداً للتوسع الفارسي غرباً، ومن هنا فقد سهلّت جالديران الاستيلاء على الشام والذي حصل في 1516م[22].

2. انتصار العثمانيين في جالديران لفت انتباههم إلى أهمية المناطق الإسلامية الجنوبية كجزء مكمِّل للدولة العثمانية، يقيها من انتشار الدعوة الصفوية الشيعية في العراق وغيره، ومن التوسع الصفوي في مناطق سُنّية المذهب. ومن هنا كان حرص السلطان سليم الأول على الاستيلاء على الشام ومصر والعراق والحجاز واليمن، فضلاً عن خوفه من المماليك في مصر والشام الذين حاولوا مساعدة الصفويين ضده خوفاً من ازدياد قوة العثمانيين الذين سوف يشكلون خطراً على وجودهم في المستقبل، وقد أرسل السلطان سليم إلى قانصوه الغوري في مصر ينصحه بعدم التورط مع شاه إيران[23].

3. كان السلطان سليم الأول ولعاً بالأعمال العسكرية والتي اتسمت بها فترة حكمه، كما أنه رغب في الانتقام من الشاه إسماعيل الذي قدّم العون لأحد أولاده، وأخ السلطان سليم وذلك أثناء الصراع الذي جرى بين أبناء بايزيد حول العرش[24].

4. بعد استيلاء السلطان سليم الأول على مصر سنة 1517م، اتخذ لقب خليفة من آخر الخلفاء العباسيين المتوكل على الله الثالث، وهكذا أصبح مضطلعاً بالبلاد والقضايا الإسلامية كافة، وأصبحت

بغداد بالنسبة له ولمن بعده ذات اعتبار خاص لكونها عاصمة الخلافة العباسية، خاصة عند الحديث عن صراع العثمانيين مع الفرس[25].

5. مع قدوم البرتغاليين إلى المناطق الإسلامية في الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيط الهندي أصبح العثمانيون يخشون الالتفاف الأوروبي عليهم، في الوقت الذي كانت الدولة منشغلة في محاربة الدولة المقدسة النمساوية، والأسبان وغيرهم، مما جعلهم يتطلعون إلى تحصين المناطق الإسلامية الجنوبية، وهو ما دفعها إلى الاستيلاء عليها لحمايتها والوصول إلى البحر الأحمر والخليج العربي لمقارعة البرتغاليين.

6. وجّه العثمانيون حملة عسكرية في سنة 1546 بقيادة اياس باشا صوب البصرة لجعلها قاعدة انطلاق للتقدم إلى مياه الخليج العربي ومواجهة البرتغاليين، كما قدموا نجدة لحاكم القطيف في عام 1550 لحمايتها من البرتغاليين[26]. وبخضوع القطيف وجد العثمانيون أنفسهم يقفون وجهاً لوجه أمام القوات البرتغالية المتمركزة في هرمز والخليج[27]، ولعله السبب نفسه عندما سيطر العثمانيون على المقدسات الإسلامية الحجازية وأصبح من واجبهم حمايتها من الخطر البرتغالي بحكم الأمر الواقع والقيام بواجب السلطة فضلاً عن الدافع الديني.

7. حصار البرتغاليين الاقتصادي المفروض على البصرة وهيمنتهم على الطرق التجارية في الخليج أدى إلى تعطيل المنافع التجارية العثمانية[28]، كما أدى احتكار البرتغاليين للتجارة الشرقية إلى الاضرار بالعرب الذين كانوا يتاجرون بها سواء في البحر الأحمر والخليج العربي أو المحيط الهندي، وأصبح على الدولة العثمانية تأمين الوضع الاقتصادي في البلاد التي تحكمها وخاصة مصر وسورية حيث تمر التجارة الشرقية عبر أراضيهما[29].

8. خضوع وولاء القوى المحلية بالخليج وطلبها الحماية من العثمانيين ضد البرتغاليين، حفز العثمانيين لنُصرة أولئك الموالين وانقاذهم من الخطر البرتغالي[30].

9. تركت حملة البوكيرك الفاشلة سنة 1510م، إلى البحر الأحمر خوفاً لدى العثمانيين على الأماكن المقدسة بالحجاز، خاصةً مع تنامي الأخبار بسعي البرتغاليين لنبش قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مما دفع العثمانيين إلى الاستيلاء على الحجاز وقد جرى ذلك سلماً وجهزوا حملتهم بقيادة سليمان باشا حاكم مصر الذي فتح اليمن، ومن ثم جرى تأمين البحر الأحمر من الخطر البرتغالي.

10. عندما استولى البرتغاليون على أجزاء من الهند وغدروا بصاحب كجرات السلطان بهادر شاه وعجز أهل الهند عن مقاومتهم، فاستنجدوا بالسلطان العثماني في عام 1537، فثارت حمية الاسلام لديه فجّهز حملةً لنصرة المسلمين وبهادر شاه بالهند[31].

من الواضح أن لكلٍ من البرتغاليين والعثمانيين دوافعه في الوصول إلى الخليج العربي والبحر الأحمر والمحيد الهندي، وقد برزت الأهداف الاقتصادية والدوافع الدينية بصفة خاصة من بين مجموعة الدوافع لكليهما فضلاً عن دوافع إقليمية تنافسية ومصالح شخصية، وغيرها.

الفصل الثاني:

جبهات الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر:

المبحث الأول- الصراع في البحر الأحمر والانطلاق منه:

بتوجه البرتغاليين إلى البحر الأحمر ومحاولتهم احتلال عدن، أصبح على دولة المماليك في مصر القيام بالواجب الطبيعي المفروض عليها لأهمية اليمن والأماكن المقدسة بالحجاز بالنسبة لمصر.

جهز السلطان قانصوه الغوري أسطولاً مكوناً من قرابة خمسين سفينة مسلحة بالمدافع والأسلحة النارية وشحنها بالمقاتلة من (اللوند الأتراك) تحت إمرة سَلْمَان ريِّس وأسند القيادة العامة لحسين الكردي من كبار قواده بعد أن ولاه نيابة مدينة جدة، وانطلقت الحملة في 917هـ/1511م[32]، إذ توجهت الحملة إلى الهند ثم عادت إلى جدة ولم تحقق أهدافها.

لقد أحدق الخطر بمصر ودولة المماليك، حيث لم يقنع البوكيرك بما حققه (في الهند) فأبحر ومعه عشرون سفينة إلى البحر الأحمر واقترح على ملك الحبشة المسيحي أن يجمعا قوتيهما ليحفرا قناة من النيل الأعلى إلى البحر الأحمر وبذلك يحوِّلان مجرى النهر ويجعلان مصر الإسلامية بأسرها صحراء قاحلة. لكن المتاعب أرغمت البوكيرك على العودة إلى جوا حيث مات 1515م[33].

ولما استولى السلطان سليم الأول على مصر عيّن خيري بك والياً على مصر، فقام هذا بتولية الأمير حسين الرومي ولاية جدة، كما أُرسل سلمان ريِّس لتوطيد فتنة وعصيان أحمد باشا في مكة وبعد أن فرغ منها توجه سلمان ريِّس إلى جدة، واتفق مع الأمير حسين الرومي على قتال الجراكسة واللوند في تهامة اليمن، شجّعهم على التنفيذ ما يوجد في جدة من المراكب والذخائر التي عادت مع حسين الكردي إلى جدة بعد غزوته إلى الهند[34].

وصل البرتغاليون من الهند إلى بندر عدن في ثلاثين خشبة (سفينة) ما بين برشة وغراب، واستضافهم الأمير مرجان (أمير عدن) وأكرمهم كفايةً لشرهم ومكثوا أياماً ثم ساروا إلى جدة وبها الأمير سلمان ريِّس في جمع من الترك وغيرهم، وكانوا قد استعدوا لمواجهة البرتغاليين بعد أن علموا بسيرهم إلى جدة[35].

خرج سلمان ريِّس لملاقاة البرتغاليين في البحر ورماهم بالمدافع، فأتلف مركبين لهم، فعادوا إلى اليمن، لكنه تبعهم مع بعض أصحابه في غراب إلى قرب اللحيَّة واستنقذ من البرتغاليين غراباً (مركباً كبيراً) به جماعة منهم وعاد به إلى جدة، ووصل البرتغاليون إلى عدن فأعطاهم أميرها مرجان ما يحتاجونه من ماء وغيره ليستنقذ منهم بعض الأسرى، وقد حصل، وكتب إلى السلطان سليم يشكو إليه حسين الرومي وسلمان ريِّس وما فعلاه من فساد، ويعتذر إليه عن مساعدته للبرتغاليين خشيةً من تخريبهم عدن[36].

وفي سنة 926هـ/1519م وصل البرتغاليون مرةً أخرى في نيف وعشرين خشبة ما بين غراب وغليون وبرشة (وهى صفات للمراكب حسب أحجامها واستخداماتها) ومنها برشة كبيرة جداً فيها غالب أموالهم وزادهم ومدافعهم، وكان غرضهم الوصول إلى

بندر عدن، ووصلوا (العارة) في 1 جمادى أول 926هـ/19 نيسان 1520م، وبعد يومين عُلم أنهم توجهوا نحو الشام، وكانوا قد اتخذوا من كمران قاعدةً لهم، ولما وصلهم سلمان ريِّس (العثماني) ومعه حسين الرومي نائب جدة إلى اليمن، هزمهم وأسر جماعةً منهم[37].

وقد جاء في مخطوطة (قلادة النحر) بشأن حملة البرتغاليين على عدن والتي فشلت، ما نصه: «وأما الفرنج فإنهم توجهوا إلى جدة، فلما كانوا بالقرب منها، علموا أن بجدة عسكراً كثيفاً من الترك والأروام والمغاربة وغيرهم فداخلهم الفشل والخذلان فديروا إلى «مصوّع « وأقاموا بها .. ثم رجعوا من حيث جاؤوا فوصلوا إلى بندر عدن في شهر رجب 926هـ/1520م، مظهرين المسالمة، فأمدهم الأمير مرجان بالماء والزواد واستفكَّ من أيديهم بعض الأسارى ثم عزموا إلى هرمز»[38].

واضحٌ مما سبق أن هناك عدة حملات برتغالية على البحر الأحمر استهدفت عدن والشام وجدة ومكة ومصوّع وغيرها، ولعل التوجه البرتغالي نحو البحر الأحمر كان سببه الشائعات التي راجت في مناطق الهند وجوا من أن العثمانيين قادمون، فضلاً عن سعي البوكيرك لتحطيم قوة المماليك في مصر والقضاء على تلك الشائعات، والوصول إلى عدن مدخل البحر الأحمر ذي الأهمية التجارية، وتدمير مكة، كما ورد في رسالة البوكيرك إلى ملك البرتغال بأنه لا سبيل لطمأنة المستعمرين البرتغاليين في هذه المناطق إلا بتوجّهه إلى البحر الأحمر ليؤكِد للمضطربين في جوا أنه لا وجود للعثمانيين[39].

وقد فشلت حملته تلك، وغيرها من الحملات المتلاحقة كما يذكر ذلك بامخرمة في مخطوطته التاريخية. وبعد أن كان البحر الأحمر هدفاً للبرتغاليين يوجهون إليه الحملات المتتالية، أصبح وخاصةً في بداية التواجد العثماني على ضفتي البحر الأحمر، منطلقاً لحملات عثمانية بحرية ضد البرتغاليين في جنوب الجزيرة العربية وشرقها والمحيد الهندي.

- **حملة سليمان باشا الخادم*:**

لما استنجد صاحب كجرات في الهند السلطان بهادر شاه بالسلطان العثماني سليمان القانوني، ثارت حمية الإسلام لدى السلطان العثماني، وأمر حاكم مصر سليمان باشا الخادم بتجهيز أسطول لمنازلة البرتغاليين، فعمل سبعين غراباً وثلاثين برشة وشحنها بالمدافع والسلاح والجنود والأغذية في يونيو 1538م[40]. وقد كان السلطان سليم الأول قد أنشأ ترسانة بحرية في السويس وجعلها قاعدة للعمليات الحربية ضد البرتغاليين لحماية البحر الأحمر والخليج العربي منهم[41]. في البداية أرسل سليمان باشا ابن أخته الأمير مصطفى على رأس قوة بحرية للدفاع عن ديو في الهند والذي حقق نجاحات على البرتغاليين في عام 1531م[42]. ثم انطلق سليمان باشا بنفسه بعد تجهيز أسطوله ووصل جدة، ثم عدن، والتي غدر بصاحبها عامر بن داود بدعوى أخذه عدن قسراً، وكان ذلك سنة 945هـ/1538م، وسبقه خبر غدره إلى بهادر الهند فنفروا منه قبل أن يصلهم، ثم توجه إلى ديو في الهند لقتال البرتغاليين[43].

لما وصل سليمان باشا إلى ظفر آباد قرب ديو في الهند، رغب أهلها بمساعدته لكنهم لما تأكدوا من خبر فتكه وشره خافوه، وأرسلوا إليه من يعينه على قتال الفرنج لكن سليمان باشا لم يعجبه مظهر المبعوث الهندي ولم يحسن استقباله، فعاد هذا وأخبر سيده السلطان محمود بن بهادر شاه بذلك، ولما أرسل سليمان باشا إلى السلطان محمود هدية مع جاوش رفضها السلطان محمود إذا كانت من سليمان باشا وليست من السلطان سليمان القانوني، فغضب سليمان باشا وأضمر الانتقام، لكن السلطان محمود احتال بحيلة ليخيفه بهول حشود الفرنج له، حيث أوقع في يد سليمان باشا رسالة مزورة تذكر أن البرتغاليين يحتشدون لسليمان باشا، فخاف سليمان باشا وترك مدافعه الكبيرة تحت تصرّف صاحب ظفر آباد وعاد هو إلى اليمن[44]، مصطحباً معه ثمانين أسيراً برتغالياً وهندياً، أرسل برؤوس ستة وأربعين منهم إلى السلطان العثماني ليوحي إليه بنجاحه في مهمته غير المكتملة[45].

وصل سليمان باشا إلى مخا في اليمن سنة 945هـ/1538م، وغدر بصاحبها الناخوذة أحمد بعد أن أمّنه وأخذ أمواله وعيَّن مكانه ابن أخته مصطفى بك نائب غزة في زبيد وأعمالها، ثم عاد إلى جدة وأرسل إلى الباب العالي يبشرهم بفتح اليمن كيلا يقال: «ضاع سفري سدًى»[46].

أضرت أعمال سليمان باشا، وغدره المتكرر بسمعة العثمانيين عموماً، كما أثبتت الحملة أن العثمانيين ليسوا بأقل من البرتغاليين[47]، وتأثرت القبائل العربية العدنية من غدر سليمان باشا واتفقت مع البرتغاليين ضد العثمانيين[48]، وحاول البرتغاليون اقتحام البحر الأحمر وحرقوا سواكن ثم حاولوا إحراق جدة لكن شريف مكة محمد باغي الثاني صدهم عنها فكافأه السلطان العثماني، وأمر ببناء أسطول جديد في السويس سنة 1541م، يكون بحّارته من رعايا البندقية (لخبرتهم) وحرم السفن الأوروبية من التقدم شمال جدة خوفاً على الأماكن المقدسة[49].

وقد حاول بعض حكام عدن تجنُّب الاحتلال من البرتغاليين من خلال التعاون معهم، أو منحهم السيادة الاسمية على عدن، أمثال علي البدوي في 1546 – 1547م، وقاسم بن شويع في 1568م، فكانت الدولة العثمانية لهم بالمرصاد، وقد تمكنت في كل مرة من القضاء على مثل هؤلاء الحكام ومنع البرتغاليين من السيطرة على عدن[50].

شعر البرتغاليون بالخطر من توجُّه الدولة العثمانية نحو مناطق نفوذهم في الشرق، وفكروا في عقد اتفاق مع العثمانيين يوافقون بموجبه على دفع جمارك عالية على تجارة الفلفل عبر ميناء البصرة، وتزويدهم بالقمح الذي يحتاجونه بسعر السوق، مقابل خفض الاستعدادات العسكرية العثمانية في عدن. لكن العثمانيين رفضوا ذلك[51].

الحبشة وسط الصراع:

بعد أن وطدت الدولة العثمانية سيطرتها على اليمن، نشرت في ثلاثينيات وخمسينيات القرن السادس عشر أسطولاً من 40 – 50 سفينة في المحيط الهندي، لتأمين خطوطها الخلفية، وتوجهت نحو الحبشة لنشر الإسلام، ربما لتأمين هذه المناطق من خطر التحالف المسيحي البرتغالي الإثيوبي، وهو تحالف حصل بالفعل في سنوات لاحقة، وقامت البرتغال بدعم المقاومة المسيحية الإثيوبية[52]. وعمد العثمانيون إلى تعزيز صمود بعض المدن على الساحل المقابل،

مثل زيلع ومصوع وسواكن، وهي مدن استهدفتها الحبشة وحرّضت البرتغاليين لمحاصرتها وتجويعها من أجل إحكام سيطرتها على البحر الأحمر. وقد قامت الدولة العثمانية بتسليح بعض هذه المدن في عام 1539، ثم زودت زيلع بالأسلحة في عام 1542، لكن البرتغاليين تمكنوا من التصدي لهذه المحاولات، الأمر الذي أحبط العثمانيين وأرجأ تدخلهم في الحبشة لعشر سنين قادمة[53].

شنّ العثمانيون عدة هجمات على الحبشة في الفترة من 1557 – 1562م منطلقين من سواكن. وتمكنوا من قطع الطريق البحري بين الحبشة والهند، وقد انتابهم الأمل باحتلال الحبشة، لكنهم مُنُوا بهزيمة كبيرة في عام 1562، أجبرتهم على التخلي عن حرب الحبشة حتى عام 1572م، عندما شيّدوا حصناً في ديبرا تابور (Debra Tabor) شنّوا منه هجوماً على الحبشة، حتى تمكنوا من السيطرة على سواحلها كاملة وأسسوا فيها مقاطعة، أدرّت عليهم إيرادات كبيرة لفترة من الزمن[54].

- **حملة بيري بيك:**

بعد أن احتل العثمانيون بغداد سنة 1534، أعلن أمير البصرة راشد بن مغامس ولاءه للسلطة العثمانية، غير أن التوسع البرتغالي في الخليج العربي، ووجود النزعة الاستقلالية لدى أمير البصرة قاد العثمانيين إلى إرسال حملة عسكرية من بغداد والاستيلاء على البصرة سنة 1546م، ثم صار ميناء البصرة القاعدة العثمانية الثانية بعد السويس لإرسال الحملات البحرية ضد البرتغاليين، وقد بدأ الصراع السافر بين العثمانيين والبرتغاليين في الخليج حوالي سنة 1550م، عندما أعلن أهالي القطيف أنهم لا يدينون بالولاء لحاكم هرمز (حليف البرتغاليين) وأنهم يفضّلون أن يدخلوا في حماية العثمانيين الذين كانوا قد احتلوا البصرة آنذاك، وقد أسرع البرتغاليون لإفشال مطمح سكان القطيف وأعادوا الأوضاع إلى سابق عهدها[55].

وهكذا فقد أسند السلطان سليمان القانوني قيادة حملة بحرية جديدة تنطلق من السويس، إلى بيري بيك، أو بيري ريّس؛ قبطان البحر ذي الثمانين عاماً[56]، وتحت إمرته 16 ألف مقاتل في ثلاثين سفينة، تم صناعتها في السويس وأبحر بها في نيسان سنة 1552م، بعد أن كان قد استعاد اليمن سنة 1550م، وعاد إلى السويس، وكانت مهمته: تأمين سواحل الجزيرة العربية وموانئها، وفي طريقه إلى مسقط جاءته تعليمات جديدة بواسطة باشا البصرة محمد بيك باحتلال هرمز والبحرين، وذلك بعد أن احتل البرتغاليون البحرين والقطيف[57].

كان العثمانيون قد بسطوا وجودهم على القطيف وتركوا فيها حامية من أربعمائة رجل، وهنا تدخل البرتغاليون لاستعادة القطيف وأعدوا لذلك حملة من سبع سفن كبيرة، فيها 1200 برتغالي بقيادة انطونيو دي نورونها (Antoneo de Norenha) يساعدهم 3000 من أتباع ملك هرمز المخلوع ومعهم 13 سفينة، وتمكنوا من الاستيلاء على القطيف مرة أخرى، حيث استسلمت حاميتها العثمانية وحاولوا بعد ذلك الاستيلاء على البصرة لكنهم لم يوفقوا[58].

اتجه بيري بيك إلى مسقط واحتلها ثم وصل هرمز في 19/09/1552م، فحاصرها عشرين يوماً، لكنه علم أن أغنياءها هربوا إلى قشم فتحوّل إليها بعد أن أيِس من هرمز، وحصل من قشم على أموال طائلة، اتجه بعد ذلك إلى البصرة، لكن والي البصرة كتب تقريراً بأعمال بيري بيك وأرسله إلى السلطان العثماني، فخاف بيري بيك من عاقبة ذلك التقرير وتوجه إلى السويس تاركاً معظم أسطوله في البصرة، وكان معه الغنائم والأسرى البرتغاليون الذين أسرهم عند هزيمة البرتغاليين في مسقط، وكان مسيره في ثلاث سفن كبيرة، فقَدَ إحداها في طريق عودته إلى السويس، ولما وصلها استدعاه السلطان سليمان القانوني إلى الأستانة وأصدر أمراً بإعدامه لعدم تنفيذه الأوامر الموكلة إليه[59].

ويذكر عبد الوهاب القيسي أن بيري بيك أسرع في عودته من البصرة إلى السويس بسبب بلوغه أخباراً بأن أسطولاً برتغالياً قوياً يتجه نحو هرمز، وأن هناك احتمالاً لإغلاق مضيق هرمز بوجهه، فأسرع بالعودة وبصحبته ثلاث سفن فقد إحداها في البحرين، وأنه أُعدم لعدم إطاعته الأوامر، والذي أدى إلى فشل الحملة وتدني سمعة البحرية العثمانية، كما ترك انطباعاً في المنطقة أن البرتغاليين لا يمكن أن يقهروا، ويذكر أيضاً أن من إنجازات حملة بيري بيك أنه أعاد السيطرة العثمانية التامة على عدن واحتل مسقط وأسر فيها مجموعة من البرتغاليين[60].

ويصف مصطفى عقيل الخطيب[61]، أسلوب بيري بيك أنه لم يكن يستقر في مكان واحد فترة طويلة، وكانت خطته الإغارة المفاجئة على الحاميات البرتغالية والاستيلاء على معداتها وموادها الغذائية، ويذكر الخطيب أن سبب إعدام بيري بيك هو إفلات قائد الحامية البرتغالية في مسقط جوادي لزبوا الذي أسره بيري بيك مع ستين برتغالياً من مسقط، أفلت منه في البحرين بعد أن نصح بيري بيك بالتوجه نحو البصرة[62].

المبحث الثاني– الخليج العربي مسرح للحملات العثمانية وصراعهم مع البرتغاليين في النصف الثاني من القرن السادس عشر:

فتح العثمانيون العراق سنة 941هـ/1534م، وأعلن حاكم البصرة راشد بن مغامس ولاءه للعثمانيين عام 745هـ/1538م، وفي سنة 953هـ/1546م، استولى العثمانيون على البصرة بقيادة إياس باشا، فطرد راشد بن مغامس بسبب تمرده المستمر ضد الدولة العثمانية، واستنجد ابن مغامس بالبرتغاليين كما استنجد بهم من قبل في سنة 1529م، وفعلاً جاء إلى البصرة القائد البرتغالي انطونيو دي نورونها بعد تدمير القطيف في 957هـ/1550م، ولكنه خشي من غدر أمير البصرة السابق، فعاد إلى هرمز دون أن يقدم معونة حقيقية لابن مغامس[63].

وهكذا استقر العثمانيون في العراق، وجعلوا من البصرة قاعدة بحرية ثانية بعد السويس على البحر الأحمر، وكانت هذه القاعدة هذه المرة على رأس الخليج العربي، وأصبح العثمانيون بحكم الموقع الجغرافي من ذوي المصالح المباشرة في الخليج العربي، واكتسب صراعهم مع البرتغاليين صفة الجدية بشكل أكبر من ذي قبل، وبدأت الحملات العثمانية تنطلق من البصرة ضد البرتغاليين في الخليج العربي والمحيط الهندي، وكانت أولى هذه الحملات حملة مراد بيك.

- **حملة مراد بيك:**

بعد إعدام بيري بيك سنة 1552م عُهد بالأسطول العثماني في البصرة لقيادة مراد بيك الذي سبق أن حكم القطيف، لكن أهلها ثاروا عليه وفشل في الصمود أمام البرتغاليين، وكانت مهمته إعادة الأسطول العثماني من البصرة إلى السويس[64]، فأقلع في أسطول مكون من خمس عشرة سفينة، فتقابل مع الأسطول البرتغالي تحت قيادة أنطونيو دي نورونها بعيداً عن الساحل الفارسي، وجرى اشتباك حاد دون نتائج حاسمة[65]، كان هذا الاشتباك في هرمز وخسر فيه مراد بيك اثنين من معاونيه، لكنه تابع سيره إلى مسقط، وهناك التقى ثانية بالأسطول البرتغالي حتى خسر عدداً من سفنه فعاد أدراجه إلى البصرة، ثم انتقل منها إلى الأستانة معلناً فشله، وقد عززت هزيمته هيبة البرتغاليين في منطقة الخليج[66].

- **حملة سيدي علي* ريس:**

تولى سيدي علي ريس الجغرافي التركي المشهور، مهمة مراد بيك الذي فشل فيها، وهى نقل الأسطول العثماني من البصرة إلى السويس، فأبحر في 2 تموز 1554م، مع سفنه الخمس عشرة، وتقابل مع الأسطول البرتغالي بالقرب من خورفكان (مكان على ساحل عمان)، وكان الأسطول البرتغالي يتكون من 25 سفينة ضمنها 6 سفن شراعية كبيرة من نوع (Caravels) و 12 سفينة كبيرة ذات مدافع من نوع (Grab) وفي 19 آب 1554م، حدثت معركة من أعنف المعارك الحربية بين الطرفين، أُجبر فيها البرتغاليون على التراجع إلى خليج ليما، واعتبر سيدي علي ريس ذلك لقاءً ناجحاً، غير أن البرتغاليين أعادوا تجهيزاتهم ودخلوا في معركة ثانية مع العثمانيين بـ34 سفينة تكبّد فيها العثمانيون خسائر فادحة[67].

وكنتيجة لهذه الهزيمة فقد ترك سيدي علي ريس المنطقة بسفنه المتبقية معه وعددها تسع[68]، وتوجه نحو اليمن، لكن الرياح جرفت سفنه إلى سواحل إيران الجنوبية حيث بندر شاهبور، فتزود بالماء وعزم على التوجه إلى اليمن من جديد، لكن الرياح قذفت به مرة أخرى إلى ديو على الساحل الغربي للهند، فحوَّل مسار سفنه إلى كجرات وعاد براً إلى الأستانة سنة 1557م، بعد أن باع سفنه وقد قيل عن سيدي علي ريس أنه على دراية بعلوم البحار وأنه تدرب على يد القبطان العثماني خير الدين بربروسا وفتح معه رودس[69].

- **حملة صَفَر ريس:**

بينما كان سيدي علي ريس يقوم بعملياته البحرية في الخليج العربي، أرسل السلطان سليمان قائداً آخر للأسطول اسمه صفر ريس، من أجل التفتيش عن الأسطول العثماني، فقام هذا بأسر بعض السفن البرتغالية المبُحرة من ديو إلى هرمز وكان معه ثلاث سفن فقط[70]. كما تمكن صفر ريس (هذا المصدر التركي يسميه سيفر ريس Sefer Reis'in) من (القرصنة) على الأسطول البرتغالي في البحر الأحمر والخليج العربي والمناطق التي يهيمن عليها البرتغاليون في الفترة 1550 – 1565م، ضارباً مثلاً رائعاً على الشجاعة[71].

- **حملة مصطفى باشا:**

في سنة 1559م، قام بيلربي (أمير) اكسا مصطفى باشا بحملة على البحرين دون إذن من السلطان سليمان القانوني، وقد بيَّن السلطان ذلك في رسالته إلى أمير البحرين المؤرخة في 28 ذي الحجة 966هـ/1 تشرين أول 1559م، وقد سار مصطفى باشا بسفينتين كبيرتين من نوع (Kadirga) وسبعين سفينة خفيفة مختلفة النوع، وسفينة واحدة من نوع (Brigantine) وبرفقته 1200 جندي ضمنهم عدد من انكشارية بغداد، وكميات كبيرة من التجهيزات والمؤن والذخيرة، وفي 26 رمضان 966هـ/ 2 تموز 1559م، بدأ حصاره للمنامة حصن البحرين شمال ساحل البحرين، واستعد البرتغاليون للمواجهة منطلقين من هرمز في 22 سفينة من نوع (Grab) بقيادة جوا دي نورونها (Joa de Nor-enha)، وتمكنوا من حرق السفن العثمانية وأسر سفينتين من نوع (Galley) وبسبب نقص في المؤن والتجهيزات، وموت مصطفى باشا وهبوب رياح شرقية تحمل وباءً مميتاً، قرر الطرفان إنهاء التصارع، فسلمَّ العثمانيون أسلحتهم إلى البرتغاليين ودفعوا 12 ألف كروزلدوس (عملة برتغالية) مقابل نقل ما تبقى من جنود إلى البصرة (إلى البر)[72].

وهكذا فشلت حملة مصطفى باشا، وساد المنطقة ركودٌ متوترٌ خلال فترة تربو على العشرين عاماً، كان وضع الحاميات العثمانية في حالة تأهُّب واستعداد ومراقبة. ومع ذلك لم يخلُ الأمر من صدام بين العثمانيين والبرتغاليين، ولكن هذه المرة في البحر المتوسط؛ ففي 1578م استنجد والي مراكش بالعثمانيين ضد مَن نازعه في الحكم مدعوماً من البرتغاليين، وقد تمكن العثمانيون من هزيمة البرتغاليين والقضاء على الفتنة الداخلية وعادوا محملين بالهدايا من ملك مراكش[73].

- **حملة علي بيك:**

بعد خضوع البرتغال للسيطرة الإسبانية (1580 – 1640) تجددت محاولات العثمانيين لدحرهم من الخليج، ففي سنة 989هـ/1581م أرسل السلطان العثماني مراد الثالث حملة بحرية بقيادة الريس أمير علي بيك التابع لوالي اليمن، وسارت الحملة بأربع سفن إلى الخليج العربي ووصل مسقط بثلاث سفن استطاع بها وبمساعدة عرب مسقط أن يحاصرها، وجاءت النجدة للبرتغاليين من هرمز بقيادة لويس دي الميدا في ثماني سفن، لكنه غيَّر هدفه، فاتجه إلى ميناءي جوادر ويتس على ساحل مكران، فنهبها ودمرها، وتمكن الريس علي من هزيمة البرتغاليين في مسقط وسار بعدها إلى عدن ثم إلى شرق إفريقية، وهناك هاجم المراكز البرتغالية في ممباسا وماليندي، إلى أن وقع الريس علي في أسر البرتغاليين في إحدى المعارك سنة 998هـ/1589م، فأرسلوه إلى لشبونة حيث حاولوا تنصيره بالقوة، ومات هناك نتيجة التعذيب[74].

كان ظهور علي بيك أمام السواحل الإفريقية الشرقية سنة 1585م، قد أدى إلى رفع معنويات السكان الذين لاقوا الأمرين من البرتغاليين، وأعلنوا ولاءهم للسلطان العثماني بعد أن شجعهم علي بيك على الثورة وأوهمهم بوصول أسطول تركي كبير، لكنه لما عاد إلى البحر الأحمر وأرسل البرتغاليون الفونس بميرو لإعادة إخضاع المنطقة، عادوا ودفعوا الجزية للبرتغاليين، ثم استنجدوا بعلي بيك الذى عاد سنة 1588م، على رأس قوات كبيرة وأخذوا يستعدون لحماية ممباسا لكن خطراً من الداخل ألم بهم ووقع المدافعون عن المدينة من أتراك وعرب محليين تحت حصارين، الأول قبائل (الوازمبا) من البر، والثاني هم البرتغاليون، وهكذا ضاع أمل ممباسا وجاراتها من التخلص من البرتغاليين[75].

كانت حملة علي بيك هي آخر حملة عثمانية ضد البرتغاليين

في القرن السادس عشر الميلادي، ورغم أن المحاولات العسكرية البحرية لم تفلح في طرد البرتغاليين اللهم إلا من بعض المناطق كالبحر الأحمر وعدن، إلا إنه كانت هناك محاولات للتفاهم بين البرتغاليين والعثمانيين كالمحاولة التي قام بها علي باشا آفراسياب والي البصرة سنة1562م، حينما طرح فكرة التصالح على البرتغاليين ودعاهم ليرسلوا مندوباً منهم إلى السلطان العثماني، فأرسلوا أنطونيو تكسيرا سنة 1563م، لكن السلطان رده باستعلاء رافضاً الصلح وظل الوضع متوتراً بعد ذلك، حيث أرسلت الدولة العثمانية حملة بحرية اكتفت بحماية ومراقبة سواحل الحسا من أي نشاط مُعادٍ سنة 1577م[76].

الفصل الثالث:

تقويم الجهود العثمانية في صراعهم ضد البرتغاليين في القرن السادس عشر:

يمكن القول، إن الجهود العثمانية المتعثرة حققت نتائج مشجعة واستطاعت تأمين البضائع الشرقية للعراق وسورية بواسطة الخليج براً وبحراً، ورغم ذلك فقد أخفق العثمانيون في تحطيم الطوق البرتغالي على التجارة السائرة إلى بلاد ما بين النهرين ومصر، لكن قبضة البرتغاليين أخذت في التراخي في منطقة الخليج منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر، ثم ضعفت تدريجياً في نهايته، ولعل النشاط العثماني ضد الفرس، حلفاء البرتغاليين، أسهم في ذلك الضعف، بالإضافة إلى تَصدُّع الجبهة البرتغالية الفارسية[77].

نظرَ سكان الخليج العربي إلى الدولة العثمانية على أنها حامية الحرمين الشريفين وملجؤهم وقت الملمات، وقد كانت دولة عظمى لها أساطيلها البحرية في البحر المتوسط، ويمكنها مواجهة البرتغاليين بحرياً في المياه الإسلامية الجنوبية كذلك. ولم يفكر سكان الخليج في الاستعانة بالصفويين؛ لضعف الصفويين البحري وتفوق العثمانيين عليهم من ناحية التسليح، فضلاً عن الاختلاف المذهبي. وقد تدخل العثمانيون لإعانة إخوانهم لمصلحة مشتركة فقد كان البرتغاليون والصفويون أعداءً للدولة العثمانية[78]، وقد تحالفوا ضدها.

ولكن، لماذا تأخّر التدخل العثماني ضد البرتغاليين؟

1. جاء تدخل العثمانيين في الوقت الذي وطّد فيه البرتغاليون أقدامهم في الهند والخليج العربي وحاولوا كذلك في البحر الأحمر، وفي تلك الفترة من 1507 – 1517، لم يكن العثمانيون قد وصلوا بعد إلى المناطق الإسلامية الجنوبية[79].

2. كان الأسطول العثماني موجوداً في البحر المتوسط ولم تكن له قواعد في البحر الأحمر والخليج العربي ولم يتسنَّ للعثمانيين ذلك إلا بعد سيطرتهم على مصر والعراق.

3. انشغال الدولة العثمانية في فتوحاتها وحروبها داخل أوروبا، وكانت أول عملية جذب لهم للتدخل في المنطقة العربية كانت بسبب التوسع الصفوي على حساب الأناضول الشرقي؛ ما أصبح يهدد كيان الدولة العثمانية واضطرهم للاتجاه نحو الجنوب لوقف توسع الصفويين ومن هنا بدأ توجههم نحو المنطقة العربية الإسلامية.

4. عندما بدأ البرتغاليون بتدخلهم المسلحّ في المياه الإسلامية لم تكن تحدهم حدود مع الدولة العثمانية، وعلى الرغم من ذلك فقد أمد السلطان سليم قانصوه الغوري في مصر بالأخشاب اللازمة لصناعة السفن وبالفنيين المهرة.

5. لم تكن البرتغال بالدولة العظمى التي يحسب لها العثمانيون حسابها، فقد كانت دولة ناشئة صغيرة المساحة قليلة السكان، غير معنيّة بالحروب الأوروبية ومهتمة بالملاحة الاستكشافية والصيد البحري، فضلاً عن قلة الأعداد التي جاءت مع حملاتها العسكرية البحرية إلى البحار الإسلامية، كل ذلك جعل العثمانيين يهملون أمر البرتغاليين إلى أن استفحل خطرهم واحتلوا مناطق إسلامية، وبدأ خطرهم يتهدد المقدسات الإسلامية في الحجاز، ويتطلعون إلى فلسطين، عندها تدخل العثمانيون، ولا سيما أنهم كانوا قد استولوا على الشام ومصر والحجاز سنة 1517م.

6. لم تتأثر الدولة العثمانية في بداية الاستعمار البرتغالي بأضرار اقتصادية، فقد كان هناك طريق بري يمر وسط آسيا ينقل إليها التجارة الشرقية القادمة من الهند والصين، بالإضافة إلى عدم انقطاع التجارة البحرية عبر الخليج العربي والبحر الأحمر بشكل يؤثّر على مصالحها بقدر ما أثّر على مصالح العراق ومصر[80]؛ ولذلك عندما سيطرت الدولة العثمانية على العراق ومصر أصبح من واجبها تأمين التجارة الدولية التي تهم هذه المناطق والتي تعبر أراضيها، واصطدم ذلك مع البرتغاليين.

ولكن، كيف تسنّى للبرتغال بلوغ ما بلغته في الهند والخليج العربي والمحيط الهندي؟!

هناك من يعزو ذلك إلى التفوق البحري البرتغالي، واستخدام البدع التكنيكية في فن الملاحة وصناعة المدافع، في الوقت الذي فشلت فيه المجتمعات الشرقية في الاستجابة للتحدي الأوروبي بسبب عوامل حضارية اجتماعية قوية منعتها من تبني التكنولوجيا الغربية المتفوقة، وهذا التفسير يمثل بعض وجهات النظر الأوروبية، بينما يرى المؤرخون المسلمون والعثمانيون أن الدولة العثمانية تمكنت من حماية العالم الإسلامي[81].

بينما هناك من رأى ذلك التقدم في فنون الملاحة والأساطيل والتسلح، ما هو إلا عاملٌ مساعدٌ لتحقيق ذلك النفوذ، فمثلاً ماك كركور (Macgregor) يرى أن سلطنتَيْ كجرات وجاوا كانت كل واحدة منهما تمتلك سفناً كبيرة مزودة بالمدافع، ولم تكن المدافع البرتغالية أفضل من المدافع المصرية والكجراتية إلا بفارق طفيف[82].

وقد كانت الأساطيل التجارية، كأسطول هرمز التجاري من الضخامة والاستعداد للمواجهة العسكرية، بحيث أنه أبهر البوكيرك حينما قدم لاحتلالها، ما يؤكد أن الشرق لم تكن تعوزه القوة أمام البرتغاليين بقدر ما كانت تعوزه الإرادة والوحدة وسمو الهدف[83].

وتحدث جيمس دفي (James Duffy) موضحاً تفوق حضارة الشرقيين على البرتغاليين قائلاً: (كانت حضارة هذه الإمارات تفوق حضارة البرتغال ذاتها في بداية القرن السادس عشر، ولكن لم تكن تربطها وحدة سياسية، بل يدافع كل أمير عن استقلال إمارته السياسي والاقتصادي، وحَالَ ذلك دون نشأة دولة موحدة في المنطقة، بل اقتصر الأمر على التوسع الذي تحققه بعض الإمارات القوية أحياناً على حساب جيرانها). وإن حاضر البرتغال لينبئ عن

ماضيها، لقد تمكن المماليك وحدهم من إحباط المخطط البرتغالي في البحر الأحمر وطاردوهم بالاشتراك مع الكجراتيين بعد هزيمة البرتغاليين في شولى" سنة 1508م، ولو تابعوهم إلى ميناء كوشن لقضوا عليهم، والأدلة كثيرة على تمكن قوات شرقية من هزيمة البرتغاليين لكن البرتغاليين ينتقمون بحقد وهمجية[84].

استمر تقدم البرتغاليين في الشرق في مَدٍّ وجزر حتى أنه بعد عام 1620م، تعاظمت محن البرتغاليين وأخذ توسعهم يتوقف تدريجياً ولعل سبب تمكنهم من الشرق، **كما يوضحه ماك كركور يكمن فيما يلي**:

أ. أن الأوضاع المحلية في آسيا كانت لمصلحة البرتغاليين عند وصولهم إليها.

ب. تركيزهم على سلع معينة في مناطق صغيرة وضيق قنواتهم التجارية.

ت. صداقة بعض الحكام والتجار الآسيويين.

ث. إثارة البرتغاليين الفرقة وتوجيه الأحداث لمصلحة إحلال نفوذهم[85].

ج. بالإضافة إلى تحصين الأساطيل البرتغالية بالمدافع والأسلحة الحديثة.

إلى أي مدى نجحت الدولة العثمانية في تحقيق بعض أهدافها، وحَسْر التواجد البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي؟

يرى بعض الباحثين أن الدولة العثمانية تمكنت في القرن السادس عشر من المحافظة على العالم الإسلامي وطريق الحج والمدن المقدسة، كما حمت الحدود الإسلامية من هجمات البرتغاليين[86].

ومن الناحية الاقتصادية، استمرت الولايات العثمانية تتسلم التوابل بصورة مباشرة من الهند وإندونيسيا رغم وجود نقص في كمية التوابل في بعض الأحيان، ولم تنقطع المبادلات التجارية بين الهند والتجار الأوروبيين في أسواق حلب والقاهرة والقسطنطينية وبورصة[87].

إذا أخذنا في الاعتبار، أهداف الغزو البرتغالي والمتمثلة أساساً في قطع الاحتكار العربي الإسلامي لتجارة التوابل والتجارة الشرقية عموماً وأهدافهم الدينية الصليبية وهدف البوكيرك في تدمير مكة، والقضاء على السلطان المملوكي والعثمانيين (الروم)، نجد أن ذلك لم يتحقق، ومعنى ذلك أن الغزوة البرتغالية إمّا أنها فشلت ولم تؤت ثمارها، أو أنها انحرفت عن أهدافها، والأرجح أنها انحرفت عن أهدافها فأصبحت تسعى إلى تحقيق أرباح البرتغال بغض النظر عن قضية إلحاق الضرر بالمسلمين والعرب، ولعل السوق الأوروبية كانت تتسع للتجار البرتغاليين والبنادقة والعرب على السواء مع ضخامة الإنتاج الشرقي، وواضح أن هذا الانحراف عن الأهداف لم يكن منذ البداية، لكنه بلا شك كان مع بدايات التدخل العثماني.

واستفاد البرتغاليون من التناقضات السياسية بين القوى الكبرى في المنطقة، مثال: حرصهم على إبقاء جذوة الصدام بين إيران وتركيا، والاستفادة من أخطاء القادة العثمانيين والنيل من سمعة الدولة عبرها[88]. كما يعود فشل العثمانيين في إنشاء قاعدة بحرية قوية لهم في ميناء البصرة لأسباب: منها مقاومة الفرس لهم، واستمرار الحروب بين العثمانيين والصفويين ومقاومة العصبيات المحلية، بالإضافة إلى مقاومة السلطات البرتغالية في الخليج العربي للتوسع العثماني الذي شمل القطيف وأجزاء أخرى من الأحساء[89].

- **أسباب فشل العثمانيين في طرد البرتغاليين من الخليج العربي والمحيط الهندي:**

أولاً- الأسباب الذاتية:

1. لم يتعود العثمانيون على خَوْض حروب محيطية، بينما اعتادوا على حروب البحار، وبالتالي لم تملك أساطيل عابرة للمحيطات كالبرتغال، فكان أسطولها أضعف من البرتغالي[90].

2. صعوبة نقل الأخشاب المناسبة لبناء سفن ضخمة إلى البصرة[91] والسويس، مع صعوبة إبحار الأسطول العثماني الموجود في البحر الأحمر إلى المحيط الهندي عبر رأس الرجاء الصالح[92].

3. عدم صلاحية البصرة كقاعدة حربية بحرية قوية بسبب مستنقعاتها وخلجانها الكثيرة وبسبب مقاومة العدو والفرس لها، كذلك عدم صلاحية السويس أيضاً لانطلاق أساطيل ضخمة منها بسبب طبيعة البحر الأحمر، وبُعد السويس عن الخليج العربي نسبياً وصعوبة نقل الأخشاب إليها[93].

4. إسناد العثمانيين مهمة نشاطهم البحري في المحيط الهندي إلى بعض البحارة المغامرين المشهورين أمثال بيري بيك، ومراد بك، وعلي بك[94].

5. استهتارهم بالبرتغاليين، حتى أنهم لم يفكروا في عقد سلام أو صلح مع المبعوث البرتغالي إلى الأستانة سنة 1556م، كما لم تكن حملاتهم متلاحقة سوى في عقد الخمسينيات من القرن السادس عشر.

6. ورأى البعض أن الأساطيل العثمانية عانت من ضعف الإدارة والقيادة، أكثر من أنّه ضعفٌ في الأسلحة والسفن[95].

ثانياً-الأسباب الخارجية:

1. لم تكن قوى اليمن والخليج العربي والهند مستعدة للتعاون والتنسيق مع الحملات العثمانية، فضلاً عن أن معظم تلك القوى وضعت مصالحها الخاصة فوق المصلحة العامة. ونفور بعض القوى المحلية في الخليج من الأتراك، وعدم تعاون بعضهم، بل والتعاون أحياناً مع البرتغاليين والصفويين ضدهم[96].

2. انشغال الدولة العثمانية في حروبها البرية ضد الدولة الرومانية المقدسة في أوروبا وضد فرسان القديس يوحنا في رودس، ما وزَّع جهودها وزاد من أعبائها[97].

3. الضعف الذي أصاب القوة البحرية العثمانية في أعقاب هزيمتها أمام الحلف الصليبي في معركة ليبانتو سنة 1571م[98].

4. عدم تمكنهم من حشد القوى الإسلامية ضد البرتغاليين، حيث ظل النزاع السني والشيعي يستنفذ إمكانيات القوى الرئيسة في العالم الإسلامي كالدولة العثمانية والدولة الصفوية[99]. فقد

عمل حاكم البحرين على الحيلولة دون سيطرة أيٍّ من العثمانيين أو البرتغاليين على مملكته، ولم ينضم هو أو شعبه لدعم إخوانهم في الدين؛ العثمانيين، بسبب الاختلاف المذهبي، حيث يدين معظمهم بالمذهب الشيعي، بينما العثمانيون سُنّة[100].

5. كما أبطأت بعض الإمارات السُّنيّة في تقديم العون والتعاون مع العثمانيين، حيث ضاقوا ذرعاً بنظام الالتزام الذي فرضته عليهم، متهمينها بنقل أموالهم إلى العاصمة في إسطنبول، دون أن تنفق منه شيئاً لتحسين أوضاعهم. وهم وإن رحبوا بالقوات العثمانية لتنقذهم من الخطر البرتغالي، إلا أنهم لم يرغبوا أن يتحولوا نحو قوة خارجية جديدة[101].

6. انحراف البرتغاليين عن أهدافهم الأولى، الاقتصادية والدينية، وانصرافهم إلى تحقيق الربح الوفير لدولتهم طالما أن الإنتاج الشرقي يغطي الجميع، والسوق الأوروبية تتسع للجميع، وهذا الأمر قلل من التعديات البرتغالية ضد العثمانيين إلى حد بعيد. ولعل الصعوبات التي واجهت الوجود البرتغالي في الشرق خصوصاً على أيدي العثمانيين، بجانب انتعاش بديل قوي عن التجارة الشرقية، وهو استعمار أمريكا الجنوبية، ونقل زراعة بعض التوابل والفلفل من الهند إليها، أوجد بديلاً للبرتغاليين بعيداً عن الصدام المكلف مع العثمانيين[102].

ثانياً الأسباب الشخصية:

لم تنفصل الأهداف والطموحات الشخصية لبعض القادة المنخرطين في الصراع عن سلوكهم الميداني، فقد سعى بعض القادة البحريين الأتراك أمثال بيري ريس لتحقيق مكاسب وشهرة شخصية، كما فعل مع قلعة هرمز ثم قشم، واحتفظ لنفسه بأجندة خاصة لاستغلال ثروات المدن التي وصلها. ربما لم يكن لديهم الحرص الكافي لطرد البرتغاليين بقدر حرصهم على تحقيق مكاسبهم الشخصية[103]. حتى شاه إيران عباس الصفوي حرِص على إبعاد تجارة الحرير عن الطريق البري المعهود والذي يمر بالأراضي العثمانية، كي لا يستفيد منه العثمانيون، ولكن أيضاً لتحقيق مكاسب وطموحات شخصية له؛ إذ كان هو تاجر الحرير الأول في الخليج[104].

وبنظرة سريعة على أهداف ودوافع التدخل العثماني في الجنوب الإسلامي، نرى أن الدولة العثمانية قد حققت جانباً كبيراً من أهدافها، فقد أمّنت معظم حدود العالم الإسلامي من الخطر البرتغالي، وحمت المقدسات الإسلامية في الحجاز من العبث الصليبي، وحفظت رأس الخليج العربي(البصرة) سالماً من السيطرة البرتغالية، وكذلك الحال بالنسبة لعدن مدخل البحر الأحمر، وعملت على استمرار تدفق التجارة الشرقية بثلاث طرق تجارية دولية هي: الطريق البري الذي يمر عبر أواسط آسيا ثم إلى تركيا، والطريق البحري الذي يمر في الخليج العربي إلى البصرة ومنها إلى حلب، والطريق البحري الثاني الذي يمر عبر البحر الأحمر إلى السويس ومنها إلى الإسكندرية.

الخاتمة

من دراسة الصراع العثماني البرتغالي في القرن السادس عشر الميلادي توصل البحث إلى النتائج المهمة التالية:

1. أهداف الغزو البرتغالي لمناطق الهند والخليج العربي والبحر الأحمر، ورحلاته الاستكشافية، كانت دينية، بهدف نشر المسيحية وتحطيم القوة الإسلامية والانتقام من المسلمين، وسياسية؛ بالعمل على تكوين إمبراطورية عظمى، كالإسكندر الأكبر والدولة الرومانية القديمة، وبشكل تنافسي مع الدولة العثمانية، واقتصادية؛ بالعمل على احتكار تجارة الهند الشرقية وحرمان المسلمين والعرب منها، وبحثاً عن الرفاهية.

2. كانت أهداف الفتوحات العثمانية في البلاد العربية، أيضاً: دينية لحماية المسلمين من الخطر البرتغالي الصليبي، وسياسية بهدف الحد من قوة الصفويين والمماليك، وضم البلاد العربية المسلمة والتي هي امتداد طبيعي للدولة العثمانية المسلمة، وحماية لها من الخطر الصفوي الشيعي، والخطر البرتغالي الصليبي، واقتصادية لإبقاء طرق التجارة الشرقية على حالها وهذا يعني حفظ مصادر أرزاق التجار العرب والمسلمين في البلاد العربية، وعلى رأس هذه الأهداف: حماية الأماكن المقدسة في مكة والمدينة من الحقد الصليبي الذى جاء به البوكيرك خاصةً.

3. تمثلت أهم نتائج الحملات العثمانية ضد البرتغاليين في جعل البحر الأحمر بحيرة إسلامية آمنة من الخطر البرتغالي وتأمين المنطقة الشمالية من الخليج العربي، وظلت المحاولات بين مدٍ وجزر نحو تحرير المناطق العربية في عمان وهرمز والبحرين وغيرها.

4. كان للفُرقة الإسلامية وعدم التعاون مع الحملات العثمانية، وضعف الأسطول العثماني قياساً إلى الأسطول البرتغالي، وانشغال الدولة العثمانية في أوروبا، ومع الفرس، وفي البحر المتوسط، ووجود حصون برتغالية في الخليج العربي، وقاعدة كبيرة في الهند، وتعاون الصفويين مع البرتغاليين، لذلك كله أثره في تعثّر محاولات العثمانيين لطرد البرتغاليين من المنطقة.

5. زالت إمبراطورية البرتغال في الشرق وبقيت الدولة العثمانية على حالها وهو دليل واضح على عوامل الضعف الكامنة في الغزو البرتغالي، حيث إن البرتغاليين لم يستمروا أكثر من قرن من الزمان تقريباً.

6. من ملامح الضعف البرتغالي: تغير أهداف الغزوة البرتغالية، فبعد أن كانت دينية سياسية اقتصادية، أصبح الهدف الوحيد هو تحقيق أرباح للبرتغال دون القدرة على حرمان غيرها. وهناك أسباب متعددة لضعف النفوذ البرتغالي، منها ما يتعلق بالجنود المتمردين، والأسْر الستيني الإسباني للبرتغال، وقلة أعداد البرتغاليين في الشرق، وفي حملاتهم، واحتكار الحكومة للسلع المربحة، وظهور المنافسين الأوروبيين، فضلاً عن المقاومة العثمانية والعربية.

الهوامش

1. علي غنام، كيف تمكنت دول أوروبية صغيرة من استعمار بلدان كبيرة، مجلة الخليج العربي، السنة 15 المجلد 19 العدد 1 سنة 1987م، تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصيرة، العراق، 1987م، ص 22 – 24،

2. مجلة الخليج العربي، المجلد 17، العدد2، سنة 1985، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصيرة، العراق، 1985م، ص10،

3. شاهين، هلال: «نظرة عامة على العلاقات العثمانية الهندية – القرن 15 – 18»، المجلة الأكاديمية للتاريخ والفكر، المجلد 2، العدد 6، أغسطس 2015 (بالتركية)، ص5،

4. ج،ج لوريمر، دليل الخليج– القسم التاريخي، الجزء الأول، ترجمة: مكتب الترجمة بديوان حاكم قطر(الدوحة) سنة 1967م، ص4 – 5، ويشار إليه فيما بعد: لوريمر، دليل الخليج، ج1،

5. *Stripling, George William Frederick: The Ottoman Turks and the Arabs, 1511-1574, Illinois Studies in The Social Sciences, Published by The University of Illinois, VOLUME xx vi, p.30*

6. العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1974م، ص14،

7. السير آرنولدت، ويلسون، الخليج العربي، ترجمة: د، عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت، (د. ت)، ص214.

8. عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، الجزء الأول، دار الجيل، بيروت، ومكتبة الرائد العلمية، عمان، 1991م، ج1 – 2، ص12.

9. *Stripling, Op.Cit., p.28*

10. *Ibid, p.34*

11. العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مرجع سابق، ص 17.

12. فتحية النبراوي ود. محمد نصر مهنا، الخليج العربي (دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية)، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د،ت) ص106 – 107.

13. لوريمر، دليل الخليج، ج1، ص6.

14. النبراوي ومهنا، الخليج العربي، ص86.

15. المرجع نفسه، ص108،

16. *Stripling, Op.Cit., p.28, 29*

17. *Edward Caldwell Moore, The Spread Christianity In The Modern World, Cambridge, Mass. August 18, 1918, p. 27-28, 71, 73, 142, 181*

18. غنام، كيف تمكنت دول أوروبية صغيرة من استعمار بلدان كبيرة، ص18،

19. غنام، كيف تمكنت دول أوروبية صغيرة من استعمار بلدان كبيرة، ص18،

20. *Stripling, Op.Cit., p.33*

21. القيسي، عبد الوهاب، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، مجلد12، العدد1، يصدرها مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصيرة، العراق، 1980م، ص47.

22. آداموف، ألكسندر، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، الجزء الثاني، ترجمة عن الروسية: د. هاشم صالح التكريني، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العراق، 1989م، ص64 – 65.

23. الخطيب، مصطفى عقيل، التنافس الدولي في الخليج العربي 1622 – 1763م، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1981م، ص29.

24. آداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ج2، ص64.

25. المرجع نفسه، ص65 – 66.

26. ستيفن همسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد 1962، ص31، 58.

27. الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي، ص30.

28. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد13، السنة الرابعة، جامعة الكويت، الشويخ، يناير 1978م، ص88.

29. القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي، ص47.

30. المرجع نفسه، ص88.

31. النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد (990–917هـ)، البرق اليماني في الفتح العثماني، أشرف على طبعة حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، السعودية، ط1، 1387هـ1967–م، ص70؛ شاهين، "نظرة عامة على العلاقات العثمانية الهندية"، ص6.

32. العقيلي، محمد بن أحمد، تاريخ المخلاف السليماني، الجزء الأول، ط3، من منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، السعودية، 1982م/1402هـ، ص279.

33. ويليام جيمس ديورانت، قصة الحضارة (42 جزءاً)، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، بيروت، دار الجيل، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988م، ج 23، ص 57.

34. المرجع السابق، ص184؛ Stripling, Op.Cit., p.89

35. محمد عبد العال أحمد (دراسة وتحقيق) البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه: (نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني (بامخرمة) كما سجلها في مخطوط (قلادة النحر) دراسة وتحقيق: د، محمد عبد العال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1989م، ص200–198.

36. أحمد، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، ص204–200.

37. المصدر نفسه، ص215–214؛ النهروالي، في البرق اليماني، ص38 – 39،

38. أحمد، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه، ص217.

39. ويلسون، الخليج العربي، ص211 – 212.

40. انظر معلومات إضافية عن حملة سليمان باشا سنة 1538م في: غرايبة، عبد الكريم، مقدمة تاريخ العرب الحديث1500 – 1918، ج1، دمشق: 1960م، ص32.

41. محمد فريد (بك) المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، 1981م، ص 239، 240.

42. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص10؛ المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 239.

43. أونالب، أرطغرل، إجراءات سيفر ريس في المحيط الهندي وفقاً للمصادر البرتغالية 1550 – 1565م، 2009، (بالتركية) ص210

44. النهروالي، البرق اليماني، ص78، 80 – 81.

45. المرجع نفسه، ص82 – 84؛ وانظر: العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ج1، ص292.

46. *Stripling, Op.Cit., p.92*

47. النهروالي، البرق اليماني، ص85 – 86.

48. *Stripling, Op.Cit., p.91,92*

49. العقيلي، تاريخ المخلاف السليماني ج1، ص292.

50. عوض، دراسات في تاريخ العربي الحديث، ج2، ص12.

51. طارق نافع الحمدان، عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، جامعة بغداد، ص 5، 9، 10، على الرابط: https://bit.ly/2JyeDYk

52. *Stripling, Op.Cit., p.93*

53. *David R. Ringrose, Expansion and Global Interaction, 1200-1700, University of California, San Diego Michael, Priscilla McGeehon, 2001, p. 138.*

54. *Stripling, Op.Cit., p.96*

55. *Ibid, p.97*

56. القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي، ص48.

57. أوزبران، صالح: تدافع الإمبراطوريات العثمانية والبرتغالية، إسطنبول: مكتبة المؤرخون، 2013م (بالتركية)، ص 217.

58. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص18؛ أونالب، إجراءات سيفر ريس، ص 216.

59. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص15.

60. المرجع نفسه، ص18؛ أونالب، إجراءات سيفر ريس، ص 211.

61. القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي، ص49.

62. الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي، ص34 – 35.

63. المرجع نفسه والصفحة.

64. الصيرفي، نوال حمزة يوسف، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1983م، (رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي)، ص132 – 133.

65. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص19.

66. ويلسون، الخليج العربي، ص222.

67. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص19.

يرد اسم سيدي علي ريس في عدة مصادر تحت أسماء متعددة منها: (علي ميرال بيك) كما في كتاب: محمد عدنان مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، ص143، (وسيدي علي ريس حسين) عند: نوال حمزة الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي، ص149. و(علي شلبي) عند: مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي، ص37؛ وعند: لوريمر، دليل الخليج، ج1، ص17؛ وعند: آرنولدت، ويلسون، الخليج العربي، ص222.

68. أوزبران، صالح، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي بين 1581–1534م، ترجمة: عبد الجبار ناجي، بغداد، 1979، ص49 – 50؛ محمد بن حمد الشعيلي، الصراع العثماني البرتغالي في عمان ومنطقة لخليج، مدونة التاريخ العربي، نُشر في 5/12/2012، في: http://the-historyofarabia.blogspot.com/2012/12/blog-post_8281.html

69. أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ص50.

70. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص20 – 21.

71. أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ص50 – 51.

72. أونالب، إجراءات سيفر ريس، ص 218، 224.

73. أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي، ص52 – 55؛ وانظر: لوريمر، دليل الخليج، ج1، ص18، ويذكر لوريمر وويلسون أن المبلغ هو 10 آلاف دوكة (وهي عملة مدينة البندقية).

74. المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 260.

75. الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج، ص150 – 151.

76. محمد عدنان مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، بيروت، دار دمشق، 1984م، ص143.

77. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ص24.

78. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد13 السنة الرابعة، جامعة الكويت، الشويخ، يناير 1978م، ص89.

79. الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج، ص14.

80. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، عدد13، سنة 4 يناير 1978م، ص88.

81. *Stripling, Op.Cit., p.37*

82. القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي، ص50.

83. علي غنام، كيف تمكنت دول أوروبية صغيرة من استعمار بلدان كبيرة، ص23.

84. المرجع نفسه، ص24.

85. المرجع نفسه، ص25 – 27.

86. المرجع نفسه، ص28 – 29.

87. القيسي، موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، ص50.

88. المرجع نفسه والصفحة.

89. *Stripling, Op.Cit., p.79*

90. الشعيلي، الصراع العثماني البرتغالي في عمان ومنطقة الخليج، (مدونة).

91. عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية (الأتراك العثمانيون–الفرس–مسلمو الهند)، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م، ص144 – 145، وانظر حول السبب: تفوق الملاحة البرتغالية، عند أوزبران، ص59.

92. *Mohammed Hameed Salman, Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, 152 1-1622, PhD in history In the University of Hull, UK, December 2004, p.200*

93. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ص25.

94. المرجع نفسه والصفحة.

95. العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص21.

96. *Salman, Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, 1521-1622, p.199*

97. لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ص 59–58.

98. نوار، الشعوب الإسلامية، ص147–144،46.

99. المرجع نفسه والصفحة.

100. عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج1، ص45.

101. *Salman, Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, 1521-1622, p.198-199, 217*

102. *Ibid, p.212, 217*

103. *Stripling, Op.Cit., p.36*

104. *Salman, Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, 1521-1622, p.189*

105. *Salman, Op.Cit., p.216*

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

1. أحمد، محمد عبد العال: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه: نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني « بامخرمة « كما سجلها مخطوط (قلادة النحر)، دراسة وتحقيق: د. محمد عبد العال أحمد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م.
2. العقيلي، محمد بن أحمد: تاريخ المخلاف السليماني، الجزء الأول، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، السعودية، ط2، 1982م، 1402هـ.
3. النهروالي، قطب الدين محمد بن أحمد، المكي(990–917هـ): البرق اليماني في الفتح العثماني– تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري مع توسع في أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر، أشرف على طبعه: حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، 1387هـ/1967م.

المراجع العربية:

1. الخطيب، مصطفى عقيل: التنافس الدولي في الخليج العربي 1622 – 1763، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1981م.
2. الصيرفي، نوال حمزة يوسف: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي– في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، الرياض، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، 1983م/1403هـ (رسالة ماجستير).
3. العقاد، صلاح: التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1974م.
4. عوض، عبد العزيز: دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، جزأين، دار الجيل، بيروت، مكتبة الرائد العلمية– عّمان، 1991م.
5. غرايبة، عبد الكريم محمود: مقدمة تاريخ العرب الحديث، 1500 – 1918م، الجزء الأول (العراق والجزيرة العربية)، دمشق، 1960م/1380هـ.
6. المحامي، محمد فريد (بك): تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، بيروت، دار النفائس، 1981م.
7. مراد، محمد عدنان: صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، بيروت، دار دمشق، 1984م.
8. النبراوي ومهنا، فتحية ومحمد نصر: الخليج العربي: دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر، (د.ت).
9. نوار، عبد العزيز سليمان: الشعوب الإسلامية: الأتراك العثمانيون–الفرس– مسلمو الهند، دار النهضة العربية، بيروت، 1973م.
10. المراجع المعرَّبة:
11. آداموف، ألكسندر: ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، الجزء الثاني، ترجمة عن الروسية: د. هاشم صالح التكريتي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العراق، 1989م.
12. أوزبران، صالح: الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي بين 1534 – 1581م، ترجمة: عبد الجبار ناجي، بغداد، د. ن، 1979.
13. ديورانت، ويليام جيمس: قصة الحضارة (42 جزءاً)، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، بيروت، دار الجيل، تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1988م.
14. لوريمر، ج. ج.: دليل الخليج– القسم التاريخي، الجزء الأول، ترجمة: قسم الترجمة بمكتب أمير قطر وعلى نفقته، الدوحة، قطر، 1967م، مقدمة ناشر الطبعة الانجليزية بتاريخ سنة 1914م.
15. لونكريك، ستيفن همسلي: أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، بغداد: ط 6، 1985.
16. ويلسون، آرنولد: الخليج العربي: مجمل تاريخي من أقدم الأزمنة حتى أوائل القرن العشرين، ترجمة: د. عبد القادر يوسف، مكتبة الأمل–الكويت. (د.ت).

الدوريات:

1. الحمدان، طارق نافع: عدن بين مطامع البرتغاليين ومطامح العثمانيين خلال النصف الأول من القرن السادس عشر، جامعة بغداد، على الرابط: https://bit.ly/2JyeDYk
2. الشعيلي، محمد بن حمد: الصراع العثماني البرتغالي في عمان ومنطقة الخليج، مدونة التاريخ العربي، نُشر في 5/12/2012، في: https://bit.ly/2Jp4Jb6
3. غنام، علي: كيف تمكنت دول أوروبية صغيرة من استعمار بلدان كبيرة، مجلة الخليج العربي، السنة 15، المجلد 19، العدد 1 سنة 1987م، تصدر من مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العراق، 1987م.
4. القيسي، عبد الوهاب: موقف العثمانيين من الغزو البرتغالي للمياه العربية، مجلة الخليج العربي، المجلد 12، العدد 1 سنة 1980م، تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العراق، 1980م.
5. مجلة الخليج العربي، المجلد 17، عدد 2 سنة 1985م، تصدر عن مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، العراق، 1985م، ص10.
6. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد 13، السنة الرابعة يناير 1978م، جامعة الكويت، الشويخ، 1978م، ص88 – 89.

المراجع التركية:

1. أوزبران، صالح: تدافع الإمبراطوريات العثمانية والبرتغالية، إسطنبول: مكتبة المؤرخون، 2013م.
2. *Özbaran, Salih: Umman'da Kapışan İmparatorluklar Osmanlı ve Portekiz Emperyal ve Kutsal, Muhafız ve Mültezim, Zeytinburnu - İstanbul, Kitap Matbaacılık Sanayi ve Ticaret Ltd. Şti., Ocak 2013*
3. أونالب، أرطغرل: إجراءات سيفر ريس في المحيط الهندي وفقاً للمصادر البرتغالية 1550 – 1565م، 2009،
4. *Önalp, Ertuğrul: Portekiz Kaynaklarına Göre Sefer Reis'in Hint Okyanusu'ndaki Faaliyetleri (1550-1565), (OTAM, 25 / Bahar 2009).*
5. شاهين، هلال: «نظرة عامة على العلاقات العثمانية الهندية – القرن 15 – 18»، المجلة الأكاديمية للتاريخ والفكر، المجلد 2، العدد 6، أغسطس 2015
6. *Şahin, Hilal H.: Osmanli-Hint İlişkilerine Genel Bir Bakiş (xv-xviii. Yüzyil) Akademik Tarih ve Düşünce Dergisi Academıc Journal of History and Idea Cilt: 2/Sayı:6/Ağustos /2015*

List of sources and references

Qader Yousef, Al-Amal Library, Kuwait.

Periodicals:

1. *Al-Hamdan, Tariq Nafi: Aden between the ambitions of the Portuguese and the ambitions of the Ottomans during the first half of the sixteenth century, University of Baghdad, https://bit.ly/2JyeDYk*
2. *Shu›ayli, Muhammad ibn Hamad: The Ottoman-Portuguese Conflict in Oman and the Gulf Region, The Arab History Blog, published on 5/12/2012, at: https://bit.ly/2Jp4Jb6*
3. *Ghannam, Ali: How small European countries were able to colonize large countries, the Arab Gulf Magazine, Year 15, Volume 19, No. 1 in 1987, issued by the Center for Arab Gulf Studies, University of Basra, Iraq, 1987.*
4. *Qaisi, Abdul Wahab: The Ottomans› Attitude towards the Portuguese Invasion of Arab Water, Arab Gulf Magazine, Volume 12, No. 1, 1980, issued by the Center for Arab Gulf Studies, University of Basra, Iraq, 1980.*
5. *The Arab Gulf Magazine, Vol. 17, No. 2, 1985, issued by the Center for Arab Gulf Studies, University of Basra, Iraq, 1985, p. 10.*
6. *Journal of Gulf and Arabian Peninsula Studies, No. 13, Fourth Year, January 1978, Kuwait University, Shuwaikh, 1978, pp. 88-89.*

Turkish References:

1. *Uzberan, Salih: The stampede of the Ottoman and Portuguese empires, Istanbul: Library of Historians, 2013 (in Turkish).*
2. *Unalb, Ertugrul: The Sever Reis Procedures in the Indian Ocean According to Portuguese Sources 1550-1565, 2009, (in Turkish)*
3. *Shaheen, Hilal: "An Overview of the Ottoman-Indian Relations - 15th-18th Century", Academic Journal of History and Thought, Volume 2, No. 6, August 2015 (Turkish).*

English References:

1. *Moore, Edward Caldwell: The Spread Christianity In The Modern World, Cambridge, Mass. August 18, 1918.*
2. *Ringrose, David R.: Expansion and Global Interaction, 1200-1700, University of California, San Diego Michael, Priscilla McGeehon, 2001*
3. *Stripling, George William Frederick: The Ottoman Turks and the Arabs, 1511-1574, Illinois Studies In The Social Sciences, Published By The University Of Illinois, Urbana, 1942, Volume xx vi. https://bit.ly/2NEgBLX*
4. *Mohammed Hameed Salman, Aspects of Portuguese Rule in the Arabian Gulf, 152 1-1622, PhD in history In the University of Hull, UK, December 2004.*

Arab Sources:

1. *Ahmed, Mohamed Abdel-Al: Red Sea and the first Portuguese attempts to seize it: new texts extracted from the observations of the Yemeni historian Bamakhrama as recorded by the manuscript of (Necklace of the chest), a study and investigation: dr. Mohamed Abdel Aal Ahmed, University Knowledge House, Alexandria, 1989.*
2. *Al oqeili, Mohammed bin Ahmed: the history of controversy Sulaimani, Part I, publications of the House of Yamama for research for translation and publishing, Riyadh, Saudi Arabia, edition 2, 1982, 1402 AH.*
3. *Nahrawali, Qutb al-Din Muhammad ibn Ahmad, Makki (917-990): Yemeni lightning in the Ottoman conquest - the history of Yemen in the tenth century AH with the expansion of the news of the conquests of the Circassians and Ottomans for that country, oversaw the edition: Hamad al-Jasser, Riyadh, Dar publications Yamama for Research, Translation and Publishing, Riyadh, 1387 AH / 1967 AD*

Arabic References:

1. *Al-Khatib, Mustafa Aqeel: International Competition in the Arabian Gulf 1622-1763, Modern Library, Beirut, Saida, 1981.*
2. *Al-Serafi, Nawal Hamza Yusuf: Portuguese Influence in the Arabian Gulf - In the Tenth Century of the Sixteenth Hegira, Riyadh, King Abdulaziz House Publications, 1983/1403 AH (Master Thesis).*
3. *Akkad, Salah: political currents in the Arabian Gulf, the Egyptian Anglo Library, Egypt, 1974.*
4. *Awad, Abdul Aziz: Studies in the History of the Modern Arabian Gulf, Two Parts, Dar Al-Jeel, Beirut, Al-Raed Scientific Library, Amman, 1991.*
5. *Gharaibeh, Abdul Karim Mahmoud: Introduction to the history of modern Arabs, 1500-1918 m, the first part (Iraq and the Arabian Peninsula), Damascus, 1960 m / 1380 e.*
6. *Lawyer, Muhammad Farid (Bey): History of the Ottoman Upper State, Investigation: Ihsan Hakki, Beirut, Dar Al-Nafees, 1981*
7. *Murad, M. Adnan: Conflict of Power in the Indian Ocean and the Arabian Gulf, Beirut, Damascus House, 1984.*
8. *Al-Nabarawi and Muhanna, Fathia and Mohamed Nasr: The Arabian Gulf: A Study in the History of International and Regional Relations, Al-Ma›aref Establishment, Alexandria, Egypt, (d)*
9. *Nawar, Abdul Aziz Suleiman: Islamic peoples: Ottoman Turks - Persians - Muslims of India, Dar Arab Renaissance, Beirut, 1973.*
10. *Localized References*
11. *Adamov, Alexander: the province of Basra in its past and present, Part II, translation of Russian: d. Hashem Saleh Al-Tikriti, Center for Arab Gulf Studies, University of Basra, Iraq, 1989.*
12. *Osbran, Saleh: Ottoman and Portuguese Turks in the Persian Gulf, 1534-81, translation: Abdul Jabbar Naji, Baghdad, D.N., 1979.*
13. *Durant, William James: The Story of Civilization (42 volumes), Translated by: Zaki Najib Mahmoud and others, Beirut, Dar Al-Jeel, Tunisia, Arab Organization for Education, Culture and Science, 1988.*
14. *Lorimer, c. A: Gulf Guide - Historical Section, Part I, Translation: Translation Department, Office of the Emir of Qatar and at his expense, Doha, Qatar, 1967, Introduction by the publisher of the English edition dated 1914.*
15. *Lonrick, Stephen Hamsley: Four Centuries of Modern Iraqi History, Translated by Ja›far Al-Khayat, Baghdad: I 6, 1985.*
16. *Wilson, Arnold: The Arabian Gulf: A Historical Overview from the Oldest Times to the Early Twentieth Century Abdul*

الأحداث السياسية وأثرها في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي

Political Events and Their Impact on the Embroidery of the Palestinian Woman Traditional Dress

أ. محمد أحمد مصلح
معلم/ وزارة التربية والتعليم/ الأردن

Mr. Mohammad Ahmad Mosleh
Teacher/ The Ministry of Education / Jordan
aamer982@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 19/ 7/ 2019م، **تاريخ القبول:** 26/ 10/ 2019م.
Received: 19/ 7/ 2019, **Accepted:** 26/ 10/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604883
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

هدفت الدراسة الكشف عن أثر الأحداث السياسية في مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي، في الفترة الممتدة بين عامي (1900 – 2000)، وسلك الباحث المنهج التاريخي لمناسبته هدف الدراسة، إذ أظهرت النتائج تأثر مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي بالأحداث السياسية المهمة بشكل محدود وضيق جداً، إلا من ثوب الانتفاضة الذي تبدّل جذريا في مطرّزاته. وقد وقع أثر الأحداث السياسية على الثوب بضربين الأول إبداع بعض المطرّزات الجديدة، والثاني تغيير بعض أسماء المطرّزات الموروثة إلى أسماء جديدة تتناسب والحدث السياسي، كما بينت النتائج تأثر الثوب النسوي ذو القطبة الفلاحية (المصلبة) بالأحداث السياسية فقط، دون غيره من الأثواب المنتشرة في مناطق التطريز كثوب التحريرة أو المناجل أو الطارة. وفي نهاية الدراسة قدمت مجموعة من المقترحات والتوصيات.

كلمات مفتاحية: الأحداث السياسية، التطريز، الثوب الفلسطيني النسوي.

Abstract

The study aims to explore the impact of political events on the embroidery of the Palestinian woman traditional dress in the period 1900 - 2000. The researcher opted the historical method since it suits the purpose of the study. The results showed that the embroidery of the Palestinian dress was impacted slightly by the political events except for the "Intifada Dress" which embroidery changed radically. The impact of political events can be categorized into two types; first, the creation of new embroideries; second, changing some of the traditional names of embroideries to new names to match the political events. The results showed that, among other types, only the dress made with "the peasantry stitch" (cross stitch) was impacted by the political events. At the end of the study, the researcher introduced a number of suggestions and recommendations.

***Keywords**: Political Events, Embroideries, Palestinian Woman Dress.*

المقدمة

الزيّ الشعبي الموروث ميزة لكل شعب عن غيره من الشعوب، يتباهى ويفتخر به؛ بما يحمله من مدلولات مهمة عن عراقته وأصالته، وقد حرصت الشعوب على دراسة تاريخها وميراثها الحضاري، إذ نراها تنفض عنه الغبار لتعيد له الحياة مرّة أخرى بعد مضي السنين، ليتألق في المحافل والمناسبات كزيّ وطني يمثل شعبه، وكلما كان هذا الزيّ موغلا في القدم أصبح له مكانة ورمزية أعظم عند الشعوب.

ويعدّ التطريز أهمّ ما يميز الأزياء الشعبية الفلسطينية النسوية، وهو فنّ تتناقله الأمّهات عن الجدات، ويورّثنه للبنات أجيالاً إثر أجيال. ولولا التوريث الحِرفي اليدوي لبادت تقاليد التطريز، التي يدهشك أنها قلما تبدلت منذ ظهورها في رسوم الكنعانيين[1]، إذ يعدّ الزيّ الفلسطيني التقليدي المطرّز امتداداً للزيّ الكنعاني القديم، وعلاقة هذا الزيّ مع منتجات البيئة، وتفاعل الإنسان معها هي علاقة قائمة منذ آلاف السنين، وقد تأثر الزي الفلسطيني النسوي المطرّز بما حوله من أوضاع جغرافية، واقتصادية، واجتماعية، ودينية ضَبطت أصول التطريز فيه عبر مئات السنين، ما جعل من هذه الضوابط أسسا يبنى عليها الثوب، منذ بدء قص القماش إلى انتهاء جمعه، مرورا بما حواه الثوب من مطرّزات مختلفة في الألوان وكثافة التطريز، أما الأحداث السياسية المهمة والمفصلية التي بدأت مع بداية القرن العشرين وانتهت مع انتفاضة الحجارة فقد كان لها تأثير محدود في بعض مطرّزات الثوب. يتناول الباحث دور هذه الأحداث وتأثيرها على مطرّزات الثوب الفلسطيني النسوي.

التطريز لغة واصطلاحا

لغة: نجد في باب طَرَزَ، الطِّرْز: البَزُّ والهيئة، الطِّرْز والطِّراز: الجيّد من كلّ شيء، الطِّراز: الموضع الذي تنسج فيه الثياب الجيادُ، الطِّرز والطِّرز: الشكل (ابن منظور، الجذر: طَرَزَ). طَرزَ طَرزاً: تأنّق ولم يلبس إلا فاخراً، طرَّز الثوب: زيّنه بالخيوط المُلوّنة والرسوم وما شاكلها. الطِّراز: ما ينسج من الثياب للسلطان الفارسي، وهو لفظ فارسي معرّب أصله «تراز» (المنجد). طَرْزٌ: حسنٌ زيّه وهيئته (الجواليقي، 1969).

اصطلاحا: استعمال الخيط (حرير، قطن، صوف) بغرزه على القماش، بوساطة الإبرة (يدوية، ماكنة)، بكيفية معيّنة، لإنتاج وحدات زخرفية معيّنة.

لمحة تاريخية

يعد الزيّ الفلسطيني التقليدي المطرّز المعاصر (اللباس الشعبي) امتدادا للزيّ الكنعاني القديم، وعلاقة هذا الزيّ مع منتجات البيئة وتفاعل الإنسان معها هي علاقة قائمة منذ آلاف السنين، فقد عثر على نقش في مقبرة «خنم حتبة الثاني[2]» (1900 ق.م) من عهد سنوسرت الثاني[3]، يمثّل جماعة من الكنعانيين تعدادها سبعة وثلاثون شخصا، ويلاحظ أنّ ملابس النساء والرجال بهذا النقش مزخرفة بزخارف هندسية جميلة، ما يزال بعضها يتشابه مع ما يشاهد الآن على الثياب الفلسطينية المطرّزة المعاصرة (المزين، 1981)، وبخاصّة أزياء المناطق الجبلية التي يغطّي فيها التطريز معظم أجزاء الثوب، ويلاحظ من خلال التدقيق في هذه الرسومات وجود مطرّزات (وحدات زخرفية) موزّعة على سطح الثياب توزيعا يدلّ على ذوق جميل، على شكل أشرطة طولية، وهذه الميزة ما تزال باقية حتى الآن، وتعتبر من أهمّ مميزات فنّ التطريز على الأزياء الفلسطينية المعاصرة، وكذلك فقد شوهدت رسوم على قبور مصرية تظهر كنعانيين في عصر الهكسوس[4] في أثواب طويلة مطرّزة من عام (1700 ق.م) (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، 1990)، وما وجد أيضا من رسوم جدارية للكنعانيين تعود لعصر البرونز المتأخّر، على قبر طيبة في عهد تحتمس الرابع5 (1411–1420

ق.م) وأهمّها صور تمثل جماعة من الكنعانيين جاؤوا لتقديم الجزية (المزين، 1981)، وغيرها ما يدلّ على أنّ الزيّ المطرّز لسكان فلسطين اليوم يعود إلى وجود الكنعانيين، بل إنّ التوزيع العام للمطرّزات على الثياب الفلسطينية المعاصرة هو امتداد للتوزيع الزخرفي الذي ظهر على أزياء أجدادنا الكنعانيين. ويدهشك أيضا أنّ هذه المطرّزات قلّما تبدلت منذ ظهورها في رسوم الكنعانيين، التي ظهرت في النقوش الفرعونية قبل آلاف السنين، فهذا التراث المأثور هو خزانة الشعوب وحافظة فنونها وحكمتها عبر مئات السنين (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، 1990)، وقبل المضيّ قدما في توضيح ما اختصّت به المرأة في زيّها المطرّز، فقد نوّه أبو جبين (2012) أنّ الثياب المطرّزة عند الفلسطينيين كانت قديما تلبس من قبل المرأة والرجل على حدّ سواء؛ إذ تطور فنّ التطريز المتميز عند الإنسان الفلسطيني تبعا لتطور آلات استخدامه، خاصة بعد ظهور الإبر النحاسية والحديدية، وحينها ارتدى الرجال والنساء على حدّ سواء الأزياء المطرّزة بمختلف الرسومات، تبعا للقرى والمناطق التي عاشوا فيها، إلى أن دخلت فلسطين الإسلام؛ إذ تخلى الرجال عن لبس الثياب المطرّزة.

ويعدّ التطريز جزءا مهما من حياة المرأة في القرية الفلسطينية وتستعمله لتزيين بيتها، وثوبها التقليدي، والمكملات الأخرى، مثل: الغدفة[6]، والوقاة[7]، والعراقية[8]، والملاية[9]، ولفاع الطفل[10] (القماط)، والشراشف[11]، والوسائد[12] (المخدّات)، والشملة[13] (الحزام)، والبراويز[14]، وغيرها، ويلاحظ أنّ التطريز برسوماته وأنواعه قد خضع لبعض التغيّرات مع مرور الزمن، فقد امتاز –على سبيل المثال– القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين باحتوائه على رسومات تطريزية هندسية الشكل في المقام الأول، أمّا في الثلاثينيات من القرن العشرين فقد ظهرت مؤثرات جديدة غيّرت في خصوصية التطريز التقليدي، مثل خيطان الحرير المصنعة في أوروبا –أهمها خيوط الدمسة (DMC) الفرنسية– التي صاحبتها الكتيّبات الخاصّة بالتطريز الغربي، حيث وجدت طريقها إلى الأسواق الفلسطينية، فتسرّبت الرسومات الغربية، مثل الأزهار، والطيور، والحيوانات إلى أثواب النساء التقليدية، وقد بان ذلك جليّا في الخمسينيات واستمرّ إلى يومنا هذا (قعوار وناصر، 1992).

ولقد صوّرت امرأة القرية الفلسطينية حياتها على ثوبها، ولبست تلك الحياة في أحوالها المختلفة، كأنها أغنيات وأناشيد صاغتها بالألوان، وطرّزتها بالخيوط، فأرتنا بفنّها الراحة والعناء، والرخاء والشدة (قعوار، 2010). واحتوت الأثواب الفلسطينية على تنوّع كبير، كتصوير أوراق الأشجار، وبتلات الورود، وأجنحة العصافير. ولشعب متجذر ضارب في عمق التاريخ أساطير حاضرة تأبى الاندثار، ظهرت بوحدات زخرفية كالآلهة الكنعانية القديمة، واتّضح ذلك من خلال الزخارف الهندسية، كالنجمة ذات الثمانية أضلاع، التي كانت ترمز إلى الإله (فينوس[15])، أما الطلاسم، والتمائم الكنعانية كالمثلث والمربع فقد أخذت موقع الصدر والذيول في الثوب (أمين، 2009)، كما ظهرت الطقوس القديمة على شكل رسومات للنباتات، والحيوانات، والنجوم، والأشكال، والصور على الجدران والآنية والأدوات المختلفة، ولم يكن اللباس والتطريز في منأى عن ذلك كله، حيث تجسّد التطريز على الأقمشة المختلفة ابتداء، ثمّ ظهر على الزيّ المطرّز. ولقد رأينا هذه المعتقدات بطلاسم الكمّ، والقبّة، والذيال التي تلتفّ حول فتحات الثوب منعا ووقاية للابسها من دخول الأرواح الشريرة من خلال تلك الفتحات للجسد والروح وفقا للميثولوجيا الكنعانية (جرادات، 2011).

ومن ناحية أخرى فقد كان الثوب الفلاحي المطرّز إلى بدايات القرن العشرين يطرّز بكثافة وغزارة في البدنين الأمامي والخلفي حتى لا يكاد يبان فيه أي فراغ، ومن أنواع هذه الثياب المَسْتر، والفتوحي، والملقة، والدَّجني وغيرها، وبعد نكبة (1948) وما تبعها من تغيّر في الحياة والعمل أخذت كثافة التطريز على الثوب الفلاحي للمرأة تقل تدريجياً، وخاصة في مناطق البنايق والبدن والذيال (الرَّدفة)، وأصبح ثوب العروق هو الثوب السائد بين النساء في أغلب المناطق، وذلك لقلة كلفته المادية، وقلة الوقت المستنفد بتطريزه، إلا أنه لم يفقد أصالته من حيث هيكله العامّ، ومطرّزاته. وينوّه هنا أنّ ثوب العروق كان موجوداً قبل سنة (1948)، فلو أمعنا النظر بالكم الهائل من الصور الفوتوغرافية الملتقطة قبل النكبة، لتأكد لنا وبكل وضوح وجود ثوب العروق في مشاهد الحياة اليومية للمرأة في فلسطين.

أجزاء الثوب

إنّ قصّ (تفصيل) الثوب هو أول عمل تقوم به المرأة من أجل صناعته، وتعتمد الفروق في تفصيل الثوب وفي هيكله العام على عوامل عديدة، فقد تكون الفروق ناتجة بين منطقتين جغرافيتين مختلفتين، أو بين جيلين في القرية الواحدة، أو لارتباطه بثقافة اجتماعية تتصل بخصوصية ما، كعمر المرأة مثلا، حيث يفصّل ثوب الفتاة الشابة أو المقبلة على الزواج ضيقا حول الخصر والصدر، وعلى العكس من ذلك يفصل فضفاضاً للكبار والعجائز، لكنّ هذه الفروق لا تؤثر في الهيكل العام بصورة إجمالية. ويلزم عادة لثوب المرأة ستة أذرع من قماش (أبو عرض) أي ما كان عرضه (68 سم)، وثلاثة أذرع من قماش (أبو عرضين)، أي ما كان عرضه (136 سم)، ولكن لا بدّ من قصّ القماش من قبل امرأة مختصة في مجال الخياطة، حيث يقصّ القماش إلى القطع الآتية:

البدنان: وهما البدن الأمامي والخلفي، وهما متساويان في الطول والعرض، إذ يبلغ طول كلّ بدن طول المرأة من كتفها إلى قدميها، مع إضافة حوالي (6 سم) لثني القماش من الأسفل والأعلى عند الخياطة، أمّا عرض البدن فيكون بعرض الكتفين، مع إضافة القليل لثني القماش عند جمعه بالمناجل.

البنايق: مفردها بنيقة، وتسمّى أيضا «الشقيقة» وعددها اثنتان، أو أربع، أو ثمان، أمّا طول البنيقة فهو طول المرأة من أسفل الثوب إلى الإبط أو أقل بحوالي «شِبر»، وعرضها متفاوت على حسب رغبة المرأة في جعل الثوب واسعا، وهو ما يغلب على العجائز، أو ضيقا ويسمّى (مْكَسَّم) وهو للفتيات الشابّات، فيكون ضيقا متناسبا مع جسم الفتاة.

القبّة: قطعة مستطيلة طولها تقريبا (60 سم) وعرضها (35 سم) وهو الحجم المتوسّط للمرأة، قد يزيد أو ينقص. وتمتد القبة من أول الصدر إلى ما وراء الكتفين من الخلف، وتخاط فوق البدن الأمامي، ويحفر فيها فتحة الرقبة، ويصنع في أحد جانبيها فتحة قد تستعمل لإرضاع الطفل، أو كجيبة (عبٍّ الثوب) في بعض الأوقات.

الكمّ: ويقع بنوعين أولهما الكمّ العادي، الذي يحوي على التطريز بأغلب أنواعه، ويقدر عرضه من آخره (فتحة الكمّ) بحوالي

(15 سم)، وثانيهما الكمّ المردَّن (أبو ردان)، الذي يتراوح عرضه في آخره بين (45 و 70 سم).

توزع المطرّزات ودلائلها

إنّ الاختلاف في كيفية غَرْز الإبرة ينتج القطب، والاختلاف في كيفية تنظيم القطب ينتج المطرّزات، والاختلاف في توزيع وتنظيم المطرّزات ينتج مجموعة من الثياب المختلفة بالشكل والتسمية. وقد امتازت قرى الوسط والجنوب الفلسطيني بنوعين رئيسين من الثياب هما: ثوب العروق وثوب المناجل، وقد توزّع التطريز فيهما على الأجزاء الآتية: القبّة، البدنان، البنايق، الذيال (الرَّدفة)، الكمّان.

والمتأمل يجد في المطرّزات المبثوثة على الثوب التقليدي خصوصية تنفرد بها أجزاؤه، وترسل من خلالها رسائل ودلائل للناظر من حولها، بل إنها تشكل قاموسا من المعاني، والأفكار لا يدركها الكثير من الناس، فالنسوة حين يقدمن على رسم وتزيين الكمّين والساقين (البدن) بألوان زاهية متمايزة من خيوط التطريز، تدلّ الناظر لمواضع الأنوثة وخريطة الجسد المحتفى بجماله من غير خجل أو ابتذال، معلنة عن الرغبة بالزواج تارة، أو عن الحزن والحداد تارة أخرى، أو عن الغنى أو الفقر أيضا بما تحتويه من كثافة التطريز أو قلته. أمّا القبّة موضع الأنوثة الصارخ، والخصوبة عند المرأة فقد كانت مطرّزاتها الأكثر كثافة، وتنوّعا بوحداتها التطريزية، وألوانها، ومواضيعها، فنرى فيها الأزهار، والطيور، والأقواس، والعروق، والأشكال الهندسية كالأقمار، ونرى النفانيف التي تلتفّ حولها، ونرى فيها أيضا جيب الرضيع المحبوك بالخيوط، وجيب آخر يسمّى (عبّ الثوب) تخبّئ فيه المرأة أشياءها، وكذلك تحوي القبة خيوط الجدائل (القيطان) التي تتدلّى من أعلى فتحة الرقبة. وعلى عكس القبة نجد الظهر خاليا من التطريز إلا ما كان من التسقيطة، فالظهر ليس موطنا لجمال المرأة، كما أنّه مغطّى بغطاء الرأس كالغدفة، أو الشاشة، أو الشنبر، وهذا الغطاء يخفي الظهر كاملا وصولا لما أسفل الخصر مغطيا نصف الفخذين أو أكثر أحيانا. أمّا ما يقع على الكتف فوق القبة فيطرّز بوحدات زخرفية أغلبها من الطيور، حيث يتقابل الطيران مع بعضهما بعضا كأنّهما يتهامسان ويتناجيان بإيحاء للعلاقة الحميمية بين الزوجين، وأبرز هذه الطيور ما كان ضمن بيئة القرويّ الفلسطيني كالدجاج، والعصافير، والحمائم. أما الذيال وهي ما يقع أسفل الثوب فقد طرّزت بكثافة لتمنح الثوب ثقلا؛ كي لا يعبث به الريح فيرتفع كاشفاً عما تحته، وذلك حياء وعفة من المرأة. كما أنّ لهذه المطرّزات في بعض المناطق دلائل ورسائل سرية لا يفكّ رموزها إلا أهل تلك المنطقة، فهي تخبر الناظر بذكاء عن حالة المرأة الاجتماعية من عزوبية، أو زواج، أو ترمّل دون أيّ إحراج بسؤال أو حديث (قعوار وناصر، 1992).

وأخيرا فخصوصية التطريز حول فتحات الثوب متمثلة بالكمّين والذيال وفتحة الرقبة (العبّ)، وما لحق بها من حبكة الكمّين وفتحة الرقبة فقد عزاها جرادات (2011) إلى أثر أسطوري وثنيّ قديم نابع من اعتقاد شعبي، بأنّ الأرواح الشريرة يمكن أن تتسلل من خلال الفتحات الموجودة في لباس الإنسان، لذا لجأت المرأة الفلسطينية إلى تطريز فتحات ونهايات الثوب بطلاسم وخيوط تحميها من تلك الأرواح.

الأجيال التي تأثرت مطرّزات أثوابها بالأحداث السياسية

عند الحديث عن الأجيال الفلسطينية التي ارتدت الثوب المطرّز، في فترة البحث الممتدّة بين عامي (1900 – 2000)، فإنّنا نستطيع أن نجملها بخمسة أجيال، على النحو الآتي:

الجيل الأول: يمثل النسوة اللاتي ولدن بين عامي (1900 – 1915) تقريبا، وقد هجّر منهنّ البعض وأصبحن لاجئات داخل وخارج الوطن، وقد لبس هذا الجيل من النسوة الثوب المطرّز كثوب اعتيادي طوال اليوم، ولم يلبس غيره بمناسبة أو عمل، وقد اعتمدنه كأسلوب حياة، ونرى في هذا الجيل تمسّكه بالثوب المطرّز، وعدم تأثره بأيّ عامل يحدّ أو يغير من لبسه الموروث، ويعدّ الثوب المطرّز في هذا الجيل امتداداً طبيعياً لما سبقه، وهو الأكثر أصالة وحفاظا لموروث القرية الأصل للنسوة اللاتي أصبحن في الشتات. وقد لازمه أيضاً غطاء الرأس وما يحتويه بكلّ تفاصيله (وقاة، عراقية، قدلة16، شنبر17، غدفة، ملاية).

الجيل الثاني: يمثل من ولدن بين عامي (1920 – 1930) تقريبا، وهنّ بنات الجيل الأول الذي خرج لاجئا من قراه، حيث لبست نسوة هذا الجيل الثوب المطرّز واعتمدنه كثوب يومي دائم كالجيل السابق، إلا أنّهنّ اكتفين بلباس «الغدفة» غطاء للرأس، وقد ندر رؤية الشنبر والملاية في هذا الجيل، وبذلك فقدت الوقاة، والعراقية، والقدلة، والشنبر، والملاية من الزيّ التقليدي ابتداء من هذا الجيل، كما أنّ هذا الجيل هو الأخير الذي لبس ثوب «أبو ردان» حيث فقد في الجيل الثالث.

الجيل الثالث: يمثل النسوة اللاتي ولدن بين عامي (1930 – 1945) تقريبا، وفي هذا الجيل بدأ التحوّل والتغيّر يعبّر عن واقع جديد، فقد لبست النسوة فيه الثوب المطرّز ابتداء، إلى أن شارفن للعشرينيات من أعمارهن، وبعدها لم يعد الثوب المطرّز ثوب الحياة اليومية، بل اعتمدت الكثير من النسوة على الثياب الجاهزة التي تباع في الأسواق، وواكبن الموضة والألبسة الحديثة مثل التنّورة والفستان، والثياب المفصّلة عند الخيّاطة، واقتصرن بلباس الثوب على الزيارات، والأعياد، والأعراس، والمناسبات المختلفة.

الجيل الرابع: يمثل النسوة اللاتي ولدن بعد عام (1950) تقريباً، وهنا كان التحوّل الجذري في اللباس المطرّز، فلم يلبس الثوب بتاتاً، واستعيض عنه باللباس الجاهز الذي في الأسواق، ومواكبة الموضة كالفستان والتنورة، ومنها تفصيل ما يسمّى «مَكْسي»، وهو فستان طويل. كما لمسنا تأثر هذا الجيل بالصحوة الإسلامية، متمثلة بالحركة الإخوانية أولا، والسلفية فيما بعد، فقد غزا الأسواق في مطلع الثمانينيات من القرن العشرين الجلباب ذو المسحة الإسلامية، المتوافق مع شروط اللباس الإسلامي، حيث واكب ذلك ترك المطرّزات من الملابس، أخذا ببعض الفتاوى التي تمنع لبس المطرّز من الثياب كونها تندرج تحت (المزركش، والمنقّش، والمزخرف، والمزيّن) الذي يحرم لباسه بحسب الفتاوى. إلا أنّه يجب التنويه هنا أنّ مسار التطريز في هذ الجيل نحى منحى آخر، فقد طرّزت مطرّزات عديدة من غير الثوب، فأبدعت المرأة تطريز الأشكال المعلقة على الجدران، والمفارش، والحقائب، والتذكارات، والمناظر الكثيرة المتعدّدة الموزّعة في أطراف البيت هنا وهناك.

الجيل الخامس: يمثل النسوة اللاتي ولدن في سبعينيات القرن الماضي وما بعده، وقد تمسّك هذا الجيل بالثوب كأداة للمقاومة في بحثه عن هويته الفلسطينية، وفي كلّ ما يوقظ فيه

حبّه العارم وحنينه لأرضه وشعبه، فقد عصفت في هذا الجيل أحداث كبيرة كاجتياح لبنان، وانتفاضة الحجارة، ومعاهدة أوسلو، ومجزرة الحرم الإبراهيمي، وغيرها، فارتدى الثوب المطرّز والكوفية الفلسطينية (البيضاء والسوداء) للرمزية الوطنية لهما في الأعراس والأفراح، وكذلك في الندوات، والأمسيات، والمسيرات، والمحافل المحلية والدولية، ليبقى بذلك الثوب نابضا حيّا عبر الأجيال جميعها متلوّنا متماهيا مع تغيّر أسلوب ونمط الحياة.

واستناداً للتوضيح السابق فإنّ الجيل الأول قد تأثر بالانتداب البريطاني، والثورة الفلسطينية الكبرى، أمّا الجيل الثاني فقد تأثر بهجرة الصهاينة إلى فلسطين، والنكبة، وزيارة هامرشولد لفلسطين ثم موته، وتأثر الجيل الثالث بحرب أكتوبر، وزيارة الرئيس أنور السادات «لإسرائيل»، واتفاقية كامب ديفيد، وأخيراً فقد تأثر الجيل الرابع وبشكل محدود والجيل الخامس بشكل أوسع بانتفاضة الحجارة، فارتدت فيهما النسوة أشهر ثوب تأثر بالأحداث السياسية، بل ما كان نتاجا خالصا لها وهو «ثوب الانتفاضة» بكل ما حواه من مكونات.

المطرّزات الموروثة

إنّ التوزيع العام للمطرّزات على ثياب المرأة الفلسطينية المعاصرة إنّما هو امتداد للتوزيع الزخرفي الكنعاني، وقد احتوى التطريز على وحدات زخرفية موروثة ومتنوّعة، فمنها هندسي كالمثلث، والمربّع، ونباتي مثل الأشجار، والأزهار، والبتلات، وحيواني مثل الطيور، وهي خالية من الأشكال الآدمية والحيوانية على الأغلب (المزين، 1981)، وهذه المطرّزات إمّا صغيرة وبسيطة، أو كبيرة ومعقدة، ومعظم المطرّزات مبنية على نظام التماثل، أي أنّ نصفها يتطابق مع النصف الآخر، ما عدا تلك المبنية على أساس فردي مثل الطيور والأزهار والحيوانات (علقم ومنصور، 1989). وللمتأمّل في المطرّزات على الثوب الفلسطيني يجد بعض المطرّزات تتكرّر في الثوب الواحد في أجزاء مختلفة، وأبرز المطرّزات المنتشرة في جغرافية فلسطين أوردها المزيّن (1981):

المثلث: شكل قديم ظهر لدى أجدادنا الكنعانيين في أريحا[18]، وكانوا يعتقدون بأنّه يحميهم من القوى الشريرة والحسد، ويعرف باسم (الحجاب)، ويظهر بأشكال متقابلة يعلوه أشجار سرو، ويكثر استخدامه حول الكمّ والذيال (الردفة) على أسفل البدن الخلفي، وقد زخرفت المرأة المبدعة هذه المثلثات بأشكال أخرى نتج عنها عروق مختلفة أبرزها عرق السرو، ومفتاح الخليل، والدرج، والحجابات.

المربع: ظهر هذا الشكل على الأزياء الشعبية الكنعانية حوالي (1900 ق.م)، ويظهر في معظم الثياب ويتركّز وجوده على الصدر؛ إذ تحصر في داخله الزخارف (الأقمار).

الأزهار والورود والطيور: للورود والأزهار أشكال عديدة ظهرت على الثياب الشعبية الفلسطينية، وظهرت في مناطق مختلفة في فلسطين مثل عرق الحنّون، وعين البقرة، ومنها أنموذج يستخدم فقط خلف الثوب وقد ظهر في ثوب الخليل ورام الله والرملة، ويعرف بالزهرة المربّعة أو باسم خيمة الباشا، كما ظهرت الطيور بأشكالها المتعدّدة مثل الدجاجة والديك والعصافير. يضيف أيضا الباحث أبو جبين (2012) فيما يخصّ الأزهار والطيور بأنّ الكنعانيين القدماء اهتموا بها، عندما ربطوا بينها وبين المواسم الزراعية الخاصّة بهم، وقد بالغوا في استخدام زهرة الحنّون (شقائق النعمان)، التي اعتبروها مثالا هامّا لفترة الخصب والنماء في فصل الربيع. أمّا استخدام الطيور في فنّ التطريز، فقد برع الكنعانيون فيه لما له من دلالة على السلام الذي كان رمزا للحياة القروية لدى الإنسان الكنعاني القديم، خاصّة في منطقة بيسان.

أمّا المطرزات والرسوم التفصيلية فتكاد لا تحصى، منها: الأمشاط، سكّة الحديد، الدرج، السلّم، فلقات الصابون، النخل العالي، عناقيد العنب، التفاح، السنابل، قواوير الورد، قدور الفاكهة، البندورة، الخبيزة، الزهور، الورد، سنان الشايب، مخدّة العزّابي، شيخ مشقلب، شبابيك عكّا، علب الكبريت، المكحلة، الحية، العربيد، العلقة، شجرة العمدان، القمر المريّش، الأقمار، قمر بيت لحم، الفنانير، القلايد، الريش، الفاكهة، القرنفل، الحلوى، مفتاح الخليل، وغيرها (أبو جبين، 2012).

المطرّزات المستحدثة

تعدّ القطبة الفلاحية المصلّبة أهمّ القطب في التطريز الفلسطيني، حيث أنّها لازمت فنّ التطريز الفلسطيني عند الكنعانيين منذ القدم، ولا يكاد يخلو ثوب فلسطيني من هذه القطبة باستثناء بعض الثياب كثوب «التحريرة» المنتشر في بيت لحم (أمين، 2009)، وقرى بيت جالا وبيت ساحور ولفتا وسلوان وأبو ديس من قضاء القدس أيضا. وقد أثرت الأحداث السياسية في مطرّزات ثوب القطبة الفلاحية فقط، ولم تتأثر ثياب التحريرة والطارة والماكينة بذلك. حيث وقع تأثير الأحداث السياسية على الثوب المطرز بضربين الأول منهما تمثل بإنتاج مطرّزات إبداعية معاصرة جديدة لم تكن متوارثة عبر الأجيال، وهذه المطرّزات يمكن تمييزها باحتوائها على رموز وطنية كعلم وخريطة فلسطين، وعبارات تدل على ذلك مثل كلمة فلسطين باللغتين العربية والانجليزية، أو عبارة «عيدنا بتحريرنا»، أو «القدس لنا»، أو «القدس حرة»، وكذلك على طير طرّز بألوان العلم، أو باحتوائها على رموز المقاومة كالبندقية وغيرها. أما الضرب الثاني فكان عبر تغيير أسماء مطرّزات موروثة إلى أسماء جديدة ذات بعد سياسي، أي أنّ التغيير حدث للاسم فقط وليس للمطرّزة، مثل عرق بيغن والسادات، والصاروخ، وهامرشولد، وخط بارليف، وقبور اليهود، وغيرها، وسيأتي تفصيلها لاحقا.

التركيب الديموغرافي والاجتماعي في فلسطين

لأول مرة في تاريخ فلسطين الحديث جرى تعداد للسكان في عام (1922)، حيث بين هذا التعداد الوضع الديموغرافي للسكان، وقد قدّر عدد سكان فلسطين حينها بحوالي (752) ألفا، موزعين كالآتي: (589) ألفا من المسلمين، و(83) ألفا من اليهود، و(71) ألفا من المسيحيين و(8) آلاف آخرين. علما أنّ عدد اليهود في فلسطين بلغ عام (1837) نحو (1500) نسمة فقط، ثم بدأت أعداد اليهود بازدياد متسارع بسبب الهجرات اليهودية الصهيونية فأصبح عددهم عام (1840) نحو (10) آلاف نسمة، وبلغ (22) ألفا عام (1881)، وزاد عن (168) ألفا عام (1914)، ليصل عدد المهاجرين سنة (1948) نحو (483) ألفا. كما أنّ عدد المسيحيين قد تزايد في فلسطين أيضا نتيجة قدوم بعض الجاليات المسيحية الأوروبية حيث ارتفعت نسبة المسيحيين من (10 %) عام (1850) لتصل إلى (16 %) عام (1914).

وعند العودة لتعداد اليهود في فلسطين عام (1837) حيث بلغ (1500) نسمة، يتبين لنا وبوضوح زيف وكذب ادعاء اليهود بنسبة التطريز الفلسطيني للإرث اليهودي، فكيف ذلك والتطريز منتشر في أغلب قرى فلسطين التي يقطنها العرب الفلسطينيون؟

أما فيما يتعلق بالتركيب الاجتماعي للسكان العرب وتوزيعهم على الريف والحضر، فقد قدرت نسبة الريف (القرى والبدو) بنحو (73 %) من عدد السكان، والحضر (27 %) في عام (1922). وقد ارتكزت الحياة الاقتصادية على الزراعة بشكل رئيس، وكان الإنتاج الصناعي هامشيا ذا صبغة زراعية موجها نحو الاستهلاك المحلي، وكانت الصناعة تمارس في البيوت والورش الصغيرة.

وتجدر الإشارة أنّ التركيب الاجتماعي لسكان فلسطين تميز بالتنوع والتداخل معا بسبب تفاعل الطابع العشائري والديني والعرقي. وكان لهذه المؤثرات أثر كبير في الانتماء الجماعي (القبلي والعائلي) أكثر من الانتماء إلى الطبقة الاجتماعية (عليا، وسطى، فقيرة)، وتجلّى ذلك بظهور النزاع بين اليمنيين والقيسيين لفترة طويلة. أما الفروق بين الأغنياء والفقراء فقد كانت مميزة وواضحة (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج1، 1990).

أما توزع الفلسطينيين في عام (2002) الذي بلغ عدده حوالي (9،5) مليون نسمة، فكان على ثلاثة تقسيمات جغرافية، كما بينها صالح (2004):

أولا: في فلسطين المحتلة سنة (1948) بلغ نحو (1،2) مليون نسمة، أي ما نسبته (13 %).

ثانيا: في فلسطين المحتلة سنة (1967) بما فيها القدس الشرقية بلغ نحو (3،5) مليون نسمة، أي ما نسبته (36 %).

ثالثا: الفلسطينيون خارج فلسطين بلغ نحو (4،8) مليون نسمة، أي ما نسبته (51 %).

أبرز الأحداث السياسية التي أثرت في مطرّزات الثوب الفلسطيني عاش الفلسطينيون في ظل الدولة العثمانية منذ عام (1516) إلى أن قدم الحكم العسكري البريطاني سنة (1918) والذي كان بداية لتحقيق بنود الصفقة بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني المتمثلة بوعد بلفور لإرساء الوطن القومي اليهودي الذي لم يكن يعني لدى الصهاينة سوى الدولة اليهودية، وإلى حين إتمام المصادقة دوليا على اقتسام الحلفاء للأقطار العربية التي كانت تابعة للدولة العثمانية في (1923) وضعت بريطانيا كل جهودها لتهويد فلسطين (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، 1990). ثم توالت بعدها الأحداث السياسية نتيجة لزرع «إسرائيل» في خاصرة الوطن العربي. وإليك أهم هذه الأحداث السياسية، أوردها صالح (2004):

الانتداب البريطاني: أتم البريطانيون احتلال فلسطين في (1918)، ومنذ هذا الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، ثم وفرت بريطانيا لنفسها غطاء دوليا باستصدار قرار من عصبة الأمم في (1922) بانتدابها على فلسطين. ومنذ اليوم الأول للحكم البريطاني عمل البريطانيون على تحقيق أطماع الحركة الصهيونية، ولم يخف ذلك على العرب طويلا حيث تكشف المخطط بتهويد فلسطين من خلال الهجرة اليهودية وبناء المستوطنات والمؤسسات اليهودية، لتبدأ بعدها ظهور الحركة الوطنية الفلسطينية، والمقاومة ضد البريطانيين والصهاينة على حد سواء، وكان أبرز محطاتها: انتفاضة موسم النبي موسى في القدس (1920)، وانتفاضة يافا (1921)، وثورة البراق (1929)، وثورة الكف الأخضر (1930)، وانتفاضة أكتوبر (1933)، والثورة الفلسطينية الكبرى (1936 – 1939).

حرب 1948: يعد الاحتلال «الإسرائيلي» لفلسطين في سنة (1948) الحدث السياسي الأهم، حيث مثلت هذه النكبة أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي الحديث؛ إذ إنها الحرب التي أودت إلى هزيمة العرب وسقوط (77 %) من أرض فلسطين تحت الاحتلال «الإسرائيلي» وإنشاء كيانه عليها، وتشريد (800 ألف) فلسطيني من أرضه ودياره أي ما نسبته (60 %) من الشعب الفلسطيني.

حرب 1967: لم يكن الكيان «الإسرائيلي» سعيدا بمساحة الأرض التي اقتطعها من فلسطين في حرب (1948)، وكان يرغب في المزيد من التوسع لفتح باب الهجرة لليهود ولتوسعة الاستيطان، وكان يفتقد الشعور بالأمان في حدوده مع البلدان العربية، ويتخوف من تهديد سوريا ومصر له، وإنشاء منظمة التحرير الفلسطينية عام (1964) وبدء عملياتها ضد العدو «الإسرائيلي»، وغيرها من الأسباب سارع من بدء «إسرائيل» الحرب في (1967) على جبهات مصر وسوريا والأردن، وقد كان من نتائج هذه الحرب هزيمة الجيوش المصرية والسورية والأردنية، وضياع كامل فلسطين تحت الاحتلال «الإسرائيلي»، وتشريد نحو (330) ألف فلسطيني.

حرب أكتوبر 1973: شكلت القيادتان السياسيتان المصرية والسورية مجلسا أعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية المشتركة، وبدءا الهجوم على الكيان «الإسرائيلي» في عام (1973)، وقد حقق الهجوم انتصارات على الجبهتين المصرية والسورية، ومن نتائج هذه الحرب انسحاب الكيان «الإسرائيلي» من جيب سعسع، ومدينة القنيطرة وما حولها التي احتلت في سنة (1967)، كما انسحبت إلى شرقي قناة السويس.

الانتفاضة المباركة 1987: وسميت انتفاضة الحجارة أيضا، لأنّ الحجارة كانت أداة الهجوم والدفاع التي استخدمها الفلسطينيون ضد عناصر الجيش «الإسرائيلي»، وقد انطلقت عام (1987) إثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دهس متعمد من صهيوني، واستمرت الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات والمظاهرات والمقاطعة، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات إلى أن هدأت وتوقفت في سنة (1993) بعد اتفاقية أوسلو. وقدّر بعد نهاية الانتفاضة أنّ (1540) فلسطينيا استشهدوا، وعشرات الآلاف بين جريح ومعتقل.

أثر الاحتلال (الإسرائيلي) في مطرّزات الثوب الفلسطيني

يعد الاحتلال الصهيوني[19] الحدث السياسي الأهم الذي أثر في مطرّزات الثوب الفلسطيني بصفة مباشرة وغير مباشرة، فقد تعرض الثوب الفلسطيني إلى عمليات انتحال وتهويد وطمس على أيدي الاحتلال «الإسرائيلي» بأساليب متنوعة منذ النكبة (1948) إلى اليوم، كجمع المطرزات وأرشفتها ثم عرضها في المتاحف والأماكن العامة، والمعارض المتنقلة في عواصم عالمية على أنها تراث «إسرائيلي»، والعمل على تشويه المطرّزات بإدخال

وحدات زخرفية غريبة عن التطريز الأصيل والموروث، وإقامة دور الأزياء والمهرجانات في عواصم أوروبية وأمريكية وعرض الزي الشعبي الفلسطيني بصفته زيا صهيونيا؛ كمعرض زوجة «موشيه ديان» في البيت الأبيض الأمريكي وقد ظهرت فيه ترتدي ثوب عرب التعامرة، وكذلك إصدار كتب ووثائق حول التراث الفلسطيني الكنعاني ونشره على أنه تراث صهيوني وتوزيعه على مسافري شركة العال «الإسرائيلية» واعتماد الثوب المطرز الفلسطيني زيا رسميا لمضيفات هذه الشركة أيضا (جرادات، 2011). ويرى عبد اللطيف (2012) أنّ هذه الحملة "الإسرائيلية" الشرسة كانت إحدى الدوافع الأساسية في الصحوة والاهتمام بتراثنا وحمايته وتكريس هويته وذاته كعنصر للهوية والوجود. وهذا ما ذهب إليه القس منصور حيث وضح أنّ سكان فلسطين قد حافظوا منذ الكنعانيين إلى أواخر القرن الثامن عشر على ارتداء الأزياء المطرّزة التقليدية، ومع أواخر القرن الثامن عشر أخذوا يتخلون عن الملابس التقليدية، ففي الربع الأول من هذا القرن بدأت تحلّ الثياب الإفرنجية عموما محل الملابس العربية، لكنّ الشعب الفلسطيني استدرك ذلك بعد عدوان (1967)، فأقبلت النساء حتى المدنيات منهنّ على ارتداء الثوب الوطني الفلسطيني (المطرّز) والاعتزاز به والترويج له ضمن حركة عامّة لاستعادة الثقة بالذات وبالتراث والهوية العربية الفلسطينية في مختلف تعبيراتها وتجلياتها، **وعلى الرغم من أنّ الاستفاقة لم تتعدّ حدود الاحتفال الفولكلوري والحثّ على البحث العلمي والتبويب والتصنيف فإنّ أمرين قد ظهرا في هذه الحركة**:

- **أولهما**: أنّ الشعب حين يحسّ أنّه أمام تحدّي المصير يعود إلى مكوّنات شخصيته التاريخية والحضارية ليستعيد الثقة باحتمالات بقائه في مقارعة عوامل الزوال والاضمحلال.
- **ثانيهما**: أنّ استفاقة الشعب العربي في فلسطين على تراثه أظهرت خيبة أمل الشعب في كلّ التفسيرات التاريخية البريئة أو المغرضة التي أوهمته أنّ التخلّي عن تراثه هو طريقه إلى القوّة والنهوض ودخول العصر (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج4، 1990).

ومن ناحية أخرى فقد كان لتشريد الفلسطينيين في مخيمات اللجوء في الداخل الفلسطيني وفي دول الطوق أثرا على مطرّزات الثوب، فقد كانت النسوة داخل القرية الواحدة تستعير ثوبا من جارتها أو إحدى أقاربها لتنسخ منه المطرّزات على الثوب الجديد، ولذلك كانت الخيارات في المطرّزات قليلة والتشابه بينها كبير، وفجأة تجمعت النسوة من قرى عديدة وأماكن متنوعة في مخيم واحد ضيق تعرف النسوة فيه الجميع، فباتت المطرّزات الجديدة متاحة والخيارات عديدة وسهلة المنال، ولهذه الأسباب ظهرت ثيابا تحمل مطرّزات متنوعة من أماكن جغرافية متباعدة لتتلاشى بذلك مطرّزات القرية الواحدة الموروثة عبر الأجيال وتظهر ثيابا تحمل مزيجا من المطرزات، وبذلك لم يعد ثوب المرأة يمثّل السفير الخاصّ لقريتها، بل اختلطت الثياب والمطرّزات بألوانها ووحداتها الزخرفية منتجة طابعا جديدا من الثياب المطرزة.

مشكلة الدراسة

تتوضح مشكلة الدراسة من خلال ندرة المطرّزات التي تأثرت بالأحداث السياسية، سواء كان هذا التأثير بإنتاج وحدات زخرفية جديدة، أم من خلال تغيير اسم المطرّزات الموروثة لاسم جديد يتناسب مع الحدث السياسي، ولذلك بثت المطرّزات في الكتب، والمقالات، والمصادر المختلفة؛ ما جعل من جمعها وتبويبها معضلة أمام الباحثين، وكذلك لوقوع بعض الباحثين في مجال التطريز بالالتباس بين ما استحدث من مطرّزات، وما تبدل اسمه فقط؛ ما أوقعهم بالخطأ والوهم، كما أنّ ورود هذه المطرّزات في المصادر قد اقتصر غالبا على ذكر اسمها فقط، دون الوقوف عليها شرحاً، أو إرفاقاً لمطرزاتها، ما أفقد هذه المطرّزات مضمونها الحسي، الذي عليه مدار البحث، والجمع، والتصنيف، والتطريز لاحقا إن أمكن، **ما جعل من تسليط الضوء على هذه المطرّزات حاجة ضرورية في هذا الحقل. وعليه يحاول الباحث الإجابة عن التساؤلين الآتيين**:

◄ **السؤال الأول**: ما هي المطرّزات التي استحدثت في الثوب الفلسطيني تأثراً بالأحداث السياسية، بين عامي (1900 – 2000)؟

◄ **السؤال الثاني**: ما هي المطرّزات التي تغيرت أسماؤها في الثوب الفلسطيني تأثرا بالأحداث السياسية، بين عامي (1900–2000)؟

الدراسات السابقة

يضع الباحث بين يدي القارئ جملة من الدراسات التي تناولت موضوع البحث، مرتبا إياها من الأقدم إلى الأحدث، كما يلي:

قام **العلان (2011)** بدراسة وضح فيها أثر التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني المطرّز، وبين أنّ الشعب الفلسطيني واحد من شعوب الأرض التي عاشت تجربتها الحضارية وخاضت ما لا يمكن تعداده من الصراعات من أجل الدفاع عن مكوناته الثقافية وهويته التي تشكلت عبر السنين، وفي مقدمتها نقوشه ورموز معتقداته التي خلدتها ثياب النساء المطرّزة الموروثة عبر الأجيال المتلاحقة، كما بين تاريخ ودلائل وإشارات المطرّزات المتعددة، حيث أنها تتجدد في كل مرحلة من تاريخ الشعب الفلسطيني بنماذج من التطريز تلائم الحدث؛ فلا غرابة أن نجد لدينا عرق "المندوب السامي" أيام الانتداب البريطاني، وعرق "بيجن والسادات" عقب اتفاقية كامب ديفيد، وغيرها.

وسعت دراسة **جرادات (2011)** على إحياء جانب مهم من التراث الفلسطيني، وهو المطرّزات والأزياء الشعبية التراثية، لتنميتها والمحافظة عليها؛ إذ وضحت الدراسة أنّ من بين مدلولات التطريز بعد النكبة والنكسة تجسيد البعد الوطني وحنين العودة للمدن والقرى المهدمة. حيث عبّرت المرأة الفلسطينية من خلال المحافظة على تطريز الأمهات والجدات على حرصها الشديد في المدافعة عن الهوية والأرض والتاريخ والشعب، وتجلى هذا في مطرّزة "خريطة فلسطين" التي رمزت للعودة والوطن، كما بينت الدراسة القيمة الاجتماعية للتطريز، كالتعبير عن حالة التشرّد والتشتت التي مرّ بها الشعب الفلسطيني، والتعبير عن الانتماء السياسي والنضالي من خلال ألوان التطريز وزخارفه.

وهدفت دراسة **أبو جبين (2012)** الكشف عن الأزياء الشعبية في جنوب محافظة الخليل، في قرى دورا، والظاهرية، ويطا، والسموع، وما يتبعها من قرى وخرب وأماكن سكنى متفرقة، حيث تتمتع هذه المناطق بزي واحد تقريبا، وقد سلك الباحث المنهج الوصفي

مستعينا بالمصادر المكتوبة، والإلكترونية، والخبرة الشخصية، والمقابلة مع بعض المعمرات من النساء. وخلصت النتائج إلى تشابه الزي التقليدي المطرّز في جنوب الخليل، كما كشفت النتائج أثر الأحداث السياسية في مطرّزات الثوب الفلسطيني كظهور عرق "خط بارليف"، معللا سبب تسميته بهذا الاسم.

كما أجرى **عبد اللطيف (2012)** دراسة هدفت التعريف بالزي الشعبي الفلسطيني، وتوضيح مراحل تطوره التاريخية، ومدى أهميته ودلالاته المختلفة، وطبيعة ونوعية الزخارف والألوان المستخدمة فيه، وما تعكسه من دلالات اجتماعية، واقتصادية، وعمرية، ودينية بين طبقات وشرائح المجتمع الفلسطيني. كما وضحت الدراسة أثر الأحداث والحروب والمآسي والانتفاضات على فن التطريز الفلسطيني وزخارفه وأشكاله، وتجلى ذلك فيما سمّي "ثوب الانتفاضة" الذي ظهر في الخليل بعد انتفاضة الحجارة عام (1987).

وقامت **الكسواني (2013)** بدراسة الأزياء الشعبية للمرأة في محافظة الخليل، كخطوة للحفاظ عليها من خطر تعرضها للهجمة "الإسرائيلية" التي تهدف إلى طمس التراث الفلسطيني العريق، وتهويده، وتهميش الهوية الفلسطينية وإضعافها. وقد كشفت نتائج الدراسة تعدد أشكال تهويد التراث الشعبي الفلسطيني، كان أهمها انتحال الملابس الشعبية الفلسطينية، والادعاء بصهيونيتها، كما قدمت بنهاية الدراسة مجموعة من التوصيات كان أبرزها ضرورة الحفاظ على تراثنا الشعبي، والتأكيد على إبرازه، والتمسك بالملابس الشعبية بصفتها جزءا من الهوية الوطنية الفلسطينية.

تعقيب على الدراسات

أظهرت الدراسات السابقة تعددا في خصائص التطريز، وميزاته، ومدلولاته، وأصوله، ففي دراسة أبو جبين (2012) وضحت جوانب الأزياء الشعبية في جنوب محافظة الخليل، وفي دراسة عبد اللطيف (2012) تناول الزي الفلسطيني المطرّز بشكل عام عبر مراحل تطوره التاريخية، ومدى أهميته، ودلالاته المختلفة، وطبيعة ونوعية الزخارف والألوان المستخدمة فيه، وأثر الأحداث والحروب والمآسي والانتفاضات على فن التطريز الفلسطيني وزخارفه وأشكاله، أما دراسة الكسواني (2013) فقد تناولت الأزياء الشعبية للمرأة في محافظة الخليل، كخطوة للحفاظ عليها من خطر تعرضها للهجمة "الإسرائيلية" التي تهدف إلى طمس التراث الفلسطيني العريق، وتهويده، وتهميش الهوية الفلسطينية وإضعافها، وفي دراسة العلان (2011) وضح أثر التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني المطرز، وبين أنّ الشعب الفلسطيني دافع عن مكوّناته الثقافية وهويته عبر ثياب النساء المطرزة الموروثة عبر الأجيال، كما بين تاريخ ودلائل وإشارات هذه المطرزات، كما أنّ بعض هذه الدراسات تناولت أثر الأحداث السياسية على مطرزات الثوب كدراسة (العلان، 2011)، ودراسة (جرادات، 2011)، ودراسة (أبو جبين، 2012)، ودراسة (عبد اللطيف، 2012). إلا أنه يؤخذ على هذه الدراسات عدم الوقوف على هذه المطرزات التي تأثرت بالأحداث السياسية توضيحا وشرحا وإرفاقا لمطرّزاتها التي وقع عليها التأثير، وهذا ما تتناوله هذه الدراسة، وما يميزها عن غيرها هو أصالة تبيان هذه المطرّزات من جوانب عديدة، كأسمائها، وموضعها، والحدث السياسي المؤثر فيها، وسنة وقوعه، وإرفاق المطرّزة أيضا؛ ما يجعل منها مطرّزات حية نابضة بين أيدي الباحثين والمختصين.

التعريفات الإجرائية

الحدث السياسي: كل حدث سياسي كان له دور في القضية الفلسطينية بين سنتي (1900 – 2000)، وما تبعه من تأثير مباشر أو غير مباشر على الأرض أو الشعب.

المطرّزة: مجموعة القطب التي تُنتج شكلا متفرّدا يسهل تمييزه عن غيره، كالوردة، أو الطير، أو المربع، أو المثلث، وقد يكون بسيطا، أو معقدا.

القطبة الفلاحية: قطبة تأخذ شكل حرف (X) باللغة الإنجليزية، وتسمى أيضا القطبة المصلبة، وتطرّز بخيوط قطنية أشهرها خيوط (DMC) الفرنسية.

حدود الدراسة

الحدود الزمانية: الفترة الممتدة بين عامي (1900 – 2000).

الحدود المكانية: مناطق انتشار الغرزة الفلاحية المصلبة، في وسط وجنوب فلسطين.

الحدود المنهجية: سلك الباحث المنهج التاريخي لمناسبته الدراسة.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة الكشف عن أثر الأحداث السياسية المهمة التي أثرت في مطرّزات الثوب الفلاحي الفلسطيني النسوي، مبينة هذه التغيرات في المطرّزات من حيث اسمها، وموقعها من الثوب، والحدث السياسي المؤثر فيها، وسنة حدوثه. وكذلك شرح التغيرات في المطرّزات بنوعيها الأول الإبداعي لمطرّزات جديدة، والثاني المتمثل بتغيير اسم المطرّزة الموروثة باسم جديد يتناسب والحدث السياسي.

أهمية الدراسة

تأتي أهمية الدراسة من أهمية ومكانة الثوب الفلسطيني النسوي المطرّز محليا؛ لانتشاره الواسع في جغرافية فلسطين، ولارتباطه وجدانيا وماديا بإرث الأمهات والجدات، وعربيا ودوليا أيضا؛ إذ أصبح الثوب المطرّز اللباس الوطني الفلسطيني في المحافل والمناسبات المختلفة، فبات سمة يعبر من خلالها عن القضية الفلسطينية من نواحي عديدة ثقافية، وجغرافية، وسياسية. كما تنبع الأهمية أيضا من خلال لفت أنظار المهتمين بالتطريز، والمعنيين من الباحثين، والقائمين على المتاحف للإفادة من نتائج الدراسة وتوصياتها، بهدف التطوير والتحسين على هذا الفن.

كما ستساعد الدراسة على فتح المجال أمام الباحثين والمهتمين لإجراء دراسات حول مكونات التطريز الأخرى لدى عينات جديدة من الأثواب، كما تأتي الأهمية أيضا من خلال توضيح تفاعل مطرّزات الثوب مع ما وقع من حوادث مهمة أثرت في القضية الفلسطينية، ومن تناول موضوع لم يطرق من قبل بشكل منفرد بدراسة مستقلة بشكل مفصل وواضح، ومن إرفاق المطرّزات وعدم الاكتفاء بتناول أسمائها فقط؛ ما جعل من مطرّزات هذه الدراسة محسوسة ومفهومة، وبذلك يستطاع الاستفادة منها وتطريزها على

الثوب، أو على غيره بشكل حي ومتيسر في أي وقت.

إجراءات الدراسة

استطاع الباحث خلال عمله الميداني في جمع وتصنيف مطرّزات الثوب الفلاحي التقليدي النسوي، ودراسة ما يتعلق بها أن يقع على مسميات عروق ومطرّزات ذات دلالة سياسية تتعلق بقضية فلسطين الحديثة، فعمد على جمع هذه المطرّزات وتبويبها وتدوين الملاحظات عنها، وذلك من خلال المقابلة الشخصية المباشرة، أو بالعودة للمراجع المهمة في التطريز من كتب ومؤتمرات ومعارض ومقابلات حوارية مع مختصين وخبراء في التطريز الفلسطيني، وبعد جمع ما أمكن جمعه من معلومات ومطرّزات قام الباحث بتفريغ المطرّزات الموجودة على الثياب التي تم استعارتها، أو من صور بعض الثياب الموجودة في مواقع الإنترنت على الورق، حيث اعتمد ورق مكون من خلايا مربعة الشكل بضلع (2 مم) بحيث يمثل كل مربع منها قطبة واحدة، ما وضح المطرّزة وحفظها بشكل يسهل تمييزه ونقله للقماش أيضا.

نتائج الدراسة ومناقشتها

بعد جمع البيانات توضّحت نتائج الدراسة من خلال الإجابة عن تساؤليها، الآتيين:

السؤال الأول: ما هي المطرّزات التي استحدثت في الثوب الفلسطيني تأثرا بالأحداث السياسية، بين عامي (1900 – 2000)؟

وقع تأثير الأحداث السياسية على الثوب المطرّز بضربين الأول منهما تمثل بإنتاج مطرّزات إبداعية معاصرة جديدة لم تكن متوارثة عبر الأجيال، مثل علم وخريطة فلسطين، وقبة الصخرة، والكتابة باللغتين العربية أو الإنجليزية وغيرها، وقد انتشرت هذه المطرّزات بأماكن التطريز على الثوب جميعها (البدن، القبة، الكم، الذيال)، ولم يقع هذا التغيير بشكل شمولي لكافة مطرّزات الثوب إلا لثوب واحد سمّي «ثوب الانتفاضة»، حيث يعدّ هذا الثوب ثوبا منفردا بجميع مطرّزاته التي تمثل رموز المقاومة والوطنية.

ثوب الانتفاضة: ثوب مطرّز بالقطبة الفلاحية المصلبة، حوى على مطرّزات: علم وخريطة فلسطين، وقبة الصخرة، وكلمة فلسطين باللغتين العربية والإنجليزية، وعبارات أخرى مثل: «عيدنا بتحريرنا»، و «القدس لنا»، و «القدس عربية»، و «القدس حرة»، كما حوى على البندقية، وطير ملون بألوان العلم الفلسطيني، وغيرها من الرموز الوطنية الفلسطينية. أمّا فكرة تطريزه فقد ذكرتها قعوار (1992)؛ إذ ظهر في عام (1987) في منطقة الخليل بعد اندلاع انتفاضة الحجارة، ثم انتشر لاحقا في المنطقة، وحينها كان من العسير رفع العلم الفلسطيني في الشوارع لأسباب عديدة على رأسها منع الاحتلال ذلك، فلجأت النسوة لتطريز العلم على الثوب ليكون حاضرا دون عناء رفعه، داخل فلسطين وخارجها، وقد ظهر في الأردن لاحقا؛ إذ شوهد على ثياب الشابّات في عمّان والزرقاء وإربد. ويؤخذ على هذا الثوب بعد تأمل مطرّزاته قلة دقة تطريزه، وعبثية وارتجال المطرّزات فيه، ويعزى ذلك لسرعة تنفيذ فكرته الطارئة مع اندلاع الانتفاضة، وعدم موروث مطرّزاته أيضا، انظر إلى الصور في الملحق رقم (19، 20، 21، 22)، وانظر كذلك إلى الصورتين رقم (13، 14) حيث يظهر فيهما ثوب الانتفاضة، وينوه هنا أنّ هذا الثوب امتاز بقبته المثلثة من الأسفل، كما مر بالأشكال سابقا، وللتوضيح أيضا العودة للشكل رقم (16)، ويعدّ هذا تأثرا بثوب القلادة المنتشر بمنطقة غزة، على نقيض شكل القبات في الثوب التقليدي الموروث بجميع مناطق التطريز وهو المربع، الواضح في الشكلين (17، 18)، أمّا ما تدلى من القبة فكان على الأغلب خريطة فلسطين كما في الشكل (23)، وعلم فلسطين مطرّزا بألوانه كما في الشكل (23).

ومن أجل توضيح المطرّزات المستحدثة التي تأثرت بالأحداث السياسية فقد قام الباحث بإرفاق الجدول (1).

الجدول رقم (1):

المطرزات المستحدثة، وموضعها من الثوب، والحدث السياسي المتعلق بها، وعام الحدث، ورقمها في الملحق، وأهم الملاحظات عليها.

المطرّزة المستحدثة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
حيفا يافا	بدن، قبة، ذيال، كم	الانتداب البريطاني، أو هجرة الصهاينة إلى فلسطين.	1917م، إلى 1947م	–	يمثل الطريق التي كان يسلكها المقاومون الذين يرقبون المهاجرين الصهاينة إلى فلسطين بين المدينتين الساحليتين الفلسطينيتين حيفا ويافا، أو يمثل سكة الحديد التي يموَّل من خلالها البريطانيون بالأسلحة والعتاد العسكري (المزين، 2014).
المرتين	–	–	–	–	بندقية تنسب إلى فريدريك مارتيني (1832–1897)، ذات جودة عالية كانت تستخدم في الحروب والصيد أيضا، وقد طورت واستخدمت في الحرب العالمية الأولى. وقد استخدمها المقاومون الفلسطينيون ضد الإنجليز والصهاينة.
علم فلسطين	بدن، قبة، ذيال، كم	انتفاضة الحجارة	1987	24، 4	يعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة" وقد لون بنفس ألوان علم فلسطين.
خريطة فلسطين	بدن، قبة، ذيال، كم	انتفاضة الحجارة	1987	23، 4	تعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة".
كلمة فلسطين باللغتين العربية، والإنجليزية	بدن، قبة، ذيال، كم	انتفاضة الحجارة	1987	4	تعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة".

المطرّزة المستحدثة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
قبة الصخرة	قبة	انتفاضة الحجارة	1987	11، 12، 27	تعدّ جزءا من "ثوب الانتفاضة"، وقد طرّزت كأقمار بحجمين كبير وصغير، وبأكثر من حجم بشكل منفرد.
رسمة البارودة	قبة	انتفاضة الحجارة	1987	25، 26	"بارودة» كلمة عامية وتعني البندقية، وتعدّ جزءا من «ثوب الانتفاضة».
نفنوف الأعلام	بدن، كم، ذيال	انتفاضة الحجارة	1987	8، 9	يعد جزءا من "ثوب الانتفاضة".

يوضح الجدول أنّ جميع الأحداث السياسية التي أثرت في المطرّزات هي ذات صلة مباشرة باحتلال فلسطين وما تبعه بعد ذلك، وقد وقعت بعد انهيار الدولة العثمانية؛ إذ كان الحدث الأول هو الانتداب البريطاني، والحدث الأخير هو انتفاضة الحجارة، ويبين الجدول أيضا عدم العثور على مطرّزتي «حيفا يافا»، و«المرتين»، أما «رسمة البارودة» فإنها صورة لسلاح كلاشنكوف الروسي الذي انتشر مع ستينيات القرن العشرين وليست هي «المرتين». وإليك مختصرا لهذه الأحداث السياسية وضحها صالح (2004)، مع ما يتعلق بها من مطرّزات:الانتداب البريطاني: احتل البريطانيون القدس سنة (1917)، واحتلوا شرق الأردن وسوريا ولبنان في سنة (1918)، ثم وفرت بريطانيا لنفسها غطاء دوليا باستصدار قرار من عصبة الأمم في عام (1922) لتصبح فلسطين تحت الانتداب البريطاني. وقد أثر هذا الحدث في مطرزتي «حيفا يافا»، و«المرتين».

هجرة اليهود إلى فلسطين: بدأت هجرة اليهود لفلسطين بقوة منذ سنة (1918) أي بعد الاحتلال البريطاني مباشرة، وجرى تضمين وعد بلفور في صك الانتداب البريطاني في سنة (1922)، وزاد عدد المهاجرين اليهود من 55 ألفا (8% من السكان) في سنة (1918) إلى 650 ألفا (31% من السكان) في سنة (1948). وقد أثر هذا الحدث في مطرّزتي «حيفا يافا»، و«المرتين».

الانتفاضة المباركة: وسميت انتفاضة الحجارة أيضا، لأنّ الحجارة كانت أداة الهجوم والدفاع التي استخدمها الفلسطينيون ضد عناصر الجيش «الإسرائيلي»، وقد انطلقت عام (1987) إثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دهس متعمد من «إسرائيلي»، واستمرت الانتفاضة بالمواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات والمظاهرات والمقاطعة، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات إلى أن هدأت وتوقفت سنة (1993) بعد اتفاقية أوسلو. قدّر بعد نهاية الانتفاضة أنّ (1540) فلسطينيا استشهدوا، وعشرات الآلاف بين جريح ومعتقل. وقد أثر هذا الحدث في مطرّزات: «علم فلسطين»، «خريطة فلسطين»، كلمة فلسطين باللغتين العربية والإنجليزية، «قبة الصخرة»، «رسمة البارودة»، «نفنوف الأعلام».

السؤال الثاني: ما هي المطرّزات التي تغيرت أسماؤها في الثوب الفلسطيني تأثرا بالأحداث السياسية، بين عامي (1900–2000)؟

تمتاز المطرّزات الموروثة بعراقة وتنوع كبيرين، وقد استغلت المرأة الفلسطينية ذلك بتغيير بعض أسماء هذه المطرّزات لتتناسب والحدث السياسي الجديد المهم دون المساس ببنية المطرّزات؛ إذ أقدمت على الأغلب بتغيير اسم العروق، ولم تشمل غيرها من المكونات؛ وذلك لأهمية العروق في فن التطريز؛ إذ تعارفت النساء على تسمية الثوب استنادا لأبرز وحدة زخرفية في العرق، فنجد ثوب عرق البطّ والعصفور وبنت السلطان، استنادا لاسم عرق البدن فيه، دون الالتفات لباقي المطرّزات التي تقع على الثوب. ومن أجل توضيح هذه المطرّزات التي غُيرت أسماؤها قام الباحث بإرفاق الجدول (2).

الجدول رقم (2):

المطرزات بأسمائها الموروثة، وأسمائها الجديدة، وموضعها من الثوب، والحدث السياسي المتعلق بها، وعام الحدث، ورقمها في الملحق، وأهم الملاحظات عليها.

الاسم الموروث للمطرّزة	الاسم الجديد للمطرّزة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
–	الملس	بدن، قبة، كم، ذيال	الثورة الفلسطينية الكبرى	1936	–	انتشر في القدس وكان هذا العرق حكراً على النسوة اللاتي اشترك أحد أقربائهن بالثورة، ما جعله محرّضاً سياسياً في تلك الفترة، مشيراً إلى أنّ النسوة كنّ يحرّضن أزواجهن وأبناء عائلاتهن إلى الخروج مع الثوار والمقاتلين الفلسطينيين كي يتفاخرن فيما بينهن ويبدأن بتطريز هذا العرق (المزين، 2014).
قبور	قبور اليهود	بدن، قبة، كم، ذيال	النكبة	1948	7	دلالة على مشاعر الكره نحو الصهاينة، وتمنى الخلاص منهم وموتهم.
وردة الشام، أو قاع فنجان القهوة	دقة الفنجان	بدن	النكبة	1918 إلى 1948	5، 6	يمثل قنابل (الميلز) اليدوية التي كان يستخدمها الثوار ضد الصهاينة.
نثرة العصافير	نقشة هامرشولد	كم	موت هامرشولد، أو زيارة هامرشولد لفلسطين	1961، 1956	10	داغ هامرشولد: سويدي الجنسية، شغل منصب الأمين العام للأمم المتحدة، وكان موقفه عادلا من العدوان الثلاثي على مصر في سنة (1956)، كما كان مساندا للقضية الفلسطينية أيضا، وتوضح ذلك من خلال موقفه من مشروع التقسيم سنة (1947)، وقد لقى مصرعه في حادث تحطم طائرته في الكونغو بشكل غامض، ولتاريخه لم تُعرف الجهة وراء تحطّم الطائرة. أما نقشة هامرشولد

الاسم الموروث للمطرّزة	الاسم الجديد للمطرّزة	الموضع من الثوب	الحدث السياسي	عام الحدث السياسي	الرقم في الملحق	الملاحظات
						فهي رسم لطائرين يحطان على وحدة زخرفية ذات كفي ميزان متقابلين، كرمز لقراره العادل تجاه مشروع تقسيم فلسطين (الهاجري، 2012)، وقيل أنّ زيارة هامرشولد لفلسطين بعد العدوان الثلاثي هي التي أضفت على المطرزة هذا الاسم (سروجي، 2017).
موج البحر	خط بارليف	بدن	حرب أكتوبر	1973	1	صورته متشابكة، ومعقدة، وخياطته صعبة جدا، فكان دلالة على الوضع الراهن المعقد، والصعب للقضية الفلسطينية، ويمثل هذا دليل على تطور هذا الفن ومواكبته للأوضاع التي تمر بها فلسطين (أبو جبين، 2012).
–	بيغن والسادات	بدن	زيارة الرئيس أنور السادات للكيان «الإسرائيلي» ، أو اتفاقية كامب ديفيد	1977، أو 1978	2	مثل هذا التطريز اعتراض الشعب الفلسطيني على زيارة الرئيس أنور السادات للكيان «الإسرائيلي» سنة (1977)، واتفاقية السلام بين مصر والكيان «الإسرائيلي» في كامب ديفيد سنة (1978).
ورد الجوري	الصاروخ	بدن	–	–	3	–

بين الجدول أسماء المطرّزات الموروثة وأسمائها الجديدة، والأحداث السياسية التي كان لها الأثر في مطرّزات الثوب الفلسطيني، كما يبين الجدول عدم العثور على مطرزة «الملس»، والمقصود هنا عرق «الملس» وليس ثوب الملس المشهور في القدس. أما «دقة الفنجان» فوجد لها مطرّزتان الأولى اسمها الموروث «وردة الشام»، والثانية «دقة فنجان القهوة»، وقد وردتا لدى (Skinner & Kawar، 2007)، وكذلك فإنّ الاسم الموروث لعرق "بيغن والسادات" لم يعثر عليه إلا أنّه ورد في صورة لثوب يعود لعام (1870) في منطقة رام الله (Skinner & Kawar، 2007) ما دلّ على عدم استحداثه مؤخرا.ومن أجل توضيح الأحداث السياسية المهمة التي أثرت في المطرّزات يقدم الباحث مختصرا لهذه الأحداث، أوردها صالح (2004)، مع ما يتعلق بها من مطرّزات:

الثورة الفلسطينية الكبرى: هي الثورة الأعظم في تاريخ فلسطين في القرن العشرين، وقد حدثت بين عامي (1936–1939)، وشهدت أطول إضراب يقوم به شعب كامل عبر التاريخ حيث استمر (178) يوما. وتوقفت الثورة نتيجة إعادة احتلال بريطانيا لفلسطين، ونتيجة تنسيقها وتعاونها مع اليهود في فلسطين، وكذلك بسبب حالة الإنهاك والانهيار الاقتصادي التي أصابت شعب فلسطين طيلة ثلاث سنوات ونصف. وقد أثر هذا الحدث في مطرزة "الملس".

النكبة: تمثل هذه الحرب التي جرت سنة (1948) أحد أكبر مآسي التاريخ الفلسطيني والعربي والإسلامي الحديث والمعاصر، إذ إنها الحرب التي أدت إلى سقوط (77%) من أرض فلسطين تحت الاحتلال «الإسرائيلي»، وإنشاء كيانه عليها، وتشريد نحو ثلثي شعب فلسطين. وقد أثر هذا الحدث في مطرزتي «قبور اليهود»، و«دقة الفنجان».

حرب أكتوبر: شكلت القيادتان السياسيتان المصرية والسورية مجلسا أعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية المشتركة، وبدءا الهجوم على الكيان «الإسرائيلي» في عام (1973)، وقد حقق الهجوم انتصارات على الجبهتين المصرية والسورية، ومن نتائج هذه الحرب انسحاب الكيان «الإسرائيلي» من جيب سعسع، ومدينة القنيطرة وما حولها التي احتلت في سنة (1967)، كما انسحبت إلى شرقي قناة السويس. وقد أثر هذا الحدث في مطرزة "خط بارليف».

اتفاقية كامب ديفيد: قام الرئيس المصري أنور السادات بزيارة مفاجئة إلى الكيان «الإسرائيلي» في سنة (1977)، ودعا إلى تسوية سلمية، ثم بدأت المفاوضات بعدها إلى أن نتج عنها توقيع اتفاقية كامب ديفيد في سنة (1978)، بين مصر يمثلها أنور السادات والكيان «الإسرائيلي» يمثله مناحيم بيجن برعاية الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. وقد أثر هذا الحدث في مطرّزة "بيغن والسادات".

خط بارليف: سلسلة من التحصينات الدفاعية كانت تمتد على طول الساحل الشرقي لقناة السويس، وقد بني من قبل الكيان «الإسرائيلي» بعد احتلاله لسيناء في حرب (1967)، وكان الهدف الأساسي من بناء الخط هو تأمين الضفة الشرقية لقناة السويس ومنع عبور أي قوات مصرية إليها، ولكن الجيش المصري تمكن في أكتوبر عام (1973) من عبور قناة السويس واجتياح خط بارليف. وقد أثر هذا الحدث في مطرّزة «خط بارليف».

خاتمة بأهم النتائج

يخلص الباحث مما سبق إلى أنّ المرأة الفلسطينية تأثرت وتفاعلت مع ما جرى حولها من أحداث سياسية مهمة تمس القضية الفلسطينية، وقد عبّرت عن ذلك ببساطة وسهولة من خلال التطريز الفلسطيني، هذا الفن الذي امتازت به، وأبدعته عبر العصور. وتبين أنّ هذه المطرزات الجديدة لم تمس بنية المطرّزات الموروثة للثوب، بل كان تأثيرها محدوداً وضيقاً، إلا من كان في «ثوب الانتفاضة»، فالتطريز فن أصيل له أصوله وقواعده وضوابطه على الثوب، ولذلك لم يكن من السهل هدم كل هذا وبناء بنية من المطرّزات المستحدثة بشكل طارئ، ومن ناحية أخرى فإنّ هذه المطرّزات الجديدة التي أنتجت في ظل الأحداث السياسية استحدثت وفقا لقواعد التطريز الأصيل، وأخذت مواضع المطرّزات على الثوب، وانتظمت ضمن قواعدها وأصولها، كالعروق والقبات والنثرات، وبذلك فقد تماهت هذه المطرّزات الجديدة مع الموروثة وأصبحت جزءا منها، لا يميزه

إلا الباحثون وخبراء التطريز، ناهيك عن المطرّزات التي وسمت بأسماء جديدة بدلا من أسمائها الموروثة؛ إذ لم يقع عليها التغيير في المطرزة واقتصر فيها التغيير بالاسم فقط؛ ما أوقع القارئ بالوهم بأنها مطرّزات جديدة إبداعية ناسبت الحدث السياسي.

وأما ذكر هذه المطرّزات المستحدثة وتفصيلها وتوضيحها بهذه الدراسة فإنه يأتي هنا لا لنفيها واستلالها من الثوب، بل لتوضيح مرونة وإبداع هذا الفن الموروث في مواكبة المستجدات، وهذا التفاعل إنما هو إحدى خصائص الإرث المادي والفولكلوري، الذي يعبر بما يحتويه عن سجل الأحداث والتجارب لدى الشعوب.

وفي النهاية، لا بدّ من الإشارة إلى وقوع بعض المطرّزات التي ذُكر في مراجعها أنها قد تأثرت بالأحداث السياسية، إلا أنّ الباحث لم يستطع الوصول لمعلومات تكفي لإرفاقها في الدراسة شرحا وتوضيحا، ولكن، ورغم ذلك فقد وجب ذكرها، وهي: المندوب السامي20، السلحليك21، الفشك22، الجبل، حمامة السلام (الطير)، التيل23.

المقترحات والتوصيات

يقدم الباحث بعض التوصيات والمقترحات بناء على ما سبق من نتائج الدراسة، آملا الأخذ بها من قبل المعنيين كل في موقعه، كالآتي:

1. تخصيص معرض يضم الأثواب الفلسطينية المطرّزة التي تحتوي على مطرّزات وقع عليها تأثير الأحداث السياسية، وعدم الاقتصار على ثوب الانتفاضة فقط.

2. ضرورة تفريق الباحثين بين ما جرى استحداثه من مطرّزات، وما تم تغيير اسمه فقط، تفاديا للخلط بينهما.

3. ضرورة تأكيد الباحثين على أصالة مطرّزات الثوب الفلسطيني ومكوناته وعراقته، من حيث مواقع التطريز، وكثافته، ومعانيه، ودلائله.

4. القيام بدراسات حول تأثير الأحداث السياسية في موضوعات التراث الشعبي المختلفة.

الهوامش

1. الكنعانيون: هم عرب قدموا إلى أرض فلسطين من شبه الجزيرة العربية حوالي (2500 ق.م)، واستوطنوا فيها وأسسوا أهم مدنها الحالية كالقدس والخليل ويافا وغزة وغيرها، أمّا أبرز قبائلهم التي استقرت في فلسطين فهي اليبوسيون، والعناقيون، والحويون، والعماليق (عصفور، 1979).

2. خنم حتبة الثاني: أو خنوم حتب الثاني، حاكم إقليم الوعل خلال حكم الأسرة الثانية عشرة من الفراعنة المصريين (إبراهيم، 1960).

3. سنوسرت الثاني: فرعون مصري وهو رابع فراعنة الأسرة الثانية عشر، وقد حكم من (1882 ق.م) إلى (1872 ق.م) (إبراهيم، 1960).

4. الهكسوس: شعوب بدوية من أصول عمورية دخلت مصر من سيناء في فترة ضعف الأسرة الرابعة عشر من الفراعنة المصريين، ويرجح أنهم أصحاب أصول آسيوية متعددة، وقد استمر احتلال الهكسوس لمصر حوالي مائة عام، ولم تكن إقامتهم فيها هادئة؛ بل قوبلت بكثير من الثورات والمقاومة من الشعب المصري (إبراهيم، 1960).

5. تحتمس الرابع: أو تحوتمس، هو ابن أمنحوتب الثاني والملكة تي–عا، وهو الملك الثامن في الأسرة الثامنة عشر من الفراعنة المصريين(عصفور، 1979).

6. الغدفة: غطاء رأس للمرأة في مناطق واسعة من فلسطين، وهي قطعة قماش قطنية بيضاء خفيفة، أبعادها (120×180 سم)، وقد تسمّى «شاشة».

7. الوقاة: قطعة قماش سميكة بمقدار الرأس، تطرّز بكاملها وتثبت عليها النقود الذهبية والفضية من الأمام فقط، ولها قطعتي قماش على شكل شرائط تلف حول الشعر المجدول وتربط خلف الرأس، ويلبس فوقها الغدفة أو الملاية أو الشنبر.

8. العراقية: طاقية للمرأة تغطي كامل الرأس، وهي قطعة قماش سميكة تطرّز بكاملها وتثبت عليها النقود الذهبية والفضية، ويلبس فوقها الغدفة أو الملاية أو الشنبر.

9. الملاية: غطاء رأس للمرأة في مناطق واسعة في فلسطين، وهي عبارة عن قطعة كبيرة من القماش الملون والمزركش بألوان مختلفة غالية الثمن، وهي أكبر من الغدفة، وتستورد جاهزة ولا تحتاج إلى خياطة أو تطريز لجودتها العالية.

10. لفاع الطفل: أو القماط، هو قطعة قماش يلف فيها الطفل في أول أيام ولادته حفاظا عليه ووقاية له أثناء حمله، أو نقله من مكان لآخر.

11. الشراشف: جمع شرشف، وهو قطعة قماش مربعة الشكل غالبا، يغطى به بعض أشياء البيت كالطاولة أو التلفاز أو غيرها، أو قد يتغطى به الناس في الصيف أحيانا.

12. الوسائد: أو المخدّات، كيس من القماش محشو بمادة طرية كالصوف أو القطن، ويستعمل للنوم بوضعه تحت الرأس أو يستعمل للاسترخاء، ولها أحجام وأنواع عديدة.

13. الشملة: أو الحزام، حزام للمرأة تلبسه على خصرها، وهو قطعة جلدية تلف بقطعة قماش مطرّزة ولها نهاية رفيعة تربط من خلالها طرفي الحزام.

14. البراويز: مفردها برواز، وهو إطار يتخذ من خشب أو غيره توضع فيه الصور أو المرايا.

15. فينوس: آلهة الحب والجمال لدى الرومان واسمها في اليونانية الآلهة أفروديت، اعتقد الرومان أنّ الإلهة فينوس ولدت في البحر وجاءت إلى شواطئ قبرص في محّارة.

16. قدلة: هي نفسها الوقاة ولكن يضاف عليها قطعة قماش تغطي نصف الجبهة.

17. شنبر: تشبه الملاية إلى حد كبير إلا أنها غالبا تحاك من الحرير الطبيعي.

18. أريحا: مدينة فلسطينية تاريخية قديمة تقع على الضفة الغربية بالقرب من نهر الأردن وعند شمال البحر الميت، يعود تاريخها إلى (10،000 ق.م)، وتعد أقدم المدن في التاريخ.

19. الصهيونية: حركة سياسية يهودية، ظهرت في أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر ودعت اليهود للهجرة إلى أرض فلسطين بدعوى أنها أرض الآباء والأجداد، وبعد فترة طالب قادة الحركة الصهيونية بإنشاء دولة منشودة في فلسطين والتي كانت ضمن أراضي الدولة العثمانية، وبعد تأسيس دولة «إسرائيل» في (1948) أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها توفير الدعم المالي والمعنوي لدولة «إسرائيل». وقد عقد أول مؤتمر للحركة الصهيونية في بازل بسويسرا سنة (1897)؛ ثم بدأ تطبيق الصهيونية بشكل عملي على فلسطين فعملت على تسهيل الهجرة اليهودية

ودعم المشاريع الاقتصادية اليهودية (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، 1990).

20. المندوب السامي: موظف رفيع يتم اختياره من قبل الحكومة البريطانية، بموجب توصية من وزارة المستعمرات البريطانية، وفي فترة الانتداب البريطاني على فلسطين، أطلق عليه اسم «المندوب السامي لفلسطين» واشغل هذا المنصب بين (1948–1920) (الموسوعة الفلسطينية، ق2، مج2، 1990).

21. السلحليك: أو السلاحليك، هي الغرفة المخصصة لتخزين الأسلحة والذخيرة.

22. الفشك: اسم طلقات السلاح باللهجة العامية.

23. التيل: نبات من فصيلة الخبازيات يصنع من أليافه الأكياس والحبال الغليظة.

قائمة المصادر والمراجع العربية

1. إبراهيم، نجيب ميخائيل (1960). مصر والشرق الأدنى القديم. ط3. مؤسسة المطبوعات الحديثة.

2. أمين، ابتهال عبد الشكور (2009). التراث الملبسي للمرأة في فلسطين. (ط1). الأردن: عالم الكتب الحديث.

3. أبو جبين، عطا (2012، أكتوبر). الأزياء الشعبية التراثية في جنوب محافظة الخليل، المؤتمر الرابع للتراث والفن. جامعة النجاح: الخليل، فلسطين.

4. جرادات، إدريس محمد (نوفمبر، 2011). ثوب المرأة الريفية الفلسطينية تكنولوجيا محلية وهوية وطنية. المؤتمر الثالث التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل– هوية وانتماء. جامعة القدس المفتوحة: الخليل، فلسطين.

5. الجواليقي، أبي منصور (1969). المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم. (ط2). مطبعة دار الكتب.

6. سروجي، لورا (2017). تذكارات فلسطين بلغة بريل. العربي الجديد. الأردن. تم استرجاعه بتاريخ (9/7/2019) على الرابط الإلكتروني: https://www.alaraby.co.uk/culture

7. صالح، محسن محمد (2004). دراسات منهجية في القضية الفلسطينية. عمّان: دار الفرقان.

8. عبد اللطيف، مازن (2012، أكتوبر). الزي الشعبي الفلسطيني بين الحداثة والتهويد. المؤتمر الرابع الفن والتراث الشعبي الفلسطيني– واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.

9. عصفور، محمد أبو المحاسن (1979). معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

10. العلان، مروان (2012، أكتوبر). التراكم الحضاري في نقوش الثوب الفلسطيني. المؤتمر الثالث الفن والتراث الشعبي الفلسطيني–واقع وتحديات. جامعة النجاح الوطنية: نابلس، فلسطين.

11. علقم، نبيل؛ ومنصور، سليمان (1989). دليل فنّ التطريز الفلسطيني. القدس: مطبعة أوفست حسن أبو دلو.

12. قعوار، وداد كامل؛ وناصر، تانيا تماري (1992). التطريز الفلسطيني– الغرزة الفلاحي. (ط4). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

13. قعوار، وداد (2010). أثواب لوّنتها الشمس، الملابس الفلسطينية الوطنية. عمّان: عمّان وزارة الثقافة.

14. الكسواني، ناهدة (نوفمبر، 2011). الملابس الشعبية للمرأة في الخليل. المؤتمر الثالث التراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل–هوية وانتماء. جامعة القدس المفتوحة: الخليل، فلسطين.

15. المزين، عبد الرحمن (1981). موسوعة التراث الفلسطيني، الأزياء الشعبية الفلسطينية. (ط1). منشورات فلسطين المحتلة: بيروت.

16. المنجد، صلاح الدين (1978). المفصّل في الألفاظ الفارسية المعرّبة في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر الأموي. (ط1). إيران.

17. ابن منظور، محمد (د.ت). لسان العرب.(ط1). بيروت: دار صادر.

18. الهاجري، مشاعل عبد العزيز (2012). تطريز همرشولد على حواشي الثوب الفلسطيني. eltibas. الكويت. تم استرجاعه بتاريخ (5/7/2019) على الرابط الإلكتروني: https://eltibas.wordpress.com

19. هيئة الموسوعة الفلسطينية (1990). الموسوعة الفلسطينية. (ق2). (مج 1،2،4). (ط1). بيروت.

ترجمة المصادر والمراجع العربية:

Translated References

1. *Ibrahim, N (1960). Egypt and the Ancient Near East. (3 ed). Foundation of Modern Publications.*

2. *Amin, I (2009). Women's Clothing in Palestine. (1 ed). Jordan: The World of Modern Books.*

3. *Abu Jbain, A (2012, October). Traditional folk costumes in the southern Hebron Governorate, the fourth conference of heritage and art. An-Najah University: Hebron, Palestine.*

4. *Jaradat, I (November, 2011). The dress of Palestinian rural women is a local technology and a national identity. The Third Palestinian Popular Heritage Conference in Hebron Governorate - Identity and Belonging. Al-Quds Open University: Hebron, Palestine.*

5. *Al-Jawaliqi, M (1969). Transliterated from the glossary speech on the letters of the lexicon. (2). Dar Al Kutub Printing Press.*

6. *Srouji, L (2017). Palestine Memorabilia in Braille. The New Arab. Jordan. Retrieved on 9/7/2019 at https://www.alaraby.co.uk/culture*

7. *Saleh, M (2004). Methodological studies in the Palestinian cause. Amman: Dar Al-Furqan.*

8. *Abdullatif, M (2012, October). Palestinian folk costume between modernity and Judaization. Fourth Palestinian Art and Folklore Conference - Reality and Challenges. An-Najah National University: Nablus, Palestine.*

9. *Asfour, M (1979). Landmarks of ancient Near East history from the earliest times to the advent of Alexander. Beirut: dar alnahdat alearabia for Printing and Publishing.*

10. *alallan, M (2012, October). The accumulation of civilization in the inscriptions of the Palestinian dress. The Third Conference Palestinian Art and Folklore - Reality and Challenges. An-Najah National University: Nablus, Palestine.*

11. *Alqam, N; Mansour, S (1989). Palestinian Embroidery Handbook. Jerusalem: Offset Printing Press.*

12. *Kawar, W; Nasser, T (1992). Palestinian Embroidery - Peasant Stitch. (4 ed). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.*

13. *Kawar, W (2010). Sun-colored dresses, Palestinian national clothing. Amman: Amman Ministry of Culture.*

14. *Kiswani, N (November, 2011). Popular clothing for women in Hebron. The Third Palestinian Popular Heritage Conference in Hebron Governorate - Identity and Belonging. Al-Quds Open University: Hebron, Palestine.*
15. *Muzain, A (1981). Encyclopedia of Palestinian Heritage, Palestinian Popular Costumes. (1 ed). Occupied Palestine Publications: Beirut.*
16. *almunjid, S (1978). Detailed in Persian terms Arabized in ignorant poetry, the Holy Quran, Hadith and Umayyad poetry. (1 ed). Iran.*
17. *Manzoor, M (d.) The tongue of the Arabs. Beirut: Dar Sader.*
18. *Al-Hajri, M (2012). Hammarshulid embroidery on the footnotes of the Palestinian dress. eltibas. Kuwait. Retrieved on 5/7/2019 at https://eltibas.wordpress.com*
19. *Encyclopedia of the Palestinian Authority (1990). The Palestinian Encyclopedia. (2). (Vol. 1,2,4). (1). Beirut.*

قائمة المراجع و المصادر الأجنبية :

1. *Amir, Ziva (1977). Arabesque. Van Nostrand Reinhold Company: New Yourk*
2. *Kawar, Widad (1999) Threads of Identity: Preserving Palestinian Costume and Heritage . Rimal Publications.*
3. *Khalidi, leila (1999). The Art of Palestinian Embroidery. Saqi Books: london*
4. *Munayyer,Hanan (2011). Traditional Palestinian Costume: Origins and Evolution.*
5. *Omar, Abed Al-Samih (1986). Traditional Palestinian embroidery and jewellery. Al-Shark: Jerusalem*
6. *Rajab, Jehan (1989). Palestinian Costume. KPI: london*
7. *Stillman, Yedida (1979). Palestinian costume and jewellery, Albuquerque. University of New Mexico Press*
8. *Skinner, Margarita & and Kawar, W. (2007). Palestinian Embroidery Motifs a treasury of stitches 1850-1950. (1st ed). London: Melisene published.*
9. *Weir, Shelagh (1989). Palestinian Costume. British Museam: london*
10. *Weir, Shelagh; Shahid, Serene (1988). Palestinian embroidery : cross-stitch patterns from the traditional costumes of the village women of Palestine. London: British Museum publications*

ملحق المطرّزات

ملحق مطرّزات الثوب الفلسطيني، ويضم المطرّزات التي تأثرت بالأحداث السياسية، وأشكالا وصورا أخرى توضيحية.

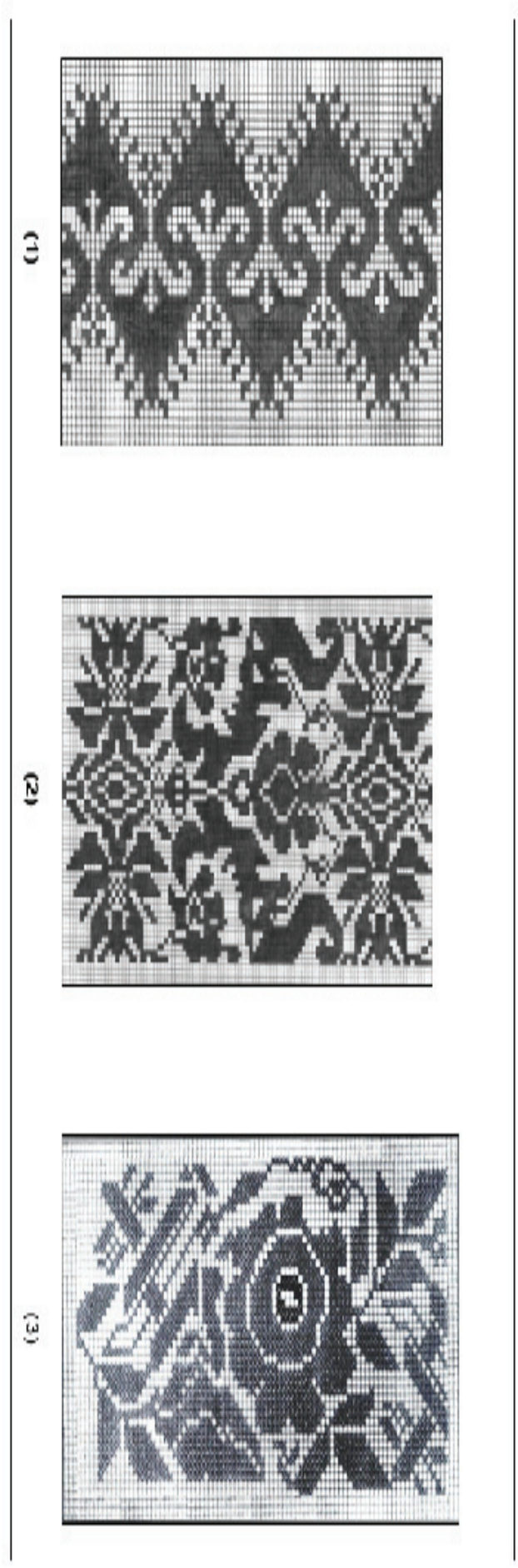

(1)

(2)

(3)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

(٧)

(10)

(11)

(12)

(13)

(14)

(15)

(16)

(17)

(18)

(19)

(20)

(21)

[22]

[23]

[24]

[25]

[26]

[27]

الأَهميّةُ الْمكانيّةُ لِمدينةِ الرَّملةِ في الصِّراعِ الفاطميِّ القرمطيِّ (356 هـ - 469 هـ/ 968 م - 1077 م)

Ramla's Geopolitical Importance During the Fatimid-Qarmati Conflict (968 - 1077 AC/ 469 - 356 AH)

د.عبد الرؤوف أحمد عرسان جرار
أستاذ مشارك /جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

Dr. Abd al-Raouf A. Jarrar
Associate Professor / al-Quds Open University /Palestine
ajarar@qou.edu

تاريخ الاستلام: 6/ 8/ 2019م، **تاريخ القبول:** 10/ 11/ 2019م.
E- ISSN: 2616 - 9843
P- ISSN: 2616 - 9835

Received: 6/ 8/ 2019, **Accepted:** 10/ 11/ 2019
DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604895
http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

تُعدُّ مدينةُ الرَّملة منْ أهمِّ مدن فلسطينَ؛ فقدْ أسَّسها سليمانُ بنُ عبدِ الملكِ، لتكونَ عاصمةً إداريّةً لولاية فلسطينَ في خلافة أخيه الوليد بنِ عبدِ الملك، وكذلك، تعودُ أهميّةُ المدينة إلى موقعها المُتميّز المُشرف على طرقٍ رئيسة مُهمة.

يتناولُ هذا البحثُ أهميّةَ مدينة الرّملة الْمكانيّة في فترة الصِّراع الفاطميِّ القرمطيِّ، الذي استمرَّ – حوالي– أربعةَ عقود ، حيث كانت وعددَ منْ مدنِ بلادِ الشّام مسرحاً لهذا الصّراع، كما حاورَ البحثُ هذا أسبابَ بنائها، واختصرَ أهمَّ الأحداث التي وقعتْ بها في العصور المختلفة، واستعرضَ فترةً مهمةً من تاريخ الصِّراع الفاطميِّ القرمطيِّ، وما نتجَ عنه من معارك طاحنة كادتْ أن تُنهيَ الوجودَ الفاطميَّ في بلادِ الشّام ومصرَ، ويُذكرُ أنّها كانت المركزَ الرَّئيسَ المُؤيّدَ ؛ لأنّ جيوشَ القرامطة انطلقتْ منه، وكذلك القبائلَ العربيّةَ المتحالفةَ معهم، لمقارعة الدَّولة الفاطميّة .

ويَعرضُ هذا البحثُ لهجوم القرامطة على مصرَ–بمساعدة بعض القبائل العربيّة، التي كانَتْ تسكنُ بالقرب منها، وجنوب فلسطينَ–وتمكّنوا من هزيمة الدَّولة الفاطميّة أكثرَ منْ مرّة، وكادتْ أنْ تَقضيَ عليها، وتُدمرَ عاصمتَها القاهرةَ، لولا حنكةُ المعزِّ الفاطميِّ، وبذلُهُ الأموالَ على بعض قادة المهاجمينَ؛ أجْلَ الانسحاب وخذلان الطّرف الآخر.

وفوق كل ما ذُكر، فقد حلَّلَ البحثُ هذا أهمَّ الأحداث التي حصلتْ أثناءَ هذا الصّراع، الذي آلَ إلى انتصار الدَّولة الفاطميّة وسيطرتها على مدينة الرَّملة.

الكلمات المفتاحيه: فلسطين، مصر، الرملة، الفاطميين، القرامطة، القبائل العربية.

Abstract:

Ramla is one of the important cities in Palestine. It was founded by Sulayman Ibn Abd al-Malik, brother of Caliph Walid Ibn Abd al-Malik, to be the administrative capital of the District of Palestine. Its importance lies in its strategic location as it connects the roads between the major cities in the region. The research presents the foundation of the city and the major events that occurred in it across different eras, focusing on its geopolitical importance during the Fatimid-Qarmati conflict, which took place throughout four centuries. During this conflict, Ramla was the center for the Qarmati armys and Arab tribes, which attacked the Fatimid government in several places, especially in the south of Palestine and Egypt. The Fatimid was defeated in many battels and its capital, Cairo, was almost destroyed. The Fatimid Caliph al-Muizz li-Dinillah was made to pay large amounts of money to the attackers in order for them to withdraw and leave Cairo. We provide a rational account of the major events in this conflict, which ended with the victory of the Fatimid and their control over the city of Ramla.

Keywords: *Palestine, Egypt, al-Ramla, Fatimids, Qarmati, Arab Tribes*

المُقدمةُ:

الجديرُ بيانُه، في هذا السياق، أنَّ البحثَ في تاريخ فلسطينَ –في العصر الإسلاميِّ– منْ أهمِّ الدِّراسات العلميّة التاريخيّة؛ لأنَّها تعرَّضتْ إلى هجمة تهويد صهيونيّة شرسة مستمرّة منذُ عشرات العقود، ولما تملكُه من أهميَّة دينيّة وسياسيّة واقتصاديّة، فضلاً عن ذلك، دورُها الفاعلُ في أحداث التّاريخ الإسلاميِّ.

كما أنَّ البحثَ في تاريخ المدن والقرى الفلسطينيّة المحتلة منذُ عام 1367هـ/1948م يُعَدُّ واجباً وطنياً ودينياً؛ لأنَّه يهدفُ إلى إحياء تراث هذه المدن والقُرى، وتنشيط دورها التّاريخيِّ في معظم الأحداث التي شهدتْها المنطقةُ في عصور مختلفة.

ويُلفت النظرُ إلى أنّ الباحثَ ستتركّزُ جهودُه على دراسة مدينة الرَّملة التي استحدثها الأمويّونَ في صدر الإسلام، فقد لعبتْ دوراً مهماً في معظم الأحداث السياسيّة التي شهدتْها بلادُ الشّام والبلدان المجاورة، المتمثّلة بالصّراع الفاطميِّ القرمطيِّ.

لعلّ من الأسباب التي جعلت الباحثُ يحتفلُ بدراسة مدينة الرّملة في فترة الصّراع الفاطميِّ القرمطيِّ أنّها لم تحظَ بدراسة علميّة تفصيليّة ممنهجة، وأنَّ موقعَها المتميّز لعبَ دوراً محورياً في جميع مراحل التّاريخ الإسلاميِّ لفلسطينَ وبلاد الشّام في العصر الأمويِّ والعباسيِّ والفاطميِّ والأيوبيِّ والمملوكيِّ والعثمانيِّ .. التي ما تزالُ تئنُّ تحتَ براثن الاحتلال الاسرائيلي منذُ أكثرَ منْ سبعة عقود، التي هوّدتْها عصاباتُ صهيونيّة حاقدة وشرّدَتْ معظمَ أهلها منذُ عام1367هـ/ 1948م .

موقعُ مدينةِ الرّملةِ:

تقعُ المدينةُ إلى الشّمال الغربيِّ من مدينة القدس على الطريق الواصل بينَ القدس ويافا، وتمثّلُ نقطةَ اتّصال بينَ شمال فلسطينَ وجنوبها، وكذلك، فإنّها ممرٌ وجسرٌ يصلُ إلى يافا بالقدس وبالغور وشرق الأردن[1] وتتميّزُ المدينةُ بموقع ذي أهميّة اقتصاديّة وحربيّة؛ لأنّها كانتْ مُلتقى طريقيْن مُهميْن؛ أحدهما الطّريق الموصل بينَ مصرَ والشام، ومن ثَمَّ، إلى العراق، والآخر يصلُ إلى يافا والقدس وأريحا وشرق الأردنّ[2] ، وبالإضافة إلى طرق المواصلات الرّئيسة داخلَ فلسطينَ في عصور مختلفة، حيثُ تمرُّ بها الطريقُ التي تصلُ شمالَ فلسطينَ بجنوبها.

ولعلّه من المفيد بيانُ موقعها الكامن في وسط السّهل الساحليِّ الفلسطينيِّ في هذا البحث؛ أجلَ كونها كانتْ مركزاً لكلِّ مَنْ يمرُّ بالساحل الفلسطينيِّ والجبل، وبذلك، فإنّها تربطُ بلادَ الشّام بالبلاد المصريّة عبرَ الطّريق الساحليِّ الممتدِّ بينَ شمال فلسطينَ وجنوبها، و يُذكرُ أنّ أهميّتَها زادتْ بوجودها في منطقة غنية بالإنتاج الزراعيّ[3] .

وتظهرُ المدينةُ مرتفعةً مشرفةً على تلٍّ، ويتخذُ النشاطُ العمرانيُّ فيها شكلاً أشبهَ ما يكونُ دائرةً تدورُ حولَ قمة التّلِّ، الذي يتوسط

سُهولًا خضراءَ[4]، على ارتفاع خمسة وسبعينَ متراً فوقَ سطح البحر على خطّ عرض 31.56 درجةً شمالاً، وخطّ طول 34،52 درجةً، ضمنَ أقليم حوض البحر الأبيض المتوسط، و تشرفُ المدينةُ على قضاء مساحته 926.7 كم2، ويضمُّ 54 قريةً عربيةً قبلَ الاحتلال الصهيونيِّ للمدينة عامَ 1367هـ/1948م[5].

ومن المعلوم، أنّها جزءٌ لا يتجزأُ منْ بلاد الشام، وأنّ أوضاعَها الإداريّةَ مرتبطةٌ بما يحدثُ في فلسطينَ وفي المنطقةَ؛ ولذلك، حظيتْ بمكانة عظيمة لدى المؤرخينَ والرّحالة العرب؛ فوصفَها ابنُ حوقل الذي زارَ فلسطينَ في قوله: «وفلسطينُ أزكى بلدانِ الشام ربوعاً، ومدينتُها العظمى الرَّملةُ، وبيتُ المقدس تليها في الكبر « [6] ، كما وصفَها المقدسيُّ في كتابه(أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) في قوله: «الرملةُ قصبةُ فلسطينَ، بهيةٌ حسنةُ البناء خفيفةُ الماء مَريّةٌ واسعةُ الفواكه، جامعةُ الأضداد بينَ رساتيقَ جليلة ومدن سرية ومشاهد فاضلة وقرًى نفيسة، والتجارةُ بها مفيدةٌ، و المَعايشُ حسنة، وليس في الإسلام أبهى من جامعها، ولا أحسنَ وأطيبَ من حواريِّها، ولا أبرك من كَورتها ولا ألذَّ من فواكهها، موضوعةٌ بينَ رساتيقَ زكية ومدن محيطة ورباطات فاضلة، ذات فنادقَ رشيقة وحماماتٍ أنيقة وأطعمة نظيفة، وآدامٍ كثيرة ومنازلَ فسيحةً ومساجدَ حسنة وشوارعَ واسعة «[7].

وصفَ المقدسيُّ موقعَها وما ينبتُ بها من أشجار، فقالَ: « وقد خطت السهلُ وقربتْ من الجبل والبحر، وجَمعت التينَ والنخلَ، وأنبتت الزروعَ على البعل، وحوت الخيرات والفضلَ. ويُلحظُ أنّه يشيرُ هذا الوصفُ – بطريقة غير مباشرة – إلى مناخ مدينة الرّملة، الذي ذكره المقدسيُّ في قوله: « جَمعت التين والنخلَ» يدلُّ على أنَّ مناخَ الرَّملة ليسَ بارداً ولا حاراً؛ أي أنّه متوسطٌ؛ لأنَّ برودته تتناسبُ معَ شجر التين، وحرارته تتناسبُ مع شجر النخل، الذي ينمو في الأماكن الحارّة نسبياً، كما وصفَها الظاهريُّ في قوله : «إنَّ الرّملةَ مدينةٌ حسنةٌ بها جوامعٌ ومدارسُ ومزاراتٌ، ومن جملتها الجامعُ الأبيضُ عجيبٌ منَ العجائب «[8] . وقد وصفَها الإدريسيُّ في كتابه «نزهةُ المشانق في اختلاف الآفاق

« بقوله : «مدينةُ الشام الرّملةُ ثمَّ بيتُ المقدس ، فأمَّا الرَّملةُ فهيَ مدينةٌ حسنةٌ عامرةٌ، وبها أسواقٌ وتجاراتٌ ودخلٌ وخرجٌ « [9]، ووصفَها الحنبليُّ في كتابه «الأنسُ الجليلُ» وصفاً يوضّحُ ما بها من علامات مميّزة بقوله : «إنَّه كانَ بها قلعةٌ، واثنا عشرَ باباً منها: بابُ عسقلانَ ، وبابُ يافا، وبابُ يازور، و بابُ نابلس، ولها أسواقٌ أربعةٌ» [10]، وبالرّغم من هذا الوصف الجميل إلا أنَّ ثمّةَ عيوب ذكرَها المقدسيُّ في قوله : «غيرَ أنَّها في الشّتاء جزيرةٌ من الوحلِ، وفي الصّيف جريرةٌ منَ الرّمل لا ماءٌ يجري، ولا خضرٌ ولا طينٌ جيدٌ، ولا ثلجٌ ، وكثيرةُ البراغيث، عميقةُ الآبار مالحةٌ، وماءُ المطر في جباب مقفلة، فالفقيرُ عطشان، والغريبُ حيران» [11] ومنَ الممكن، أنْ يكونَ سببُ وصفه يعودُ إلى فترة زمنية معينة كانت المدينةُ تعاني فيها نقصا في الخدمات، وتدهورًا في الأوضاع السياسيّة والخدماتيّة، ولو كانَ هذا الوضعُ دائمًا فيها لما كان لها هذه الأهميّةُ في العصور الإسلاميّة المختلفة التي مرّتْ عليها.

تأسيسُ مدينةِ الرّملةِ:

تُجمعُ المصادرُ التاريخيّةُ على أنَّ الذي أسَّسَ الرَّملةَ هو سليمانُ بنُ عبد الملك بن مروانَ الخليفةُ الأمويُّ السّابعُ، الذي بدأَ بالبناء عندما تولَّى فلسطينَ في خلافة أخيه الوليد بن عبد الملك[12]. وهذا يشيرُ إلى اهتمام الأمويينَ بفلسطينَ باستحداث هذه المدينة، التي أصبحتْ مركزاً إداريا وحضارياً من مراكز الدّولة الأمويّة في بلاد الشّام، وكانَ أطلقَ سليمانُ بنُ عبد الملك اسمَ الرَّملة على مدينته الجديدة لغَلبة الرَّمل على أراضيها[13] . وثمّةُ روايةٌ نقلَها القلقشنديُّ عن العمريّ في مسالك الأمصار[14] أنَّ الرَّملةَ سُميَّتْ بهذا الاسم نسبةً إلى امرأة تُعرفُ رملةَ، وجدُّها سليمانُ بنُ عبد الملك تسكنُ بيتاً منَ الشّعر في المكان الذي بُنيتْ فيه مدينةُ الرَّملةَ قبلَ الشّروع في تخطيطها، ولمّا رأتْ تلكَ المْرأةُ سليمانَ أكرمتْهُ، وأحسنتْ إليه دونَ أنْ تعرفَه، فلمَّا خطَّ المدينةَ، وبدأَ بناءَها أطلقَ عليها اسمَ رملةَ تكريمًا للمرأة؛ لما قدّمتْهُ له من حسن استقبال واحترام، ومعَ طرافة هذا التفسير فقد يكونُ ممكناً، لكنْ الأرجح أنهاً سُمّيَتْ بالرّملة لكثرة الرّمال في أراضيها كما أكّدتْ معظمُ المصادر. ويتصلُ – بهذا– سببُ بناء سليمانَ بن عبد الملك لها، الذي عُينَ والي فلسطينَ، وفضّلَ الاقامةَ فيها، ويُذكرُ –في هذا السّياق– رواياتٌ تشيرُ إلى أنَّه فكّرَ في نقل عاصمة الدّولة الأمويّة من دمشقَ إلى مدينة الرَّملة، عندما تسلّمَ الخلافةَ بعدَ وفاة أخيه الوليد بن عبدالملك.

أمَّا سببُ بنائها فهناكَ رواياتٌ تشيرُ إلى أنَّ سليمانَ بنَ عبد الملك كانَ مقيماً في مدينة اللدِّ المجاورة لها، التي كانَ يغلبُ عليها طابعٌ غيرُ إسلاميٍّ في ذلكَ الوقت، فأرادَ أنْ يتخذَ مقراً ومركزاً له يتميّزُ بطابع إسلاميٍّ، وبعدَ أنْ أتمَّ بناءَها نقلَ سكانًا منَ اللدِّ إليها، بعد هدم معظم مساكنها؛ سببَ رحيل أهلها إلى الرَّملة[15]. كما يعزو بعضُهم سببَ بنائها للإشراف على الطَّريقِ التجاريِّ[16] المهمِّ الذي يربطُ الشّامَ بمصرَ منذُ القدم.

وثمّةُ رأيٌ ثالثٌ يعتقدُ أنَّ مستشارَ سليمانَ بن عبد الملك الخاصِّ المعروف بالبطريق، كانَ قد أشار عليه بناءَها؛ أجْلَ خلافَ وقعَ بينَه وبينَ المسيحيِّينَ في مدينة اللدِّ حولَ قطعة أرض ترجعُ ملكيتُها لكنيستهم[17] ، وتجدرُ الإشارةُ، إلى أنَّ ثمّةَ روايةً أخرى– قد تكونُ الأرجحَ دقةً وصوابًا– تتمحورُ بأنَّ سكانَ اللدِّ [18] كانَ يزعجُهم وجودُ جنود سليمانَ بن عبد المللك بينَهم، فبَنى مدينةَ الرَّملة لتكونَ مركزًا لعساكر الدَّولة الأمويّة في جنوب فلسطينَ.

أهمُّ الأحداثِ التي وقعتْ في الرَّملةِ:

تأثرتْ مدينةُ الرَّملة بالأحداث التَّاريخيّة التي مرَّتْ على فلسطينَ منذُ تأسيسها؛ فقدْ كانتْ مركزاً لبعض الثّورات المُختلفة، التي قامتْ ضدَّ الخلافة الإسلاميّة في عصور مختلفة. ومنْ بينَ هذه الثّورات ثورةُ المبرقع اليمانيِّ[19]، الذي خرجَ عامَ 226هـ/ 841م في نواحي الرَّملة على الخليفة المعتصم العباسيِّ، وجمعَ حولَهُ جماعاتٍ منَ المزارعينَ من سكانِ القرى المجاورة وغيرهم، وبعض زعماء القبائل اليمانيّة، فأرسلَ إليه المعتصمُ القائدَ رجاءَ بنَ أيّوب الحضاريِّ، الذي تمكّنَ منْ هزيمة المبرقع، بعدَ أنْ تخلّى عنه معظمُ اتّباعه، وأسره وأخذه إلى العراق، إذ قُتلَ هناك.

وفي عام252هـ/ 866م امتنعَ عيسى بنُ الشّيخ عاملُ الرَّملة في فلسطينَ والأردنِّ عن مبايعة الخليفة المعتزِّ باللهِ العباسيِّ، فأرسلَ الخليفةُ له نوثريَ بنَ طاجيلَ عاملَهُ على دمشقَ؛ إذ تغلّبَ عليه، فهربَ إلى مصرَ، وبايعَ الخليفةَ هناك. ثمَّ عادَ إلى الرَّملة،

وتمكَّنَ منَ الاستيلاء على فلسطينَ ودمشقَ، وبنى حصناً خارجَ الرَّملة سُمِّيَ « حصنَ الحساميّ « ، وامتنعَ فيما بعدُ عنْ مبايعة المعتمدِ على الله العباسيِّ عامَ 256هـ/870م ؛ إذ بعثَ إليه الخليفةُ القائدَ التركيَّ أماجورَ، الذي هزمَهُ عندَ أبوابِ دمشقَ، فعادَ إلى الرّملة، ثم أخذَ الخليفةُ يعاملُهُ باللّين، واستدعاهُ إلى مقرِّ الخلافة مقابلَ أنْ يولّيَهُ أرمينيا، وبذلكَ، يكونُ قد انتهى حكمُ عيسى بنِ الشيخِ، ليبدأَ حكمُ الدَّولة الطولونيّة[20].

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنّه، بعدَ أنْ استقرَّتْ الأوضاعُ في مصرَ لأحمدَ بنِ طولونَ، مدَّ سيطرتَه على بلادِ الشامِ؛ لأنَّها مفتاحُ مصرَ، وأمنُ الشّامِ ومصرَ، ومن ثَمَّ تحمي حدودَه منَ القوّاتِ البيزنطيّة[21] في شمالِ بلادِ الشّام، ولكنَّ الدّولةَ الطولونيّةَ بدأتْ تضعفُ بعدَ وفاةِ أحمدَ بنِ طولونَ[22] وفي هذا الوقتِ ظهرتْ حركةُ القرامطةِ في الشّرقِ، واستولتْ على مدينةِ الرّملةِ، وأجزاءٍ من جنوبِ بلادِ الشّام[23]، وفشلتِ القوّاتُ الطولونيّةُ في القضاءِ على القرامطةِ؛ إذْ انهزمَتْ أمامَها عدّةَ مرّات[24].

ولعلَّ – هذا–كانَ قد لفتَ أنظارَ الدّولةِ العباسيّةِ إلى ضعفِ الطولونيّينَ؛ فصمّموا على استرجاعِ مصرَ والشّامِ منهم، قبلَ أنْ تقعَ في أيدي القرامطةِ أو الفاطميّين[25].

ومن نتاجِ ضعفِ الحكمِ الطولونيِّ انتشارُ الفوضى في مصرَ، ولا مناصَ منْ أنْ تتأثّرَ بلادُ الشّامِ بذلكَ تأثّرًا سياسياسيا وغيرِه بالمجاورة؛ فاستغلَّ القرامطةُ هذه الفوضى، ودخلوا دمشقَ، ووصلوا إلى طبريَّا[26]، فحاربهم طغجُ بنُ جف[27] – الذي تولّاها منَ العباسيّينَ– أكثرَ منْ مرّةٍ حتى تمكّنَ منْ قتلِ يحيى بنِ زكرويه[28] في أولِ سنةِ 290هـ /903م[29]، ثم أرسلَ الخليفةُ المستكفي العباسيُّ جيشاً بقيادةِ الحسينِ بنِ حمدانَ[30] لقتالهم، فوصلتْ أخبارُه للقرامطة، ففرّوا من طبريّا نحوَ باديةِ[31] السّماوة[32] ، ومعَ تكرارِ اعتداءاتِ القرامطةِ وقتلِهم الرّجالَ، وسلبِهم الأموالَ، كانَ قد كلّفَ المستكفي مرةً أخرى الحسينَ بنَ حمدانَ[33] بالإضافة إلى محمد بنِ اسحاقَ بنِ قنداجَ لقتالهم، فضيّقَ العباسيّونَ الخناقَ عليهم، الأمرُ الذي أجبرَهم على الاعتذارِ للخليفةِ العباسيِّ، وطلبَ منه بعضُهم الحمايةَ والأمانَ، وظلَّ بعضُهم الآخرُ متمسكًا بفكرةِ القرامطة[34].

ويَجدرُ الذكرُ – في هذا السياق–أنَّ عهدَ الدّولةِ الطولونيّةِ قد انتهى عامَ 323هـ/935م لتحلَّ محلَّها الدَّولةُ الإخشيديّة، وتبعثْ الرّملةُ محمدَ بنَ طغجَ الإخشيديّ بعدَ معاركَ شديدة ضدَّ أحمدَ بنِ رائق[35] –أحدِ ولاةِ الشّامِ للعباسيينَ، ثمَّ عيّنَ الإخشيديّ عليها ابنَ أخيه الحسنِ بنِ عبدِ الله بنِ طغجَ، وبقيتْ تابعةً للدّولةِ الإخشيديّة في مصرَ.

ولكنّ القرامطةَ تمكّنوا منْ هزيمةِ الجيشِ الإخشيديِّ بقيادةِ الحسنِ بنِ عبدالله في الرّملة، وعُرفتْ بحملةِ طبريّا، ثمَّ جرى بينَهما صلحٌ في الحملةِ الثّانية، التي كان منْ أحدِ شروطه أنْ يدفعَ إليهم الحسنُ مبلغاً منَ المالِ سنويّا[36]؛ أجلَ ضمانِ أمنِ القوافلِ التجاريّة والحجّاج، التي تمرُّ من فلسطينَ إلى مصرَ، وظلَّ القرامطةُ في فلسطينَ، ويُشارُ – في هذا المقام– إلى أنَّ هذه الأحداثَ أضعفتْ الحسنَ، وبدّدتْ جهودَه وقُواهُ[37] وفي المقابلِ، تعاظمتْ قوةُ القرامطة في الرّملة فترةً منَ الزمن، ثمَّ دخلَها الفاطميُّونَ عنوةً، ودمَّرَ القائدُ الفاطميّ جعفرُ بنُ فلاحٍ الكتاميّ كثيرًا من مبانيها عامَ356/ هـ 966م [38] بعدَ أن أحكمت الدّولةُ الفاطميّةُ سيطرتَها على مصرَ سيطرةً سلميّةً باتتْ على إثرَها القاهرةُ مركزًا للدعوة الإسماعيليّة[39]، فكانَ لا يخفى على الفاطميينَ أخطارَ القرامطةِ المُحدقةَ عليهم من الشّام؛ لذا، توجّهتْ سياسةُ الفاطميّينَ نحوَ الشّام بالتّدخّلِ العسكريِّ المُباشَر؛ غرضَ إخضاعِ المنطقة، ومدِّ نفوذِ سلطتهم فيها، فقد جهّزَ جوهرُ الصقلي قوةً عسكريةً سنة 358هـ–/968م[40]. واضعًا عليها جعفرَ بنَ فلاحٍ الكتاميّ أحدَ قوّادِه البارزينَ؛ أجْلَ إنجاحِ هذه المهمَّة.

الصراعُ الفاطميُّ القرمطيّ:

باتَ معلومًا من أنَّ الدّولةَ الفاطميّةَ وضعتْ نصبَ عينيها – منذُ قيامِها في بلادِ المغرب– تحطيمَ الخلافةِ العباسيّةِ هدفًا محوريًّا، وإقامةَ الخلافةِ الفاطميّةِ على انقاضِها. وأخذَ عبيدُ الله المهديّ مؤسِّسها يرنو نحوَ الشّرقِ؛ للقضاءِ على الدّولةِ العباسيّةِ العدوِّ التقليديِّ للفاطميّينَ، غيرَ أنَّ العباسيّينَ صدُّوهم عنْ مصرَ عدّةَ مرّاتٍ وأرغموهم على العودةِ إلى المغربِ حيث أتوا. ويُلفتُ الانتباهُ إلى أنّه، في عهدِ المعزِّ الفاطميِّ[41] (365–341هـ \ 952 975–م) – العصرُ الذّهبيُّ للدَّولةِ الفاطميّة– بلغَ نفوذُ الفاطميّينَ أقصى بلادِ المغربِ غرباً[42]، وقد استولى على مصرَ على بقيادةِ جوهرِ الصقلي[43].

وهكذا، اقتربَ الفاطميُّون من تحقيقِ هدفهم الساميِّ عندما دخلوا مصرَ عبرَ فلسطينَ –التي تشكّلُ الجزءَ الجنوبيَّ لبلادِ الشّام، والمجاورةَ لها– التي تعدُّ ممرًّا طبيعيًّا للوصولِ إلى مركزِ الخلافةِ العباسيَّة في العراق[44].

وثمّةَ روايةٌ– وقفَ إليها الباحثُ– تشيرُ إلى أهمَّ أسبابِ استيلاءِ الفاطميّينَ على بلادِ الشّام ، يعودُ إلى موقعِ فلسطينَ المتوسطِ والإستراتيجيِّ بوصفِه مدخلَ بلادِ الشّامِ منَ ناحيةِ مصرَ– المعبرِ البريِّ الوحيدِ الموصلِ إلى بغدادَ عاصمةِ الخلافةش العباسيّة– كما أنّه ترجعُ أهميّتُهُ إلى خطورةِ موقعِها، بالنسبةِ للمخطّطاتِ الفاطميّةِ الرّاميةِ إلى القضاءِ على الخلافةِ العباسيّةِ في العراق، وضمِّها إلى ممتلكاتِ الدّولةِ الفاطميّةِ التي اتخذتْ القاهرةَ عاصمةً لها[45]، وتعودُ أهميّةُ استلاءِ الفاطميّينَ على فلسطين – أيضا– إلى تأمينِ حدودِ مصرَ منْ أيِّ خطرٍ قادمٍ منَ العباسيّينَ وولاتهم والقرامطةِ وحلفائهم من القبائلِ العربيّةِ – ذاتِ النُّفوذِ الواسعِ في المناطقِ الحدوديّة لمصرَ–

ولعلّه من المفيدِ البيانُ من أنَّ القرامطةَ أغاروا على مصرَ وبلادَ الشّام، إلا أنّ الإخشيديّينَ قد عجزوا عنْ صدِّها ، كما أنّ استيلاءَ القرامطةِ على جنوبِ الشّامِ ووسطه يُعدُّ تهديداً كبيرًا لوجودِ الفاطميّينَ في مصر، مما دفعَ ذلك الفاطميّيونَ– في الوقتِ عينه– إلى الاستيلاءِ على بلادِ الشّام؛ إذ شكّلَ القرامطةُ خطراً كبيرًاعلى سياسةِ الفاطميّينَ التوسعيّةِ في المشرقِ الإسلاميِّ[46] بالإضافةِ إلى عدمِ استقرارِ الأحوالِ السياسيّةِ في بلادِ الشّامِ نتيجةَ الصّراعِ الإخشيديِّ معَ ابنِ رائق، لذلكَ، سعى الفاطميّونَ إلى القضاءِ على بقايا الإخشيديّينَ الفارينَ من مصرَ إلى فلسطينَ، وإعادةِ الاستقرارِ في المنطقة؛ لكي يتسنّى لهم القفزَ على الخلافةِ العباسية، بل القضاءَ عليها في عقرِ دارِها [47].

ويمكنُ وصفُ سيرِ جعفرِ بنِ فلاحٍ الكتاميّ– أحدِ أبرزِ قادةِ

الفاطميّينَ– إلى الرّملة ،وهو يطاردُ فلولَ الإخشيديّينَ في الشّام، ويشتبكُ معَ صاحبها (أبي محمد الحسن بن عبد الله بن طغج الإخشيديّ) بعدَ معاركَ طاحنة بينَ الطّرفينِ استطاعَ جعفرُ أسْرَ ابنَ طغج الإخشيديّ، وغيره من قادته، وأرسلهم جعفرُ إلى قائد الجيش جوهر، الذي أرسلهم– بدوره– إلى المعزّ الفاطميّ في المنصورة[48] ، ثم استولى جعفر على مدينة الرَّملة وعلى أموالها ، وبذلك، حقّق الفاطميّونَ أولَ نجاح عسكريٍّ لهم في المنطقة، إذ سيطروا عليها، وقضواعلى أكثر ولاّة الإخشيديّينَ، ونذكرُ أنّهم أقاموا الدعوةَ الفاطميّةَ في فلسطينَ والشّام[49]، وفي المقابل، كانَ ردّةُ فعلِ أهلِ السّنة والجماعة والخلافة العباسيّة إزاءَ قيامِ الدّولة الفاطميّة محدودةً وغيرَ فاعل، فلم يتعدَّ بعضُ الإجراءات ضدَّ الدُّعاة، وقامتْ حربٌ دعائيّةٌ ضدَّ السُّلالة الفاطميّة والتشكيكِ والطعن[50].

من حسن الإفادة، ذكرُ نسبِ الفاطميّينَ العائدِ إلى السيدة فاطمةَ الزّهراء –رضيَ الله عنها– [51] الذي ساعدهم على التمدّدِ والانتشار؛ فقد سيطرتِ الدّولةُ الفاطميّةُ– وهي في أوجِ قوتها– على شمالِ إفريقيا ومصرَ وبلادِ الشّام وصقليةَ واليمنِ و الحجاز، بما فيه مكةُ المكرّمة و المدينة المنورة[52].

ويُلحظُ أنَّ الدَّولةَ الفاطميّةَ عانتْ مشاكلَ كثيرة؛ لإحكام قبضتها على فلسطينَ والسيطرة على غيرها منْ أجزاء بلادِ الشامِ ، وقد نتجَ عنْ هذا الإخفاقَ ثوراتُ بعضِ القبائل وسكانِ المدن؛ فقد ثارتْ قبيلةُ طيّ[53] في فلسطين، وجلَبَ الثائرونَ فيها أحدَ أفراد الأسرة الحسينيّة[54] من الحجاز ونصبّوه خليفةً، غيرَ أنَّ هذه المحاولةَ كُتِبَ لها الفشلُ[55]، وتحالفتْ بعضُ قبائلِ الشّام مثل– طيٍّ وكلب وكلاب– لطرد الفاطميّينَ من الشّام، وقد حقّقَ هذا التحالفُ نجاحاً في البداية إلا أنّه أخفقَ في النّهاية[56]، وقاومتْ بعضُ المدن – التي حوتْ تنظيمات شبهَ عسكريّةً مثلَ: منظمةَ الأحداث[57] – الوجودَ الفاطميَّ، وتحالفتْ معَ القرامطة[58]، ولكنّها فشلتْ في النهاية أمامَ تعاظمِ القوّاتِ الفاطميّة– التي قامتْ بالتغلّب على جميعِ المصاعبِ في سبيلِ فرضِ سيطرتها على بلادِ الشّام –

كما ذُكرَ – آنفًا– من أنَّ مدينةَ الرّملة تملكُ موقعًا جغرافيًا منمازًا في جنوب بلادِ الشّام؛ مما أكسبها أهميّةً مكانيّةً مُتفرّدةً، وجعل لها مكانةً استراتيجيةً مطموعًا بها، ولا سيّما قربُها من مصرَ، الأمر الذي جعلَ الفاطميّين ينتبهون إلى موقعها، ويحتفلون بأهميتها، ويخططون للإفادة من مكانتها الاستراتيجيّة؛ نظراً لخطورةِ موقعها إزاءَ هدفهم الرّئيس الباحثينَ عن تحقيقه من خلالها، وهو الوصولُ إلى بغدادَ عاصمةِ الدَّولة العباسيّة، وبالإضافة إلى، كونها حلقةَ وصلٍ بينَ الشّام ومصرَ والعراق، كما أنّه لا مناصَ– لمَنْ يتوجّهُ إلى مصرَ – منَ المرورِ بها، بوصفها محطةً متوسطةً بينَ عاصمتيْنِ متنافستيْنِ على زعامةِ العالمِ الإسلاميّ، لذلك، كانَ الاحتفالُ بها كبيراً[59].

وفوقَ كلِّ ما ذُكرَ، فإنَّ مدينةَ الرّملة لحقَ بها دمارٌ شديدٌ إثرَ دخولِ الجيشِ الفاطميّ؛ فقام الجندُ الفاطميُّ بأعمالِ نهبٍ وسلبٍ حتى أمرَهم القائدُ جعفرُ بنُ فلاح بالتوقف عن هذه الأعمالِ المخرّبة للمدينة، ذلك، بعدَ أنْ قدمَ القاضي أبو بكرٍ النابلسيّ[60] رفعَ التماساً له، وطلبَ منه وقفَ أعمالِ السّلبِ والنّهب، فاستجابَ القاضي لطلبه[61]. بعدها تحرّكَ جعفرُ بنُ فلاحٍ إلى طبريّا(62)، واستخلفَ ولدَهُ عليها [63] .

والجديرُ سردُه في السّياق هذا، أنَّ جعفرَ بنَ فلاح أخضعَ – بالإضافة إلى مدينة الرّملة وطبريّة– عدداً منَ المدن الفلسطينيّة، ثم انتقلَ إلى سوريا، فأخضعَ دمشقَ، وخطبَ – مادحاً الفاطميّينَ– على منابرها بدلاً منَ العباسيّينَ، وهكذا، أصبحتْ معظمُ بلادِ الشّام تابعةً للدّولة الفاطميّة[64].

ويُذكرُ أنَّ القراطمة غضبوا كثيرًا من سيطرة الفاطميينَ على بلاد الشام، وأخذهم ابنَ طغجَ أسيرًا عندَهم؛ لأنّ الإخشيديّين كانوا يبعثونَ لهم مالاً قد سبقَ أن اتّفقوا [65] عليه سنةَ 357هـ – 967م مقداره ثلاث مائة ألف دينار سنوياً، فضلاً عن ذلك، إنَّ الإخشيديّين كانوا على وفاقٍ سياسيٍّ معهم، وبذلك، يكونوا قد خسروا قوةً يمكنُ الاعتمادُ عليها [66].

موقفُ أهلِ الرّملةِ منَ الصّراعِ الفاطميّ القرمطيّ:

يُلحظُ أنَّ موقفَ أهلِ الشّام – عامة– وأهلِ الرّملة– خاصة– من المدِّ الفاطميِّ الشيعيِّ القادمِ منَ المغربِ في بلادِ الشام كانَ معاديًا له؛ فقد لاقى جعفرُ بنُ فلاحٍ الكتاميّ مقاومةً كبيرةً اثناءَ سيره في بلادِ الشّام[67] ، وكانَ جعفرُ بنُ فلاح قد أساءَ التّصرّفَ معَ عددٍ منْ رجالِ الشّام الذين طلبوا منه الأمانَ[68] ، وشاركَ آلَ الجراح[69] أمراءَ الرّملةِ في الثورة ضدَّ الفاطميّينَ، وتحالفوا معَ القرامطة[70]؛ مما دفعَ جعفرُ بنُ فلاح لاتّباع سياسةَ فرّقْ تَسُدْ لضربِ القبائل العربية بعضها ببعض؛ حتى يسهلَ عليه السيطرةَ على القبائلِ المناهضةِ للحكمِ الفاطميِّ[71].

ويُشارُ، في هذا المقام التاريخيّ، إلى أنَّ قبائلَ الجزيرة العربية اتّبعتْ دعوةَ القرامطة سياسيًا ، فقط، وليسَ دينيًا ، بحكم إهمالِ الدّولة العباسيّة للقبائل العربيّة على خلاف معَ الدّولةَ الأمويّة[72] التي كانتْ تستقطبُ أبناءَ القبائل، وتجعلُهم عمادَ الجيوشِ والفتوحات، وتدخلُهم في العملِ السياسيِّ.

ويعودُ سببُ إهمالِ الدّولة العباسيّة لأبناء القبائل العربيّة، والثورات المتتالية والعصيانِ، إلى أوضاعهم الاقتصاديّة الصّعبة، فانضمتْ هذه القبائلُ للقرامطة مباشرة، دونما تردد، مثلُ بني هلال وبني سليم وبني معقل، وبني كلب وفزارة[73] وأشجع، وغيرهم، الذين كانوا عمادَ جيشِ القرامطةِ الذي غزوا به أنحاءَ الجزيرة العربية والعراق والشّام ومصرَ.

ويمكنُ الاستنتاجُ – مما سبق ذكرُه– أنّ حكمَ الخلافة العباسيّة لأقاليمها كان ضعيفًا وصوريًّا، فكانَ يكتفي الخلفاءُ أخذَ الأموالِ منَ الولاة، في أغلب الأحيان، درجةَ أنه إذا وجدَ الوالي في نفسه القدرةَ على الاستقلالِ عنَ الخلافة، فكانَ لا يتوانى عن ذلك، ولا يعيرُها أيَّ اهتمام، وسببُ ذلك، يعودُ إلى ضعف الخلافة[74] وتنازُع الولاة على الأقاليم؛ فقد طمعَ أصحابُ الافكارِ المخالفةَ للمذهبِ السنيِّ بالبلاد، فطمعَ القرامطةُ، وكذلك الفاطميّونَ) المغاربة (في الخلافة والسيطرة عليها، فدخلتْ فلسطينَ تحتَ لواء الدّولة الفاطميّة بدلَ الدّولة العباسيّة، ذات المذهب الشّيعيِّ الإسماعيليِّ المخالفِ لمذهبِ أهلها، فخضعتْ فلسطينُ وبلادُ الشّام ومصرُ للحكمِ الفاطميِّ.

ولعلّ مناقشةَ طبيعة حكمِ الفاطيّينَ لبلاد الشّام تظهرُ – بوضوح في هذا السياق– حالةَ التّعسّف والظّلم والفوضى والاستبداد، وحكمِ الفردِ الواحد، بوصفها سماتٍ مائزةً لهذا الحكم ونظامه؛ مما جعلَ ذلك القبائلَ العربية تثور عليهم منذ البداية؛

فثارت عليهم القبائلُ العربيةُ التي تسكنُ فلسطينَ لمعاملتهم السّيئة[75]، وكانت معظمُ القبائل تتمنّى عودةَ الحكم الإخشيديِّ، فأصبحتْ فلسطينُ مركزًا لتجمع العناصر المناوئة لقوّات جعفر بن فلاح القادمة منَ المغرب وللفاطميّينَ الشّيعة[76]، وعلى ما يبدو أنَّ ثورات القبائل العربية كانتْ ضدَّ النمط الثّقافيِّ القادم من بلاد المغرب بقيادة الفاطميّينَ؛ فجيوشُهم كانتْ تحكمُها عاداتٌ وتقاليدُ مغربيّة تختلفُ عن الأنماط الثقافيّة ، التي كانتْ تسودُ فلسطينَ وبلادَ الشّام، وقد يكونُ، منَ الممكن، أنَّ سوءَ تصرّفات قادة الجيوش الفاطميّة القادمينَ منَ المغرب معَ سكانِ بلادِ الشام، السببُ الرّئيسُ في ثوراتِ القبائلِ العربية.

ويمكنُ إجمالُ موقف معظم سكانِ الرّملة وغيرها منْ جنوب فلسطينَ، بأنّهم كانوا يؤيّدونَ نجاحَ القرامطة في القضاء على الدّولة الفاطميّة، ويمتثّل هذا الموقفُ – بوضوح– في القاضي أبي بكر النابلسيِّ الرّمليِّ، وهو أحدُ مشايخُ الرّملة، الذي كانَ يدعو إلى قتالِ المغاربة « الفاطميّينَ»، ويحثُّ على ذلك، وربما يرجعُ موقفُه المتشدّد منهم إلى مخالفتهم في العاداتِ والتقاليد والمذهب الدينيِّ، وكان يقولُ في ذلك: «لو معي عشرة أسهم لرميتُ تسعةً في المغاربة، وواحدًا في الرّوم»، وهذا يبرهنُ مقدارَ غضبِ جماهيرِ الرّملة وعدائهم للفاطميين، ويُظهرُ – في الوقت نفسه– سببَ مساندتهم للقرامطة، الذين أظهروا طاعتَهم للخلافة العباسيّة، ويشيرُ – لو منْ بعيد– إلى ما لقيَه مشايخُ السّنّة منَ العنف والتّنكيل، وكذلك، إلى مقدارِ الحقد الفاطميِّ الدّفين على كلِّ من لا يرى رأيَهم؛ فقد عذّبَ القاضي أبا بكرٍ النابلسيِّ، وقتلَ وسلخَ وحشى جلدَه تبناً، ونُصبتْ جثتُه وجلدُه على خشبٍ أيّاما[77] .

نُجملُ بعضًا – في البحث هذا– من نتائج هذه الثورات التي وقعتْ أثناءَ حكمِ الفاطميّينَ مدينةَ الرّملة؛ فقد انتزعَها منهم آلُ الجراح مدّةً من الوقت امتدّتْ منْ (360هـ419--هـ -971 1028م)، إذ جرتْ معاركُ عدّة بينَ قادة الجيوش الفاطميّة، وأنصارِ آلِ الجراح، الذين امتدّتْ سطوتُهم إلى جبالِ الشّراة، ويعودُ الفضلُ في تولّي آلِ الجراحِ أمرَ المدينة إلى الحسن بن أحمد القرمطيّ، الذي ساندَ آلَ الجراحِ في حروبهم ضدَّ الفاطميّينَ[78].

والجديرُ إعادةُ ذكره، بأنَّ الحكمَ الفاطميَّ لبلاد الشّام غيرُ مستقر بل كانَ مضطربًا، فقد نازعَ سكانُ بلادِ الشّام نفوذَ الفاطميّينَ القادمينَ بجيوشهم منَ المغرب، مما شجّعَ القبائلُ العربيةُ على الاتحاد، وتدعيم قواها، وبسط سيطرتها على مناطقَ نفوذها، وأمامَ هذا الواقع عملَ جعفرُ بنِ فلاحٍ الكتاميِّ على استمالة زعماء بعض القبائلِ العربية بالمالِ، وقدمَ لهم الدعم في سبيل التخلص من بعض خصومهم[79].

وتابعَ جعفرُ بنُ فلاحٍ الكتاميِّ قائدُ المعزِّ لدين الله الفاطميِّ بعدَ السيطرة على الرَّملة توجّهَ إلى دمشقَ، ودخلَها سنةَ 359هـ/970م، وبقيَ فيها، وعندما علمَ القرامطةُ بذلك، توجّهوا نحوَ دمشق، وحاصروا جيشَ جعفرِ فلاحٍ فيها، وتمكّنوا من هزيمته وقتله سنةَ 360هـ/971م [80].

ثمّ استطاعَ قائدُ القرامطة الحسنُ الأعصمُ أن يسيطرَ على وسط بلاد الشّام، ويدخلُ دمشقَ وجنوبَ بلاد الشّام، ويدخلُ الرملةَ، ويسيطرُ عليها، وعلى مناطقَ شاسعةٍ حولَها[81].

ويُفهم – مما أنفَ ذكرُه– أنَّ تهديدًا شديدًا سيلحقُ بالوجود الفاطميِّ في مصرَ وبلاد الشّام؛ لأنّ معظمَ سكانِ الرّملة – كما ذُكرَ سابقًا– ساندوا القرامطةَ الذينَ أظهروا تسامحًا لسكانها، واهتمامًا بمصالحهم ، وهذا ما يؤكدُ – بوضوح– أنَّ الرملةَ أصبحتْ، في تلكَ الفترة، مركزاً لتجمّع العناصرِ الناقمة على الفاطميّينَ، وجيوشهم القادمة من بلاد المغرب، وخاصةً العناصرَ التي ما تزالُ تؤيّدُ الحكمَ الإخشيديِّ لمصرَ وبلاد الشّام، وكذلكَ، العناصرَ التي تناوئُ الفاطميّينَ على أساسِ أنّهم شيعةٌ إسماعيليّة مخالفونَ لمذهبهم[82].

لذلك، رحّبَ سكانُ الرّملة بسيطرة القرامطة على مدينتهم بدلاً منَ الحكم الفاطميِّ، ويُشارُ إلى أنَّ القرامطةَ – في تلكَ الفترة– لم ينشروا تعاليمَ معتقدهم الشّيعيِّ، ولكنّهم ركّزوا على النّواحيَ السياسيّةَ، وكانَ الكثيرُ من سكانها يَجهلُ مبادئَهم التي تقامُ على الفكر الشّيعيِّ الإسماعيليِّ ، أو ربّما كانَ النمطُ الثقافيُّ للقرامطة أقربَ إلى عاداتِ القبائلِ العربيّة المقيمة في بلاد الشّام، لأنَّ معظمَ القرامطة كانوا منَ القبائل البدويّة، بينما جيوشُ الفاطميّينَ في معظمهم منَ الأمازيغ، وأكثرُهم من قبيلة كتامة[83] على وجه التّحديد.

ومن هذا السياق، يتبيّنُ وجودُ اختلاف ثقافيٍّ كبير، ووجودِ ردِّ فعل كبير لدى معظم القبائلِ العربيّة، التي كانتْ تسكنُ في بلادِ الشّام، وجعلتْهم يؤيّدونَ القرامطةَ على الفاطميّينَ لوجودِ مصالحَ ماديّة مشتركة بينَ هذه القبائلِ والقرامطة.

ولذلك، لم يقف القرامطةُ موقفَ المتفرّج على ما جرى في الرّملة وبلاد الشّام، أمامَ الهجوم الفاطميِّ الذي أزالَ نفوذَهم من دمشقَ وطبريّا والرّملة، إذ أخذَ نفوذُهم يتوسّعُ في بلاد الشّام، الأمرُ الذي دفعَ والي الفاطميّينَ على الرّملة سعادةَ بنَ حيان[84]، بأنْ يرسلَ إلى جوهر الصقليِّ في مصرَ يخبرُه بحقيقة الهجوم القرمطيِّ الذي تعرّضَ له، وأنّه لا طاقةَ له على صدِّ القرامطة أو منعهم منَ التقدّم نحوَ القاهرة للقضاء على الدّولة الفاطميّة[85] .

ويُلحظُ أنَّ جوهرَ الصقليَّ بات يمتعظُ كثيرًا من وضع لا يحسنُ السكوتُ عنه، ولا سيّما عندما تيقنَ منْ تعاظم قوة القرامطة، وحلفائهم منَ القبائل العربية الموجودة في مدينة الرّملة وحولَها، وأنَّ مصرَ أصبحتْ مهددةً منَ القرامطة وحلفائهم ، فلجأ جوهرُ الصقليُّ إلى إجراءات عدّة؛ لإفشال هجوم القرامطة على مصرَ، فأقامَ خندقاً حولَ القاهرة، وبدأ يتجهزُ للسيرِ إلى الرّملة لمواجهة الحسن الأعصم في ضربة وقائيّة قبلَ أن يتوجّهَ القرامطةُ إلى القاهرة[86].

هجومُ القرامطةِ على مصرَ:

أخذَ الحسنُ الأعصمُ يستعدُّ للتوجّه إلى مصرَ لمهاجمة الفاطميّينَ في عقرِ دارهم، واجتمعَ معه خلقٌ كثيرٌ منَ القبائلِ العربيّة الناقمة على الفاطميّينَ[87]، وكانَ ممن ساندَهم حسّانُ بنُ الجراح الطائيُّ أميرِ العربِ بالشّام، ومعَه جمعٌ عظيمٌ منَ القبائلِ العربيَّة والإخشيديّة والكافوريّة[88].

وانضمتْ معظمُ القبائلِ العربيّة التي كانتْ تسكنُ جنوبَ الشّام وفلسطينَ إلى قوات القرامطة، ودعمتْها بكلِّ ما في وسعها بعدَ أنْ أعلنَ القرامطةُ الخطبةُ للعباسيّينَ، وإلغاءَ الخطبة للفاطميّينَ، مما زادَ منَ الأعباء الملقاة على كاهل الفاطميّينَ في المنطقة[89]. ولم تستطعْ قواتُ الفاطميّينَ في الرَّملةِ وحولَها من مناوشة قوّاتِ

القرامطة حتى تصلَ القوّاتُ الفاطميّةُ من مصرَ[90].

ويُذكرُ أنَّه أمامَ هذا الهجوم الكاسح اضطرّتْ القوّاتُ الفاطميّةُ إلى ترك الرّملة والتّوجّهُ إلى يافا، ولكنَّ الحسنَ الأعصمَ لم يتركْها، بل قرّرَ القضاءَ على هذه القوّات، أو إضعافَها قبلَ التّوجّهه إلى مصرَ، فطاردَهم وحاصرَ المدينةَ حصاراً قاسياً حتى هلكَ أكثرَ المحاصرينَ في يافا جوعاً[91]، وزادت الأعباءُ الملقاةُ على كاهل الجيوش الفاطميّة الموجودةَ في بلاد الشّام[92]، وأصبحت الأمورُ وكأنّها ثورةٌ شاملةٌ ضدَّ الوجودِ الفاطميِّ في بلاد الشّام ومصرَ؛ لأنَّ القرامطةَ كانَ يراودُهم حلمُ القضاءِ على الدَّولةِ الفاطميّةِ في مصرَ[93].

استمرَّ الحسنُ الأعصمُ في حصارِ الفلولِ الفاطميّة في يافا حتى تأكّدَ من هلاكِ عددٍ كبيرٍ منهمْ جوعًا، ثمَّ كلّفَ أحدَ قادته بالاستمرارِ في محاصرتهم، واتّجَهَ معَ مجموعته الكبيرة إلى مصرَ سنةَ 361هـ/972م، وزادتْ جموعُ القرامطةَ أثناءَ توجُّههم إلى مصرَ بمَنْ انضمَّ إليهم منَ العناصرِ الحاقدة على الفاطميّينَ، ومنَ المرتزقة على طولِ خطِ سيرِ الحملةِ منَ الرّملةِ إلى مصرَ، حتى بلغتْ أعدادٌ كبيرةٌ جداً، وانضمَّ إليهمُ الكافوريّةُ والإخشيديّةُ، فاجتمعوا بعينِ شمس،وخرجَ إليهمْ جوهرُ الصقليُّ بقوّاته أكثرَ منْ مرّة، وكانَ الظّفرُ فيها للقرامطة[94]، واستطاعتْ هذه القوّاتُ أن تسيطرَ على أجزاءٍ كبيرةٍ من مصرَ، ولكنَّ قواتَ جوهرِ الصقليِّ تمكنتْ في نهايةِ الأمرِ من صدِّ هذه الجموعِ الكبيرة، وكسْبِ المعركة، وطاردت القرامطةَ ومنْ معهم، حتى مدينةِ الرّملةِ مركزِ تجمّعهم في بلادِ الشّام[95].

لم تكنْ هذه الهزيمةُ نهايةً للقرامطة، فقد عادوا إلى يافا المحاصرة، وشدّدوا الحصارَ عليها من جديد، الأمرُ الذي جعلَ جوهرَ يرسلُ نجدةً بحريةً للمدينةِ المحاصرة، وقد استطاعَ القرامطةَ منَ القضاءِ على هذه النجدةِ التي لم ينجُ منها سوى مركبينِ غنمَهما الرومُ في البحر[96]، ويعلّقُ الدوادريُّ على هذا بقوله : « لما انهزمَ القرامطةُ من مصرَ عائدينَ إلى قواعدهم في الرّملةَ أرسلَ جوهرُ ابنَ أخته إبراهيمَ نجدةً إلى ابنِ حيّانَ المحاصرِ في يافا، ولمّا علمَ المحاصرونَ أنَّ جيشَ مصرَ في طريقه إليهم ساروا عنها، واتّجهوا إلى دمشق[97].

ولعلّه منْ فائدةِ القولِ في هذا المقام، إنّه إذا صحّتْ هذه الروايةُ فإنّها تعارضُ ما جاءَ به ابنُ الأثيرِ أنَّ القرامطةَ دمّروا النجدةَ البحريّةَ الفاطميّةَ المُرسلةَ من مصرَ إلى يافا المحاصرة ، والبحثُ هذا ليسَ بصددِ ترجيحِ روايةٍ على أخرى؛ لأنَّ تطوراتِ الأحداثِ أثبتتْ بعدَ ذلكَ أنَّ القرامطةَ عادوا ثانيةً إلى الإحساءِ معَ الاحتفاظِ لأنفسهم بحقِّ العودةِ متى شاؤوا إلى بلادِ الشّام ومصرَ، وكانَ – وفقَ ما ذُكرَ آنفًا أنَّ– القرامطةُ يراودُهم حلمُ تحطيمِ الخلافةِ الفاطميّةِ وإضعافها، على الرّغم منْ أنَّ الطرفيْنِ يَدينانِ بالفكرِ الشّيعيِّ الإسماعيليِّ، كما أنَّ الهجومَ على مصرَ يفسّرُ لنا سرعةَ توجّه المُعزِّ لدين الله الفاطميِّ منْ بلادِ المغربِ إلى مصرَ في أواخرِ سنةِ 361هـ /972م، التي وصلَها في بدايةِ سنةَ362هـ /973م ، وذلك، بعدَ أنْ استعملَ على بلادِ المغربِ يوسفَ بنَ بلكينَ[98] بنَ زيريَ بنَ مَنادِ بنِ الصنهاجيِّ الحميريِّ[99].

وعُثرتْ – في السياقِ هذا – على رواياتٍ أخرى تشيرُ إلى أن القرامطةَ توجّهوا إلى مصرَ في الوقتِ الذي وصلَ إليها المعزُّ قادمًا من بلادِ المغربِ سنةَ 362هـ/973م بزعامةِ الحسنِ الأعصم، انطلاقاً منْ مدينةِ الرّملةِ مركزَ تجمّعهم في جنوبِ بلادِ الشّام، وقاموا بهجماتٍ عدّةٍ على المدنِ والقرى المصريّة، ونهبوا وسلبوا، ثمَّ التقى بهم المُعزُّ لدينِ الله الفاطميِّ في معركةِ (ميسولِ الطواحينِ) التي هُزمَ فيها المُعزُّ، وتقهقرَ إلى القاهرةِ مهزوماً (100) أمامَ جموعِ القرامطةِ وحلفائهم، فتبعَهُ الحسنُ الأعصمُ، وضربَ الحصارَ على مدينةِ القاهرة، وهدّدَ المعزُّ في عقرِ داره ، وكادتِ الدّولةُ الفاطميّةُ أن تسقطَ لولا أنَّ المعزَّ لجأَ إلى الدبلوماسيّةِ النفعيّةِ، فقدْ عرضَ الأموالَ على الحسنِ مقابلَ فكِّ الحصارِ، والعودةَ إلى جنوبِ فلسطينَ فوافقَ الحسنُ الأعصمُ على قبضِ الأموالِ، وعادَ إلى الرّملة[101].

ولعلّ هذه الواقعةَ – وهي قبولُ الحسنِ الأعصمِ الأموالَ– تُثبتُ بالدّليلِ الظّاهرِ أنَّ القرامطةَ ليسوا طلابَ حكمٍ بمقدارِ ما هم طالبوا مالٍ وغزوٍ وتدمير، ويرجعُ ذلكَ إلى طبيعتِهم الصحراويّةِ القاسيةِ (102)؛ إذْ إنَّ معظمَهم منَ القبائلِ العربيةِ، التي تعيشُ قسوةَ الصّحراء، وقلةَ الموارد الاقتصاديّة، كما تُبيّنُ هذه الأحداثُ المتلاحقةُ أنَّ المعتقدَ الدينيَّ لم يكنْ له تأثيرٌ بارزٌ في مجرياتِ الأحداثِ بينَ القرامطةِ والفاطميّينَ الذينَ يجمعُهم الفكرُ الشّيعيُّ الإسماعيليُّ.

وثمةَ أحداثٌ أخرى أنبأت عن سعي القرامطة إلى كسبِ الأموالِ دونَ إرادةِ الحكمِ والسيطرةِ المطلقة، وهي أنّهم هاجَموا الفاطميّينَ، وكادوا أنْ ينهوا الدّولةَ الفاطميّةَ، ولكنّهم – مجرّدَ حصولهم على مبالغَ كبيرةٍ منَ المال– عادوا إلى الرّملة، ولو أنَّهم طلبوا الحكمَ والسّياسةَ لحصلوا دونما عناءٍ وجهدٍ كبيرين، ولما عادوا حيثُ أتوا، وبخاصةٍ أنَّهم كانوا قد انتصروا على المعزِّ لدين الله الفاطميِّ، كما أنَّهم حاصروه في عاصمته، وكانَ بإمكانهم أن يحقّقوا مكاسبَ كثيرةً أخرى، إلا أنهم آثروا الرجوعَ إلى الرّملة، مما يبرهنُ على قصرِ نظرهم السياسيّ، ولا سيما فهمُ الأمورِ والرؤى السياسيّةُ العليا في ذلكَ الوقت، ويمكنُ تحليلُ هذه المواقفِ التي قامَ بها القرامطةُ في هذه السّياقاتِ إلى مظانٍ كثيرة، منها: أنّهم ربّما اعتقدوا أنّهم مرفوضونَ منَ الخلافةِ العباسيّةِ المسيطرِ عليها منَ البويهيّينَ[103]، أو أنَّهم رأوا أنَّ عدمَ القضاءِ على الخلافةِ الفاطميّةِ يكونُ في مصلحتهم؛ لحفظِ التّوازنِ في ظلِّ وجودِ الخلافةِ العباسيّة. ويمكنُ منحهُم العذرَ لذلك، فقد يكونوا محقينَ في قبولِ الأموالِ والإبقاءِ على الخلافةِ الفاطميّةِ في مصرَ؛ لأنَّ المطيعَ العباسيَّ رفضَ أن يوليَ الحسنَ الأعصمَ بلادَ الشّام ومصرَ، لأنّه شيعيٌّ إسماعيليٌّ، ومتسلّطٌ ولا يؤمَنُ شرُّه، وحيادُهُ معَ الفاطميّينَ، على الرّغم من عزمه على قتالهم؛ أجْلَ مصالحِ شخصيّة، من ثَمَّ، إنَّ عزَّ الدّولةَ البويهيَّ الشيعيَّ الزيديَّ المتسلّطَ على الخلافةِ العباسيّةِ في بغدادَ، كانَ لا يحبِّذُ أنْ يتولّى الحسنُ الأعصمُ بلادَ الشّام؛ لاختلافِ المذاهبِ الشّيعيّةِ بينهم، كما كانَ يخشى أن ينضمَّ الحسنُ الأعصمُ للفاطميّينَ، وبذلك، ينازعونَه الحكمَ على أساسِ أنّهم من نسلِ فاطمةَ بنتِ الرّسول– صلّى الله عليه وسلّمَ– وأنّه أحقُّ منْ بني بويه بالخلافة، وكانتْ هذه سياسةُ البويهيّين تجاهَ الفاطميّينَ، وهذا يبررُ – لهم – عدمَ اتحادهم، ويفسّرُ عدمَ قضائهم على الخلافةِ العباسيّة، التي كانتْ ضعيفةً في ذلكَ الوقت[104].

ويُذكرُ أنَّ المعزَّ حفظَ صنيعَ الحسنِ الأعصمِ في مراسلةٍ ثنائيةٍ مشفوعةٍ بتهديدٍ مبطّنٍ من كلا الطرفين، حاولَ فيها المعزُّ منعَ

وصول الحسن إلى مصر؛ ففي عام 363 هـ/974م عادَ القرامطةُ إلى الرّملة في طريقهم إلى السيطرة على مصرَ، ولمّا علم بهم المعزُّ لدين الله الفاطميّ أرسل كتاباً إلى الحسن الأعصم يذكرُ له فضلَه ، وفضلَ أهل بيته، وأنَّ الدعوةَ الفاطميّةَ والقرمطيّةَ دعوةٌ واحدةٌ، وأنَّ دعوةَ القرامطةِ في الأصل هي للمعزِّ وآلِ بيته، ثم هدَّدَه المعزُّ في كتابه ، وتوعّدَه بالويل والثبور، إذا لم يرجعْ من حيثُ أتى ، ولكنَّ الحسنَ الأعصمَ ردَّ عليه بكتاب مختصر، جاءَ فيه: «وصلَ كتابُك الذي قلَّ تحصيلُه وكثرَ تفصّيلُه ، ونحنُ سائرونَ إليكَ والسّلام»[105]، واستمرَّ في سيرِه نحوَ مصرَ، فدخلَها وعسكر في عين شمس[106]، ومنها أرسل جنودَه، تعبثُ فساداً وسلبًا ونهبًا في أرجاءِ مصرَ، وقتلوا أناسًا كثيرينَ، وشرّدوا الناس من أماكنِ سكناهم، وكثرتْ جموع القرامطة مستغلّةً الظروفَ؛ لتحقيقِ مكاسبَ على حساب المعزِّ، وكانَ ممن انضمَّ إلى قوّات القرامطة حسّانُ بنُ الجرّاح الطّائيّ[107]، أميرُ العربِ في الرَّملة وفلسطينَ معَ جموعه التي رجّحت كفةَ الحسنِ الأعصمِ في حروبِه معَ الفاطميينَ[108] .

فلمّا رأى المعزُّ الفاطميُّ ذلكَ استعظمَ الأمرَ وأكبرَه، وتحيّرَ فيه، ولم يَقدمْ على إخراجِ عسكرِه لقتالهم، وقامَ جوهرُ الصقليُّ بحفرِ خندقٍ حولَ القاهرةِ منَ الشّمالِ، وبنَى قنطرةً على الخليجِ منَ الجانبِ الغربيِّ للمدينةِ، وعبّأ جيشَهُ المغربيُّ، وانضمَّ إليه عددٌ منَ المصريينَ. وأمامَ هذا الواقعِ السيئِ الذي تعرّضتْ له القاهرةُ ضاعفَ المعزُّ لجوهرِ المالَ والسّلاحَ والرجالَ؛ لكي يتمكّنَ من هزيمةِ القرامطةِ، أو إفشالِ خطتِّهم التي ترمي إلى احتلالِ القاهرةِ[109].

ولمجابهةِ هذا الموقفِ المتأزّمِ لجأَ المعزُّ لاستعمالِ الحيلةِ والخديعةِ في معالجةِ الموقفِ، وكانَ يهدفُ إلى إخراجِ القرامطةِ منْ مصرَ بأقلِّ الخسائرِ الممكنةِ وفقَ الظّروفِ المتاحةِ أمامَه، ونزلَ المعزُّ على رأيِ مستشاريِّه لضرورةِ الاتصالِ بابنِ الجراحِ وإغرائِه بالمالِ، لينفصلَ عنِ الحسنِ الأعصمِ، وعندَ الاتصالِ به وجدَ عندَه ليونةً[110]، وأجابَه ابنُ الجرّاحِ إلى مَا طلبَ منه فاستحلفوه فحلفَ أنّه إذا وصلَ إليه المالُ المقررُّ انهزمَ بقوّاته[111]، وتأكّدَ المعزُّ من اتمامِ العمليةِ، وبذلَ له مئةَ ألفَ دينارٍ مقابلَ التخلّي عن حليفه، ثمَّ أرسلَ إليه، وحلفه على ألّا يخونَه، ويعودُ إلى مصرَ، فوافقَ ابنُ الجرّاحِ، وكانتِ الخطّةُ تقضي بانهزامِ ابنِ الجرّاحِ من صفوفِ القرامطةِ حالما يصلُه المالُ[112].

لكنَّ المعزُّ الفاطميُّ استكثرَ المالُ، فضربَ دنانيرَ من نحاسٍ وطلاها بالذّهبِ، وجعلوها في أسافلِ الأكياسِ، وجعلوا الذّهبَ الخالصَ على رؤوسِها ليغطيَ ما تحتَها، وشدّتِ الأكياسُ، وحُملتْ إلى ثقةٍ من ثقاتِ ابنِ الجرّاحِ بعد ما استوثقوا منه، وعاهدوه بأنْ لا يغدرَّ بهم، فلمّا وصلَ المالُ إلى ابنِ الجرّاح[113]، قامَ بدفعِ أكياسٍ منَ الذّهبِ إلى اتّباعِ كافورٍ وأتباعِ الإخشيدِ الذينَ همَ معَ القرامطةِ، ووعدوا بالانصرافِ، وخذلَ القرامطة[114]، وطلبَ من كبراءِ أصحابِه بأنْ يتّبعوهُ إذا تواقفَ العسكرانِ، ولمّا حصلتِ الحربُ واشتدَّ القتالُ، تظاهرَ ابنُ الجرّاحِ بالهزيمةِ، وولّى منهزمًا في جمعٍ كبيرٍ واتّبعَه أصحابُه، فلمّا رأى الحسنُ الأعصمُ ذلكَ انصدمَ، واحتّارَ أمرُه واستغربَ من تصرّفه هذا غيرِ المتوقّعِ ، وبخاصةٍ أنّه يعرفُ ثباتَه وشدةَ جنودِ الرّملةِ، فكانَ جهدُه أنْ يقاتلَ حتى النّهايةِ، فثبتَ وقاتلَ بشجاعةٍ، ولكنَّ هذه الشجاعةَ كانتْ غيرَ مجديةٍ بعدَ خسرانِه قوّاتِ الرّملةِ، وأحاطَ به الجيشُ الفاطميُّ من كلِّ جانبٍ، ونهبوا عسكرَه[115] ، فخشيَ الأعصمُ على نفسه ، وانهزمَ وخرجَ من مصرَ بعدَ أن خسرَ عددًا كبيرًا من الأسرى والقتلى في المعركة[116]، ونادَى جوهرُ يشجّعُ المصريّينَ وقّواتَه، قائلا:»مَنْ جاءَ بالقرمطيِّ (الحسنِ الأعصم) أو برأسه فله ثلاثمائة ألف دينارٍ وخمسينَ خلعة وخمسينَ سرجًا بدوابها[117]، وهكذا، انهزمَ القرامطةُ في هذه الجولةِ بعدَ أنْ تمكّنوا منْ أن يلقوا بمنشوراتهم الثّوريّة في جامعِ عمرو بنِ العاصِ في الفسطاط، وكانوا قابَ قوسيْنِ او أدنى لدخولِ القاهرةِ عاصمةِ الفاطميّينَ[118]، وعلى الرّغم من هذه الهزيمةِ التي مُنيتْ بها قوّاتُ القرامطة، وطّدَ الحسنُ الأعصمُ العزمَ على مواصلةِ القتالِ في المستقبلِ، وتوعّد بالعودةِ إلى مصرَ، وهو القائلُ[119]:

زَعمتْ رجالُ العربِ أنّي هبْتُها فدَمي إذنْ ما بينهم مطلـــــولُ
يا مصرُ إنْ لم أروِ ماءَكِ منْ دمٍ يَروي ثراكِ فلا سقاني النيـــلُ

تأكّدَ القرامطةُ بعدَ هذه الهزيمةِ أنَّ خططَهم لا تسيرُ وفقَ المطلوبِ؛ فعادوا إلى الرّملةِ، ومنها إلى الإحساءِ، وعلى الرّغم منْ أنَّ المعزَّ الفاطميَّ أرسلَ قائدَه أبا محمودِ بنِ إبراهيمَ بنِ جعفرِ بنِ فلاحٍ في عشرِ آلافِ مقاتلٍ لمطاردةِ فلولِ القرامطةِ إلا أنّه عجزَ عنْ تحقيقِ هذه المهمةِ لخوفِه من حركةِ الالتفافِ، التي قد يقومُ بها الحسنُ الأعصمُ، ومن ثَمَّ، لم يجرؤْ أيُّ أحدٍ من قادةِ المعزِّ منْ مطاردةِ فلولِ القرامطةِ المنهزمةِ خوفاً منهم، وهمْ مهزومونَ[120]، ولو فعلوا لكسبوا كثيراً، وقتلوا عددًا كبيرًا من فلولِ القرامطةِ المنهزمينَ، وأراحوا مصرَ منهمْ مدّةً طويلة[121].

وعندَ الوقوفِ على تصرّفِ ابنِ الجرّاحِ معَ حليفِه الحسنِ الأعصمِ، يمكنُ تفسيرُ بأمورٍ عدّةٍ منها: أنَّ ابنَ الجرّاحِ سعَى وراءَ المالِ بغضِّ النّظرِ عنِ الطّريقةِ التي يحصلُ بها عليه، ومن أينَ يأتيه، وقدْ يكونُ الخلافُ المذهبيُّ بينَ القرامطةِ وابنِ الجرّاحِ شجعَّه على قبولِ المالِ، أو شعرَ بأنَّ القرامطةَ كانوا قد غزوا مصرَ في المرّةِ السّابقةِ، وعندما دفعتْ لهم الأموالُ تركوها، وعادوا إلى الرّملةِ، ففضّلَ الاستحواذَ على الأموالِ قبلَ أن تدفعَ للقرامطةِ، ومن ثَمَّ، فإنَّ هذا الموقفَ يبرهنُ على انعدامِ الثقةِ بينَ الحسنِ الأعصمِ وحليفه ابنِ الجرّاحِ، رغمَ وجودِ اتفاقٍ يتحدثُ عن بعضِ مصالحَ مشتركةٍ بينَ الطرفيْنِ، التي كانَ من ضمنها الهجومُ على مصرَ، ومحاربةُ الدّولةِ الفاطميّةِ، التي يتعارضُ وجودُها معَ مصالحِهم في بلادِ الشّامِ.

ولم يكتفِ الفاطميّونَ وولاتُهم في الشّامِ بإعادةِ السيطرةِ بعدَ طردِ القرامطةِ، بل أساؤوا إلى معظمِ السكانِ في كلِّ المواقعِ في الرّملةِ وطبريّا ودمشقَ وغيرِها، وحصلَ ذلكَ ما بينَ (سنةَ 364-363هـ/974م975-م) بأنْ أخرجَ أبا محمودٍ من دمشقَ بعدَ أنْ ثارَ أهلُها عليه لما اقترفَه من أعمالٍ مشينةٍ، وانتقلَ إلى الرّملةِ مرغماً بأمرٍ منَ المعزِّ، وأقامَ في الرّملةِ غيرَ محبوبٍ منَ السّكانِ حتى قدمَ افتكينُ التركيُّ إلى بلادِ الشّامِ[122] .

والجديرُ بيانُه في السياقِ عينه، أنَّهُ بعدَ انتصارِ جوهرِ الصّقليِّ على القرامطةِ انضمَّ بقايا الإخشيديّينَ والكافوريّينَ إلى الفاطميّينَ، واستردّ جوهرُ مدينةَ الفورما[123]، وكانَ القرامطةُ قد استولوا عليها، وزحفَ باتّجاهِ فلسطينَ، وعندَ وصولِه يافا شدّدَ هجومُه على القرامطةِ، الذينَ كانوا يحاصرونُها، وأرغمَهم على الانهزامِ إلى دمشقَ، ولم يبقَ للقرامطةِ سوى دمشقَ وضواحيها، وكانَ عليها ابنُ المنجا[124]، وظالمُ بنُ موهبٍ العقيليّ[125]، فاشتدَّ النّزاعُ بينَهما على النفوذِ، وكان العقيليُّ على اتّصالٍ سريٍّ معَ الفاطميّينَ، ولهذا،

عادَ الحسنُ الأعصمُ منَ البحرينِ، وكانَ قد ذهبَ إليها بعد هزيمته أمامَ جوهرٍ، ينتصرُ لابنِ منجا، ويقبضُ على العقيليِّ ويسجنُه[126].

أمَّا المعزُّ الفاطميُّ فوجّهَ اهتمامه إلى القضاءِ على القرامطة، ووضعَ حدًّا لهم، فلحقَ بجيشِ الأعصمِ حتى عُمانَ، ولكنّه أثناءَ انسحابه كانَ قائدًا حكيمًا ؛ إذ لم يمكّنِ الفاطميّينَ منه، وسارَ باتّجاهِ البحرينِ تاركًا في سوريا ابنَ المنجا، أمَّا الجيشُ الفاطميُّ فكانَ لواؤُه معقودًا لأبي محمودِ بنِ جعفرِ بنِ فلاحٍ، وفي سوريا انضمّتِ القبائلُ العربيّةُ العديدةُ إلى الجيشِ الفاطميِّ، وبالإضافةِ إلى ظالمِ العقيليِّ الذي كانَ يؤيّدُ الفاطميّينَ تأييدًا سريًّا، وعندما وصلَ الجَيشُ الفاطميُّ إلى دمشقَ سنةَ 363 هـ/974م احتالَ ظالمٌ على ابنِ المنجا، وقبضَ عليه، وسلّمَه إلى الفاطميّينَ معَ عددٍ كبيرٍ من قوّادِ الأعصمش، أمّا ظالمٌ فقد استمرَّ في دمشقَ عاملًا عليها منَ الفاطميّينَ فترةً طويلةً منَ الزّمنِ[127] .

وهكذا، لم تدُم السّيادةُ الفاطميّةُ على بلادِ الشّامِ في الفترةِ الأولى من أيّامِ جوهرِ الصقليِّ، وبخاصةٍ جنوبُ الشّامِ التي كانتْ مركزًا للقيامِ بغاراتٍ على مصرَ[128]، ولَم ينتهِ الصّرَاعُ القرمطيُّ الفاطميُّ فيَ أيّامِ المُعزِّ الفاطميِّ الذي عملَ على استردادِ بلادِ الشّامِ وفلسطينَ مَن افتكينَ[129] التركيِّ والقرامطة؛ إذ أُرسلَ جوهرٌ الصقَليُّ على رأسِ جيشٍ كبيرٍ تمكّنَ من الاستيلاءِ على الرّملةِ، وكانَ القرامطةُ هربوا منها، وعادوا إلى البحرينِ، ثمَّ سارَ جوهرٌ إلى دمشقَ، وحاصرَها ستةَ أشهرٍ، واضطرَّ إلى التقهقرِ حين علمَ وصولَ الحسنِ الأعصمِ القرمطيِّ، الذي استنجدَ بافتكينَ، وتوجَّها إلى عسقلانَ وحاصرَا بها جوهرَ، فاضطرَّ إلى طلبِ الصلحِ، ومهّدَ بعملِه هذا إلى الموقعةِ الحاسمةِ التي دارتْ على نَهرِ الطواحينِ[130] بالقربِ منَ الرّملةِ بينَ الفاطميّينَ بقيادةِ المعزِّ الفاطميِّ، وبينَ القرامطةِ بزعامةِ الحسنِ الأعصمِ والأتراكِ بزعامةِ افتكينَ، وحلّتِ الهزيمةُ بالقرامطةِ وافتكينَ، الذي سيقَ إلى القاهرةِ معَ بعضِ انصارِه منَ الأتراكِ والدّيلم[130]، وتمكّنَ الفاطميّونَ منَ الاستيلاءِ على دمشقَ، الذينَ أقيمتْ لهم الدعوةُ الإسماعيليّةُ على منابرِها[131].

وبذلك، ضعفتْ شوكةُ القرامطةِ، وتفكّكتْ وحدتُهم، درجةَ أنَّ جماعةً منهم ثاروا على آلِ الأعصمِ، واضطرّوهم إلى الهجرةِ إلى جزيرةٍ أو أوالَ (جزيرةِ البحرينِ) حيثُ أقاموا لهم دولةً هناكَ[132]، وكانَ قد انتقمَ منهم أبناءُ أبي طاهرٍ الجنابيّ[133]. وبعدَ وفاةِ المعزِّ الفاطميِّ اتخذَ ولدَه العزيزَ، الذي كانَ اليدَ المحركةَ التي أوقعتِ الاضطراباتِ في صفوفِ القرامطة؛ لجذبِ هؤلاءِ القرامطة، وإعادتهم إلى حظيرةِ الفاطميّينَ. ويُلحظُ، بعدَ ذلكَ، أنَّ الفاطميّينَ قد بدأوا في استقدامِ القبائلِ العربيّةِ مثلَ: بني هلالٍ وسليمٍ وفزارةَ، وأشجعَ وبني معقلٍ للاستقرارِ بمصرَ، فنزلتْ تلكَ القبائلُ فيَّ بحري[134] وقبلي[135] مصرَ، واستقرتْ بصعيدِ مصرَ، ويقولُ ابنُ خلدونَ: « ورجعوا إلى دعوةِ العلويّينَ ومحاربةِ بني العباسِ »[136].

واستمرَّ القرامطةُ على ولائهم للفاطميّينَ إلى أن زالتْ دولتُهم من جزيرةِ أوالَ[137] سنةَ 458 هـ /1065م، ومنَ البحرينِ بعد أن قضى عليهم السّنّيُّونَ في سنةِ 470هـ/1078م، فقد اتّصلَ السّنّيُّونَ في بلادِ البحرينِ بالسّلاجقةِ والعباسيّينَ في العراقِ، وبعثوا لهم أمهرَ قوادِهم، وأحاطوا بالقرامطةِ، وهزموهم في معركةِ الخندقِ الحاسمة[138] ، التي انتهتْ بعدَ هزيمتهم بها دولتُهُم[139] في زمنِ المستنصرِ الفاطميِّ، ولكنّهم لم يقوموا بأعمالٍ حربيّةٍ منذُ سنةِ 375هـ/986م[140]، وقد استمرّتِ العلاقاتُ الطيبةُ بينَ القرامطةِ والفاطميّينَ في عهدِ الحاكمِ بأمرِ اللهِ الفاطميِّ، ولاسيّما بينَ القرامطةِ والطائفةِ الدرزيّةِ[141] التي ظهرتْ في عهدِ الحاكمِ بأمرِ اللهِ[142].

وجملةُ القولِ في هذا البحثِ، تشيرُ إلى أنّ نتائجَ هذه الحروبِ العنيفةِ التي خاضَ غمارَها القرامطةُ كانتِ الانقسامَ والتفكّكَ والانحلالَ في صفوفهم ، بعدَ أن أرهقتْهمُ الحروبُ والمعاركُ، وبعدَ أنْ ثارَ آلُ أبي طاهرٍ الجنابيِّ على اتّباعِ الحسنِ الأعصمِ، وأجبروهم على الهجرةِ، بينما أعلنتِ البقيةُ الباقيةُ – منَ القرامطةَ الذينَ ظلوا في عُمانَ والبحرينِ وأماكنَ أخرى– الولاءَ والعودةَ إلى حظيرةِ الدعوةِ الإسماعيليّةِ، ومحاربةِ العباسيّينَ، واستمرّوا على إخلاصهم للفاطميّينَ، وتأثّروا بتعاليمِ الخواجاتِ منْ اتّباعِ (الآغاخانِ) ولاسيّما العمانيّونَ منهم [143].

تحليلُ الصّراعِ الفاطميِّ القرمطيِّ:

ثمّةَ أحداثٌ متتاليةٌ تثبتُ أنَّ الصراعَ الفاطميَّ القرمطيَّ كانَ صراعًا سياسيًّا تحكمه المصالحُ الماديةُ والدنيويةُ، على الرّغمِ منَ التّوافقِ الدينيِّ لكلا الطّرفينِ، فهما يَدينانِ بالفكرِ الشيعيِّ الإسماعيليِّ.

ويُلحظُ–مما سبق سردُه–أنَّ الصّراعَ بينَ الفاطميّينَ والقرامطةَ يبدأُ عندما طلبَ الحسنُ الأعصمَ الضريبةَ التي كانَ الإخشيديّونَ يدفعونَها له عن مدينةِ دمشقَ، فمنعَه الفاطميُّونَ ونبذوهُ، وكتبَ له المعزّ الفاطميُّ وأغلظَ عليه[144]، فخلعَ الأعصمُ المعزَّ، وخطبَ للمطيعِ العباسيِّ على منابرِه، ولبسَ السوادَ، وهو شعارُ العباسيّينَ[145] وتزامنَ ذلك معَ مخططِ العباسيّينَ الذي كان يرمي إلى إبرامِ اتّفاقٍ معَ القرامطةِ للتخفيفِ عن بغدادَ، وتوجيههم لمقارعةِ الفاطميّينَ. وهذا ما يؤكدُ بأنَّ المعتقدَ الدينيَّ لا علاقةَ له بالأحداثِ السياسيّةِ، وقد يكونُ أحيانًا ذو تأثيرٍ ثانويٍّ في كثيرٍ منَ الأحداثِ.

وحقًّا وقعَ ذلك، فسارَ الحسنُ الأعصمُ إلى بغدادَ لمفاوضةِ الخليفةِ العباسيِّ المعتمدِ آنَ ذاك، واتّفقَ معه على أن يمدَّه بالمالِ والسّلاحِ والعتادِ والغذاءِ[146]، كما تحالفَ الخليفةُ العباسيُّ معَ القرامطةِ ضدَّ الفاطميّينَ والحمدانيّينَ والإخشيديّينَ وبني بويه والكافوريّينَ وبعضِ القبائلِ العربيّةِ، وكانَ من أبرزهم العقيليّونَ بزعامةِ ظالمِ بنِ موهوبٍ العقيليِّ[147]، وبالإضافةِ إلى ذلكَ، فقد تحالفَ القرامطةُ معَ أهلِ دمشقَ[148] الناقمينَ على الفاطميّينَ.

وعلى الرَّغمِ منَ الانتصاراتِ التي تحقّقتْ على يدِ جعفرِ بنِ فلاحٍ في بلادِ الشّامِ، فأنَّ سياسةَ العنفِ التي اتّبعها جنودُه، وسوءَ سيرتِهم، واسترخاصَهم أرواحَ النّاسِ، فقد أثارَ حنقَ الرعيّةِ عليه، فحاكَ السّكانُ مؤامراتٍ كثيرةً لمنعِ استقرارِ سياسةِ الفاطميّينَ في الشّامِ، فكانَ سوءُ السّياسةِ الفاطميّةِ بالشّامِ عائقًا كبيرًا لنشرِ علاقةِ الوئامِ بينَ الجيشِ الفاطميِّ وسكانِ البلادِ، التي يجبُ أنَ تتوفّرَ لخلقِ مَناخٍ منَ التّعاونِ بينَ الطّرفينِ[149].

ويُفهمُ مما سبقَ بيانُه، أنّ سياسةَ الفاطميّينَ قد فشلتْ في كسبِ ودِّ أهالي مدينةِ الرّملةِ بصورةٍ خاصّةٍ، وأهالي بلادِ الشّامِ بصورةٍ عامّةٍ، ويعودُ سببُ ذلكَ إلى المنهجِ الخطأِ الذي اتّبعَه جعفرُ بنُ فلاحٍ وجيشُه؛ إذ حاولَ فرضَ السياسةِ الفاطميّةِ والمذهبِ

الشيعيِّ الإسماعيليِّ عنوةً على سكان مدينة الرّملة، ويتناقضُ هذا المنهجُ مع ما عُرف عن الفاطميّينَ من أنّهم ينشرونَ روحَ المحبة والتّسامح عندما يدخلونَ أيَّ بلد.

وفوق ما ذُكرآنفًا، فقدْ اتّبعَ جعفرُ بنُ فلاح سياسةً غيرَ موفّقة في مجالات عدة؛ فكانتْ سياسةُ الشدّة التي اتّبعها في بلاد الشّام قد ساعدتْ على نفور أهلها منَ الجيش الفاطميّ[150]، كما أنّه كانتْ تنقصُه الأموالَ التي تساعدُه على كسب ولاء جنده، ومن ثَمَّ، تُمكّنُه منْ كبح جَماحهم ، وتوقفُ عبثهم في بلاد الشّام، كما أنّه لم يستطع المحافظةُ على الهدوء الذي يحتّمُ وجودُه في الشّام، فانتهجَ طريقَ الغدر مع (فاتك غلام ملهم) الذي عيّنه على طبريةَ كافورُ الإخشيديُّ، فقتله على الرّغم من إعلان طاعته للفاطميّينَ، وعمدَ جعفرُ إلى قتله دونَ تبرير واضح، فضلاً عن إذلاله لزعماء الرّملة، ثمَّ إنَّ وجودَ فلول الإخشيديّينَ في الشّام شكّلَ عاملاً عدائيًا ضدَّه، فضلاً عن عدم التفافهم حوله، وانعدام الثّقة التي كانت تسيطرُ على علاقته بظَالم بن موهوب العقيليِّ، الذي سعى إلى إيغار صدور الناس على الفاطميّينَ، الذين شكّلوا تهديدًا لسياستهم في الشّام[151]، وقد ساعدض على إخفاق جعفر ومصرعه في الشّام سوءِ تدبيره، وعدم تعاونه معَ جوهر الصقليِّ[152]، الأمرُ الذي أدى إلى أن يأنفَ جعفرُ من مكاتبته طلبًا للعون من أجل مساعدته في مجابهة المشاكل التي ألمّت به[153]، وقد استصغرَ جعفرُ قواتَ القرامطة واستهان بها، ولم يأخذْ عينَ الاعتبار للاحتمالات المتوقعة من قوتهم وتناميها[154]، فضلاً عن توفّر الأرضيّة الخصبة المعادية للسياسة الفاطميّة في الشّام، وضعفُ المركزيّة في الجيش الفاطميِّ كونُه اعتمدَ على النّظام القبليِّ؛ فقد عُرفتْ قبائلُ عربيةٌ أصيلةٌ كالطائيّينَ والكلابينَ بمواقفها المعادية للفاطميّينَ ومذهبهم، فضلاً عن اعتماد الفاطميّينَ على المغاربة، الذينَ عدّوا المشارقةَ أعداءً تقليديّينَ لهم منذ عهد الفتوحات الأمويّة في المغرب[155]، وأنَّ جندَ المغاربة لم يكونوا يخشونَ جعفرَ كما ينبغي لهم؛ لأنّه من أبناء جلدتهم وأميرهم في بلادهم، ويعرفونَ أنّه يعطفُ عليهم، ويعاملُهم بالرفق واللينَ[156].

ويُستخلصُ مما ذُكرَ سابقًا، أنَّ مهمةَ جعفر بن فلاح في بلاد الشّام كانتْ أكثرَ صعوبة منْ مَهمّة زميله جوهر الصقليِّ في مصرَ، لنفور أهالي دمشقَ من جعفر وجيشه المغربيِّ، لعبث جنوده المغاربه، واستهتارهم بالسّكان، وعدم استطاعتهم كسب ثقة أبناء الشّام، ويدلُّ ذلكَ على أنَّ زعماءَ دمشقَ حينما قصدوا جعفرَ في طبريّا للاتّفاق معه أهانهم جنودُه، وسلبوا ما عليهم من ثياب، فعادوا إلى دمشقَ، وهم ساخطونَ، فبسطوا ألسنتهم بذمِّ المغاربة، وكذلك، سلبَ المغاربةُ سكانَ البلاد المجاورة لدمشقَ بعد مهاجمتهم[157]، كلُّ هذا كانَ يذيعُه أهلُ دمشقَ على العامّة، ويذكرونُه على منابرهم.

ويبدو أنَّ جندَ المغاربة لم يكونوا يهابونَ جعفرَ؛ لأنّه منهم، وأميرُهم في البلاد، ويعطفُ عليهم، ويعاملُهم بالرّفق واللين، على خلاف جوهر الصقليِّ؛ إذ كانَ غريبًا عنهم، ولا يهمُّه أرضوا عنه أم سخطوا ؟ وبالإضافة إلى أنَّ الأموالَ جميعَها كانتْ تحتَ تصرُّف جوهر يوزّعها على جنده بسخاء، بينما كانَ جيشُ جعفر يشكوا من قلّة الأموال، ومن ثَمَّ، فإنَّ عدمَ توزيع الأموال على زعماء دمشقَ ومشايخها جعلَهم يتوجّهونَ نحوَ القرامطة، وإلى بغدادَ ليتخذوا منها منطلقًا ضدَّ الفاطميّينَ[158] في الوقتِ الذي كان فيه الحكمُ الفاطميُّ لبلاد الشّام مضطربًا، ولم يكنْ مستقرًا، فقد نازعَ السّكانُ وغيرُهم النفوذَ الفاطميَّ في بلاد الشّام، فهذه الحالةُ شجعّتْ القبائلُ العربيّةُ في فلسطينَ محاولةَ تدعيم قوتها القبلية، وبسط سيادتها على مناطق نفوذها[159]، ويمكنُ أن نستظهرَ – من خلال عرض الأسباب التي أدتْ إلى إخفاق السياسة الفاطميّة في بلاد الشّام – تلك الأسباب بالقول إنّ من أهمّها: عدمُ اتّباع جعفر بن فلاح سياسةً ناضجةً[160] وفشلُهُ في استقطاب مراكز القوى في بلاد الشّام، ومنْ ثَمَّ، إخفاقُه في كسب عامَّة النَّاس.

وأمامَ هذا الواقع السّيّئ الذي كانَ يحيطُ بجعفر بن فلاح وقواته، سيطرَ القرامطةُ على الرّملة، وتوغّلوا في بلاد الشّام، ولمْ يحسبْ لهم القائدُ جعفرُ أيَّ حساب جديٍّ، واستهترَ بهم، فنصبوا له كمينًا، وأوقعوه في قبضتهم، ومن ثَمَّ ، قامَ القرامطةُ بقتله في السّادس من ذي القعدة سنةَ 360هـ – 970م، واستحوذوا على أمواله وأسلحته[161]، وبمقتل جعفر بن فلاح كانتْ نهايةً لقائد كبير، اعتمدتْ عليه الدولةُ الفاطميّةُ في قهر أعدائها، ودحرهم في معارك كثيرة[162].

ويُذكرُ أنَّ القرامطةَ واجهوا السياسةَ الفاطميّةَ لسنوات عدة، إذ أعلنَ الحسنُ بنُ أحمدُ – المعروفُ بالأعصم عندَ تسلّمه زعامةَ القرامطة سنةَ 359هـ– 969م مطالبتَه بدفع الأموال المقرّرة على الإخشيديّينَ منْ جعفر بن فلاح التي انقطعتْ منذُ سنة 357هـ – 967م[163]، ومعَ رفض جعفر هذا الطلب قامَ الأعصمُ القرمطيُّ بإعلان عدائه السافر على الفاطميّينَ، فشهدتْ تلكَ المرحلةُ تحولًا جذريًّا في العلاقات الفاطميّة القرمطيّة، لذا، توجّهَ الأعصمُ القرمطيُّ مؤتمرًا بأمر المطيع العباسيِّ بجيش كثيف عددًا رافعاً رايات عباسيّةً، فهزمَ القائدُ الفاطميُّ جعفرُ بنُ فلاح، وقتلَه قربَ دمشقَ سنةَ 360هـ 970–م[164]، وبهذا، انتهجَ الحَسنُ الأعصم سياسةً مغايرةً لأسلافة ، ومخالفةً لعقيدته، التي تؤمنُ بالفكر الشيعيِّ الإسماعيليِّ[165].

يتوضحُ – مما تقدّمَ بيانُه – أنَّ قضيةَ المال الذي كانَ يدفعُه الإخشيديّينَ للقرامطة، ومطالبة القرامطة الفاطميّينَ بدفعه؛ لكونهم استحوذوا على أملاك الدولة الإخشيديّة وأراضيها في مصرَ والشّام، ربَّما تكونُ ذريعةً تمسّكَ فيها القرامطةُ، في الوقت نفسه، تعدُّ تأكيدًا على تمرّد الحسن الأعصم زعيم القرامطة على أسياده في العقيدة والمذهب (الفاطميّينَ) الذي – كما يبدو– كانَ أتباعُه يشكّلونَ الجزءَ الأكبرَ منَ القرامطة المهيمنينَ على الميدان العسكريِّ، الذينَ اتّبعوا سياسةً مبنيّةً على المصالح، دخلوا من خلالها في معترك اللّعبة السياسيّة غير مهتمينَ بما جمعَهم معَ الفاطميّينَ من وحدة المعتقد، وإنْ تحالفَ القرامطةُ معَ العباسيّينَ.

الخاتمةُ:

حاورَ البحثُ هذا، قضايا رئيسة تمحورتْ في بيان دور مدينة الرّملة الفلسطينيّة التّاريخيّ في الصّراع الفاطميّ القرمطيّ، فقد لعبتْ دوراً محورياً ومتميزاً في أحداث كثيرة شهدتْها بلادُ الشّام في عصور مختلفة ؛ لأنّها تعدُّ منْ أكثر المدن ارتباطاً بمعظم الأحداث السياسيّة، التي حصلتْ في فلسطينَ، نظرًا لموقعها الجغرافيِّ المتوسط، فهي تشرفُ على أهمِّ طرق المواصلات بينَ مصرَ والشّام والعراق، ولعلّ ما يُؤكّدُ ذلكَ اختيارُ سليمانَ بنِ عبد الملك موقعها

الحاليّ؛ لتكونَ عاصمةً إداريّةً ومقراً لولايته.

ومما يدعّمُ هذا الدورُ لها تثبيتًا، تنافُسُ معظمِ الدّولِ التي حكمتْ مصرَ بالاستيلاءِ عليها، وكانَ التنافسُ ظاهراً على أشدِّه بينَ الطولونيّينَ والإخشيديّينَ، وفيما بعدَ ذلكَ، اشتدّ التنافسُ ضراوةً بينَ الفاطميّينَ والقرامطة وبعض زعماءِ القبائلِ المحليّة، وكان ذلكَ نتيجةً اختلافهم على الأموالِ التي كانَ يجبيها القرامطةُ منَ الإخشيديّينَ بناءً على اتّفاق وقّعاهُ، ورفضَه الفاطميّونَ الذينَ انتزعوا بلادَ الشّام من الإخشيديّينَ فنجمَ عنه هجومُ القرامطة على مصرَ، ومحاصرة الدّولة الفاطميّة في عاصمتها القاهرة، ومحاولة القضاءِ عليها، لولا الحنكةُ السياسيّة، التي أظهرها قادةُ الدولة الفاطميّة؛ لإبعادِ الخطرِ القرمطيِّ عنْ مصرَ مقابلَ دفعِ الأموالِ للعناصرِ المهاجمة، ولكنَّ الدّولةَ الفاطميّةَ بعدَ جهودٍ كبيرةٍ استعادتْ مدينةَ الرّملةِ منَ القرامطةِ وحلفائِهم، وفرضتْ سيطرتَها على فلسطينَ بعدَ عناءٍ شديد.

ويُستنتجُ – مما سبقَ تناوُلُهُ– أنَّ موقفَ أهلِ الرّملة تميّزَ بالعداءِ للدّولة الفاطميّة القادمة من المغرب، كما أنَّ القبائلَ العربيّةَ التي كانتْ تسكنُ في بلادِ الشّام تحالفتْ معَ القرامطةِ ضدَّ ألفاطميّينَ، وكانَ معظمُ سكانها يؤيّدونَ القضاءَ على الدّولةَ الفاطميّة، ربّما لمخالفتهم أهلها في العاداتِ والتقاليدِ و المذهبِ الدينيِّ.

ويُستظهرُ منَ المعارك التي حصلتْ بينَ القرامطة والفاطميّينَ، وما تبعَها منْ أحداث، أنَّ الصراعَ الفاطميَّ القرمطيَّ كانَ صراعاً سياسياً واقتصادياً، تحكمُه المصالحُ الدنيويّةُ على الرّغم منَ التّوافقِ الدينيِّ بينَ الطرفين؛ فهما يّدينانِ بالفكرِ الشيعيِّ الإسماعيليِّ، الذي يُؤمنُ بالإمامِ السّابعِ (الإماميّة) عند الشيعة.

الهوامش:

1. طوطح وخوري، جغرافية فلسطين، ص131.
2. موسوعة المدن الفلسطينية، ص335.
3. الخطيب، قصة مدينة الرملة، ص11.
4. النحال، فلسطين أرض وتاريخ، ص257.
5. الخطيب، قصة مدينة الرملة، ص12–11.
6. ابن حوقل، صورة الأرض، ص58.
7. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص143–142.
8. الظاهري، زبدة كشف، ص152.
9. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1 ،ص356.
10. الحنبلي، الأنس الجليل، ص127.
11. المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص143.
12. البلاذري، فتوح البلدان، ص–170الطبري، الرسل والملوك ، ح8 ص–102 ياقوت ، معجم البلدان ج3،ص69.
13. البلاذري، فتوح البلدان، ص170.
14. القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ،ح4،ص99)
15. الدباغ، تاريخ الدول العربية بلادنا فلسطين، ص376–372.
16. الطريقُ التجاريُّ المهمُّ، طريقُ البحرِ أو طريقِ الفلستيَنيينَ: هو أحدُ أقدم وأهمِّ الطرقِ التجاريّة في منطقةِ الشرقِ الأوسط، الذي يعودُ تاريخُه إلى بدايات العصرِ البرونزي – حيث أُطلق عليه اسمُ «طريقُ البحر» . وكانَ الطريقُ أساسًا يُسمّى «طريقُ الفلستينيينَ»، كإشارةٍ إلى طريقِ السفر، الذي يمرُّ من خلالِ السهولِ الفلستينية، التي تشكّلُ اليومَ الجزءَ الساحليَّ الجنوبيَّ من فلسطينَ التاريخيّة، وخصوصًا قطاعُ غزة. لقد كانَ هذا الطريقُ يُعدُّ إلى جانبِ طريقِ الملوكِ، أحدَ الطرقِ الرئيسة، التي تربطُ مصرَ ببلادِ الشّام وبلادِ الرافديْنِ والأناضول.(ياقوت، ج4، ص274)
17. مخلص ، مئذنة الجامع الأبيض في الرملة ، ص10.
18. مدينةُ اللدّ : تعدُّ مدينةُ اللدِّ من أكبرِ وأقدمِ مدنِ فلسطينَ التاريخيّة، القريبة من القدس (ياقوت ، ج4 ص274) والواقعة في جانبِ الاحتلالِ الإسرائيليِّ الأوسط ، وتحديداً على بعدِ ما يقاربُ 38كم إلى الشمالِ الغربيِّ من مدينةِ القدس، التي يعودُ تأسيسها إلى الألفِ الخامسِ قبلَ الميلادِ على يدِ الكنعانيينَ، ويشارُ إلى أنّها منَ المدنِ التي ذُكرتْ في العديدِ منَ المصادرِ التاريخيّة، ويفصلُها عن مدينةِ يافا حوالي 16كم ، وتبعدُ حوالي 5كم عن مدينةِ الرّملة، وقد كانَ لهذه المدينةِ أهميةٌ كبيرةٌ في الماضي؛ بسببِ سيطرتِها على الطريقِ الرئيسة، وكذلك، قربُها من خطِّ سكةِ الحديدِ الممتدةِ بينَ يافا والقدس، ويسكنُها اليومَ خليطٌ منَ اليهودِ والعربِ بعدَ استيلاءِ العصاباتِ الصهيونيّةِ عليها 1948م.
19. المبرقعُ اليمانيّ: هو أبو حربٍ تميم اللخميٌّ، ويلقّبُ المبرقع. وهو أحدُ الثوارِ على الخلافةِ العباسيّةِ في فلسطينَ ، ويعودُ أصلُه إلى أهلِ اليمانية ، عُرفَ بتقواه، وتديّنه، ووقوفِه ضدَّ الظلمِ في سنة 227 هـ ، قادَ ثورةً عارمةً شملتْ رقعةً واسعةً من أرضِ فلسطينَ، كانتْ أسبابُها غيرُ المباشرة تعودُ إلى إهمالِ العباسيّينَ للمنطقة، وتحكّمِ الجندِ بأهلِ البلاد، وميلِ أهلِ البلاد، وأكثرُهم منَ اليمانيّة للأمويين، أمّا السببُ المباشرُ فيعودُ إلى أنَّ جنديًا أرادَ النزولَ في دارِ تميمٍ حين غيابِه، وزوجتُه فيه، فمنعتُه من ذلكَ، فضربَها بسوطٍ كانَ معه ، فاتقته بذراعها ، فأصابها وأثّرَ فيه، فلمّا رجعَ أبو حربٍ إلى دارِه شكتْ له ما فعل بها الجنديُّ، وأرتْه الأثرَ الذي بذراعها ، فأخذَ أبو حربٍ سيفَه ، ومشى إلى الجنديِّ وضربَه بسيفه حتى قتلَه ، وأعلنَ ثورتَه على الخلافةِ العباسيّة ووضعَ على وجهه برقعاً فعُرف (بالمبرقع(. (الطبري، الامم والملوك، ج9،ص116 – 118)
20. الدباغ، تاريخ الدول العربية في بلادنا فلسطين، ص383 .
21. كانتِ القوّاتُ البيزنطيّةُ تغيرُ على الحدودِ الشماليّةِ لبلادِ الشام، لذلك، كانَ على والي الشّامِ واجبَ الدفاعِ عنها.
22. ابن الأثير، الكامل، ج6 ، ص227.
23. العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص138بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ص224.
24. تقلّصَ نفوذُ الطولونيّينَ بعدَ أنْ طوّقتها الحركاتُ السياسيّةُ المناوئةُ للعباسيّينَ، سواءً الدعوةُ الفاطميّةُ في المغربِ التي استهدفتِ السّيطرةَ على مصرَ، أم الحركاتُ القرمطيّةُ التي قامتْ في الشّرقِ، التي هزمتِ الدّولةُ الطولونيّةُ في العديدِ منَ المواقعِ (العاوور ، وسيسالم ، تاريخ الدويلات الإسلامية ،ص238)
25. القرماني، تاريخ الدول آثار الأول، ص263.
26. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5 ص62.

27. طغج بن جف: هو المؤسسُ الأولُ للدّولة الإخشيديّة في مصرَ كانَ غلامًا تركي يرجع نسبه الى جف بن بلتكين، تولّى الولايةَ في مصرَ مكافأةً له منَ الخليفةِ العباسيِّ في عصرِه على تصدّيه لمحاولاتِ الفاطميّينَ دخولَ مصرَ، واستطاعَ الاستقلالَبمصرَعامَ 940م(الذهبي،سير،ج4،ص342)

28. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج6 ص224.

29. الذهبي، سير أعلام، ج2، ص88

30. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج 3 ص174.

31. المسعودي، التنبيه والإشراف، ص373.

32. باديةُ السّماوة: إنّما سُميّتْ بالسّماوة؛ لأنّها أرضٌ مستويةٌ لا حجرَ فيها، وأمّا المنجدُ فيوردُ أن كلمةَ سماوة، فلك البروج. وسما معناها في اللغة علَى وأرتفعَ، ويوضّحُ الشّيخُ أحمدُ رضا في كتابه معجم اللغة أنَّ سماوةَ: الشيءُ العالي، لذا، فإنّ طرفَها عاليا.وهي تقع بين الكوفة والشام (ياقوت، ج3، ص245)

33. الحسينُ بنُ حمدانَ بن حمدونَ التغلبيِّ: هو أميرٌ من أمراءِ العصرِ العباسيِّ يصفُه الزركليُّ في أعلامِه، بأنّه منْ "الأمراءِ الشجعانِ المقدمينَ في العصرِ العباسيِّ"، وهو عمُّ سيفِ الدّولة الحمدانيّ، وأولُ من ظهرَ أمرَه من ملوكِ بني حمدانَ. (الزركلي، ج2،ص234)

34. المسعودي، التنبيه والاشراف ، ص373.

35. محمدُ بنُ رائقٍ من أصلٍ خزرجيّ، وهوَ المسؤولُ الأعلى مقامًا في الخلافةِ العباسيّة، الذي استغلَّ ضعفَ الخلافةِ؛ ليصبحَ أولَ أميرِ أمراءِ للخلافةِ العباسيّةِ في عامِ 936 ،وشارك الخليفة في الخطب،حيث كان ابن رائق اول من تولى هذا المنصبنوبقي الراضي معه صورة، خلعتْهُ قادةُ القوّاتِ التركيّةِ عامَ 938م، لكنّه استعادَ منصبَه في عامِ 941م، وحافظَ عليه إلى أن اغتيل في نيسان عامَ 942م . (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص283)

36. الداوداري ، كنز الدرر ، ج6 ، ص 123.

37. الداوداري ، كنز الدرر ، ج6 ، ص 122.

38. الدباغ، تاريخ الدول العربية في بلادنا فلسطين ، ص390–388.

39. الدعوةُ الإسماعيليّة: يشتركُ الإسماعيليّةُ معَ الاثني عشريّة في مفهومِ الإمامة، إلا أن الانشقاقَ وقعَ بينَهم، وبينَ باقي الشّيعة بعدَ موتِ الأمامِ السّادسِ جعفرِ الصّادقِ، إذ رأى فريقٌ من جمهورِ الشيعة أخرَ أنَّ الأمامَ هو أخوه موسى الكاظم لثبوتِ موتِ إسماعيلِ في حياةِ أبيه، وشهادةِ النّاسِ ذلك أنَّ الإمامةَ في ابنِه الأكبرِ، الذي أوصى له إسماعيلُ المبارك، بينما رأى فريقٌ آخرَ أنَّ التيارَ الإسماعيليَّ في الفكرِ الشيعيِّ يمثّلُ الجانبَ العرفانيَّ والصوفيَّ، الذي يركّزُ على طبيعةِ الله والخلقِ وجهادِ النّفس، وفيه يجسّدُ أمامُ الزمانِ الحقيقةَ المطلقةَ، بينما يركّزُ التيارُ الاثنا عشريِ الأكثرُ حَرفيةً على الشّريعة، وعلى سننِ الرّسولِ محمدٍ – صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ– والأئمةِ الاثني عشرَ من آلِ بيتِه، بوصفِهم منارات إلى سبيلِ الله.(برناردلويس، اصول الاسماعيلية، ص2)

40. أبو عليٍ جعفرِ بنِ فلاحٍ الكتاميِّ ، كانَ أحدُ قوّادِ المعزِّ أبي تميم معدِ بنِ المنصورِ العبيديِّ صاحبِ أفريقيّة، وجهّزَه معَ القائدِ جوهرٍ لمّا توجّهَ لفتحِ الدّيارِ المصريّة، فلمّا أخذَ مصرَ بعثَه جوهرٌ إلى الشّامِ، فغلبَ على الرّملةِ في ذي الحجةِ سنةَ 358هـ/969م، ثمَّ غلبَ على دمشقَ، فملكَها في المحرّمِ سنةَ 359هـ/970م، بعدَ أن قاتلَ أهلَها، ثمَّ أقامَ بها إلى سنةِ ستينَ، و نزلَ إلى الدكةِ فوقَ نهرِ يزيدٍ بظاهرِ دمشقَ، فقصدَ الحسنَ بنَ أحمدَ القرمطيَّ المعروفَ بالأعصمِ، فخرجَ إليه جعفرُ المذكورُ، وهو عليلق، فظفرَ به القرمطيُّ، فقتلَه وقتلَ الكثيرَ من أصحابِه، و ذلكَ في يومِ الخميسِ منْ ذي القعدةِ سنةَ 36هـ/971م.(الذهبي ،سير ،ج2،ص234).

41. معدُ المعزُّ لدينِ الله، المعزُّ أبو تميمٍ معدّ بنِ منصورٍ، وُلدَ في المهديّة حوالي 932م/320هـ ، وهو رابعُ الخلفاءِ الفاطميّينَ في إفريقيّةَ (تونس حالياً) وأولُ الخلفاءِ الفاطميّينَ في مصرَ، والإمامُ الرابعَ عشرَ من أئمةِ الإسماعيليّةِ حكمَ منْ 341هـ/953م حتى 364هـ/975م ، وقد أرسلَ أكفأَ قادةِ جيشِه، وهوَ الصقليُّ للاستيلاءِ على مصرَ من العباسيّينَ، فدخلَها، وأسّسَ مدينةَ القاهرةِ بالقربِ منَ الفسطاطِ، التي تعدُّ أولَ عاصمةٍ للعربِ في مصرَ. وأعظم ملوك الفاطمين ملك المغرب ومصر والشام والحجاز. (ابن الخطيب، سير، ج1، ص245)

42. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ، ج3 ص148

43. القرماني، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ص190

44. المقريزي، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،ج1 ،ص245.

45. حتي، تاريخ ، ج2 ، ص193.

46. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ،ج4، ص62.

47. ابن الاثير ،الكامل،ج7 ،ص42، الأنطاكي ، تاريخ الأنطاكي ، ص143.

48. المنصورة :مدينةٌ مصريّةٌ، عاصمةُ محافظةُ الدقهلية، وكذلكَ، عاصمةُ مركزِ المنصورة، تطلُّ على الضّفةِ الشرقيّةِ لفرعِ دمياط بنهرِ النيل .

49. القرماني، اخبار الدول آثار الأول في التاريخ ، ص190. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام ، ج3 ،ص150 .

50. نسبُ الفاطميّينَ: أُثيرتْ حولَ أُصولِ الفاطميّينَ قضايا عدّةً مُعقّدةً، لم يصلِ الباحثونض فيها إلى نتائجَ مُوحدةس، فهذا اللقبث ، أيذ «الفاطميذينَ» الذي عُرفَ به خُلفاءُ عُبيد الله المهدي، يدُلُّ ، للوهلةِ الأولى ، على أنّهم من ذُريّة عليٍّ بنِ أبي طالب رابعِ الخُلفاءِ الرّاشدين وأولِ أئمةِ الشّيعة، وفاطمة الزّهراء بنتِ الرّسولِ مُحمّدS– صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ– فهُم عَلَويّونَ ، على أنّ قضيّةَ نسبِ الأسرةِ الفاطميّة، كانَ وما يزالُ ، موضوعًا لم يتفقْ عليه المؤرّخونَ ، لا في الماضي ولا في الحاضر، على رأيٍ أحدِهم فيه، وذلك، بفعلِ واقعيْن هما: الأولُ هو التباينُ السياسيُّ والمذهبيُّ الذي سادَ بينَ المُسلمينَ، بعدَ وفاةِ الرّسولِ– صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ– والثاني: هو امتناعُ الفاطميّينَ ، مُدّةً من الزّمنش، عن إعلانِ أنسابِهم ، بالإضافةِ إلى تعمّدِهم إخفاءَ أسماءِ أئمتِهم من مُحمّدِ بنِ إسماعيل حتّى عُبيد الله المهديِّ في المُدّة التي اتخذوا فيها مبدأ ستر الإمام. وذهبَ كُلُّ مصدرٍ مذهبًا خاصًا في تحديدِ اسمِ ونسبِ عُبيد الله المهديِّ قبلَ أن يكونَ مهديًا، وبعد أن صارَ كذلك. فبعضُ المصادرِ تنفي عنه النسبَ العَلَويَّ، وتعزوهُ إلى الفُرس أو المجوس ، وتصفُه أحيانًا بأنّه ابنُ يهوديٍّ، وترجعُ في نسبِه إلى ميمونِ القدّاحِ فارسيِّ الأصلِ، وهي إن اختلفتْ في تحديدِ اسمه قبلَ استلامه رئاسة الدعوةِ الفاطميّة، إلّا أنّها تتفقُ على أنّ اسمَه بعدَ أنْ أصبحَ رئيسًا للفاطميينَ هو عُبيدُ الله، وعلى هذا الأساسِ دعتْ هذه المصادرُ الدولةَ الفاطميّةَ باسم « الدولةِ العُبيديّة ». وفي المُقابلِ، تؤكّدُ مصادرُ أُخرى، مُعظمُها شيعيّةٌ، صحّةَ نسبِ عُبيد الله المهديّش، وتُرجعُه إلى مُحمّدِ بنِ إسماعيلِ بنِ جعفرِ الصّادقِ. (المقريزي، اتعاظ ،ج1 ،ص120–118)

51. زكار، أخبار القرامطة، ص407.

52. ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ج2 ص 531.

53. قبيلةُ طيّ : ينسبُ النّسابةُ العربّ قبيلةَ طيءٍ إلى سبأ، كانت قبيلةُ طيءٍ تنتشرُ في شمالِ الجزيرةِ العربيةِ والعراقِ وبلادِ الشامِ منذُ زمنٍ بعيدٍ،

وقد اعتنقوا الديانةَ النصرانيةَ. في المصادرِ اليونانيةِ والفارسيةِ كلمةُ طيءٍ ترادفُ العربَ حسبَ النّسابةِ العرب، يرجعُ نسبُ طيءٍ إلى طيءٍ واسمُه جلهمةَ بنَ أددِ بنِ زيدِ بنِ يشجبِ بنِ عريبِ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سبأ القحطانية، وهم اصحاب الرياسة في العرب الى الآن بالعراق والشام ومصر. (القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة انساب العرب، ص297–298)

54. الأسرةُ الحسينيةُ : ينتمي أفرادُ هذه الأسرةِ إلى الحسينِ بنِ علي وفاطمةَ الزّهراءِ – رضيَ اللهُ عنهم– وهمْ من أشرافِ الحجازِ، أعلنَ بنو الجرّاحِ رفضَهم للخلافةِ الفاطمية، وأرسلوا إلى أبي الفتوحِ الحسنِ بنِ جعفرٍ العلويِّ (صاحبِ مكةَ) يستدعونَه إلى الرّملة، وحينَ حضَرَ بايعوهُ بالخلافةِ، ولقبّوهُ بالرّشيدِ وفي بعضِ المصادرِ (الراشدِ باللهِ)، (ابن خلكان ، وفيات الاعيان ،ج2 ،ص 175–174)إلا أنَّ الخليفةَ الفاطميَّ الحاكمَ بأمرِ اللهِ استمالَ حسانَ بسبلٍ شتّى ، فعدلا عن أبي الفتوحِ وردّاهُ إلى مكةَ، وعادَ إلى طاعةِ الحاكمِ بأمرِ اللهِ. لكنّ الحاكمَ لم يغفرْ لآلِ الجراحِ عملهم فأرسلَ حملةً قويةً بقيادةِ علي بنِ جعفرٍ الكتاميِّ، واستطاعتْ دخولَ الرّملةِ وإزاحةِ حسّانَ بنِ مفرجٍ وعشيرتِه عن تلكَ المنطقةِ، واستولتْ على أموالِه وحصونِه وذخائرِه. (ابن الجوزي، المنتظم،ج7 ،ص164)

55. زكار، اخبار القرامطة، ص408.

56. زكار، اخبار القرامطة، ص408 .

57. منظمةُ الأحداثِ: الأحداثُ لغةً: جمعَ الحدثِ، ورجلٌ حدثٌ أي شاب(والفتيُّ منَ النّاس: حدثٌ أي صغيرُ السّنِّ نسبيًا ، وكانتْ مهماتُهم مختلفةً حسبَ الوقتِ الذي نشأوا فيه، ويبدو أنَّ الأحداثَ شكّلوا تنظيماتٍ داخلَ المدنِ، وانتعشوا عندَ ضعفِ السلطةِ المركزيةِ، وحظّوا بإعجابِ العامّةِ وتعاطتْ معهم، والأحداثُ كانوا يدافعونَ عن ممتلكاتهم وبلادِهم خاصّة عندما تحاولُ القوّاتُ الفاطميّةُ دخولَها، كما أنَّ فئاتٍ شعبيةٍ تتطوّعتْ معهم معلنة النفير. (حسن عياش، حركة الأحداث في دمشق خلال الحكم الفاطمي "359هـ468--هـ/969م—1075م" مجلة جامعة النجاح الوطنية ،مجلد(23)(2) ، 2009م)

58. زكار، اخبار القرامطة، ص408.

59. فليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان ،ح1 ،ص193 .

60. ابن كثير، البداية والنهاية ، ج11 ص 284.

61. المعاضيدي، الحياة السياسية، ص 23.

62. الحميري، الروض المعطار، ص285.

63. الداوداري ، الدرر المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ، ج6 ص–125 126)

64. المقريزي، اتعاظ الحنفا ،ج1 ، ص194.

65. بعدَ هزيمةِ القواتِ الإخشيديةِ أمامَ قواتِ القرامطةِ، تمّ الاتفاقُ بينَ الطرفينِ على أن يدفعَ الإخشيديونَ للقرامطةش ثلاثمائةِ ألفِ دينارٍ، فلمّا سارتْ عساكرُ المعزّش إلى مصرَ مع جوهرٍ، وزالتْ الدّولةُ الإخشيديةُ، فانقطعَ المالُ عن القرامطةِ، واستمرّت الحروب بينهم «المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص246».

66. ابن القلانس، ذيل تاريخ دمشق ، ص1 .

67. العيني، عقد الجمان ،ج19، ص233.

68. ابن كثير، البداية والنهاية ،ج8 ،ص267 .

69. آلُ الجراحِ: قبيلةٌ عربيةٌ لها تاريخٌ طويلٌ بفلسطينَ، وذلك، أنّهم انشأوا إمارة في البلقاءِ وباديتِها، وفي جوارِ القدسِ، ثمَّ امتدَّ نفوذُهم إلى الرّملةِ وناحيتِها.

70. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1 ،ص188.

71. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1 ،ص192 .

72. كانتِ الدولةُ الأمويةُ تستقطبُ عددًا من أفرادِ القبائلِ العربيةِ، وتهتمُ بهم، وتستخدمُهم في الجيشِ بعكسِ الدّولةِ العباسيّةِ، التي اعتمدتْ على العناصرِ الفارسيّةِ، وفي عهدِ المعتصمِ على الأتراكِ الذي أسقطَ العنصرَ العربيَّ منَ الجيشِ.

73. بنو هلالٍ وبنو سليمٍ وبنو معقلٍ: خلالَ تتبعِ تاريخِ تلكَ القبائلِ، أنّها تقتصرُ على ثلاثةِ قبائلٍ هي: بنو هلالٍ، بنو سليمٍ، وبنو معقلٍ و"أن بني هلالٍ وبني سليمٍ قبائلٌ، تنتمي إلى الفرعِ العدنانيِّ الشماليِّ (ما يسمى بعربِ الشمالِ) و قد ذكرَها ابنُ خلدونَ وأبو الفداءِ ضمنَ القبائلِ المسماةِ «العربِ التابعةِ « وهي الطبقةُ الثالثةُ منَ العربِ المستعربةِ.(الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر العام ،ج2،ص157)

74. نتيجةً لضعفِ الخلافةِ العباسيّةِ بعدَ مقتلِ المتوكّلِ ظهرَ ما يعرفُ في الدّويلاتِ المستقلّةِ، وبدأَ الضعفُ يتغلغلُ في كيانِ الخلافةِ العباسيّةِ. (السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص291)

75. ابن كثير، البداية والنهايه، ج11، ص226.

76. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4، ص62.

77. ابن الأثير، ج7 ص87. زكار، اخبار القرامطة ، ص62.

78. الدباغ ، الموجز في تاريخ الدول العربية في بلادنا فلسطين ، ص394 .

79. الداوداري، كنز ،ج6 ،ص125.

80. ابن القلأنسي ، ذيل تاريخ دمشق ص2 .

81. المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1، ص192.

82. المقريزي ، اتعاظ الحنفا ،ج1، ص194.

83. قبيلةُ كتامةَ : تعدُّ منْ أقوى القبائلِ الأمازيغيّةِ في المغربِ الأوسط آنذاك ، فتحالفتْ معَ الدّعاةِ الإسماعليّينَ ضدَّ الخلافةِ العباسيّةِ وذلكَ لاحتضانِها هذه الدعوةِ ونصرتِها، واستطاعوا الإطاحةَ والقضاءَ على دولةِ الأغالبة في القيروان بتونس ، وقدْ كانَ دورُهم حاسمًا في تأسيسِ الدّولةِ الفاطميّة. (لقبال، موسى، دور قبيلة كتامة، ص12–11)

84. سعادة بن حيان: هو قائد الجيش الذي صحب المعز الفاطمي عند قدومه إلى مصر ودخول القاهرة .(المقريزي، ج1،ص258)

85. المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص258.

86. ابن خلدون، العبر ،ج4 ،ص50 .

87. ابن الأثير، الكامل، ح7 ، ص 60 .

88. العاوور وسيسالم، تاريخ الدويلات الإسلامية، ص274 .

89. سهيل زكار، أخبار القرامطة ص59 .

90. ابن خلدون ، العبر ج4،ص50.

91. زكار، اخبار القرامطة ،ص189.

92. ابن القلأنس، ذيل تاريخ دمشق، ص1.

93. المقريزي ، اتعاظ الحنفاء ، ص188.

94. ابن الاثير، الكامل، ح7، ص60 .

95. ابن القلأنس ، ذيل تاريخ دمش ، ص2 .

96. ابن الاثير ، الكامل ، ج7 ،ص60 .

97. الدوادري ، كنز الدرر ، ج6 ، ص143 .

98. بلكين بن زيري : إسمه الكامل هو أبو الفتوح سيف الدولة بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي الحميري وكان جده مناد كبيرا لقومه، كثير المال حسن الضيافة ، يعد مؤسس الدولة الزيرية بالجزائر كانت عاصمة الدولة بمدينة أشير وسط الجزائر ثم تولى حكم جميع المغرب الإسلامي ، بعد أن استخلفه المعز لدين الله الفاطمي على إفريقية عند توجهه إلى مصر . (العروي، مجمل تاريخ المغرب، ح2 ،ص77)

99. ابن الأثير، الكامل، ج7 ، ص64.

100. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4 ، ص74 .

101. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج4 ،ص74

102. الطبيعةُ الصحراويّةُ هي منطقةٌ قاحلةٌ؛ حيثُ المطرُ قليلٌ جداً، ومن ثَمَّ، ظروفُ الطّقس معاديةٌ للحياة النباتيّة والحيوانيّة. وإنَّ انعدامَ الغطاء النباتيِّ في الصّحراء يعرّضُ سطحَها لعمليات التعرية ، لأنَّ حوالي ثلثَ سطح اليابسة في العالم قاحلٌ أو شبهُ قاحلة.

103. البويهيّونَ: بنو بويه: سلالةٌ منَ الديلم موجودةٌ في جنوب بحرالخزر حكمتْ في غرب إيران والعراق. ينحدرُ بنو بويه من أعالي جبال الديلم، ويرجعونَ في نسبهم إلى ملوك الساسانية. استمدّوا اسمَهم من أبي شجاع بويه، الذي لمعَ اسمُه أثناءَ عهد الدولتيْن السأمانية ثمَّ الزيار ية، استطاعَ ثلاثةٌ من أبنائه الاستيلاءَ على السلطة في العراق وفارس. خلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطنة.

104. زكار ، اخبار القرامطة ،ص170.

105. ابن الأثير، الكامل ، ج7 ،ص76 ،زكار ،اخبار القرامطة ص61–60.

106. ابن الأثير، الكامل ،ج7 ،ص76.

107. حسانُ بنُ الجراح :هو حسّانُ بنُ مفرج بن دغفلَ بن جراح الطائيِّ ، ولآل الجرح تاريخٌ طويلٌ بفلسطينَ، وذلكَ أنَّهم انشأوا أمارةً في البلقاء وباديتها ، بجوار القدس، ثمَّ امتدَّ نفوذُهم إلى الرَّملة وناحيتها.

108. ابن الأثير، الكامل ،ج7، ص77 . زكار، اخبار القرامطة ، ص62 .

109. جلال، المعز لدين الله، ص92 .

110. ابن الأثير، الكامل ، ج7 ،ص77.

111. المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص260 .

112. ابن كثير، البداية والنهاية ،ج11 ،ص276. ابن الاثير ج7 ، ص77.

113. المقريزي اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص260.

114. جلال، المعز لدين الله ، ص93.

115. المقريزي ، اتعاظ الحنفا، ح1 ،ص260.

116. ابن القلأنس ، ذيل تاريخ دمشق ، ص3 . زكار ، اخبار القرامطة ،ص62.

117. جلال ،المعز لدين الله الفاطمي ، ص93 .

118. تامر ، القرامطة ، ص123 .

119. المقريزي ، اتعاظ ، ح1 ، ص261 .

120. ابن الأثير ، الكامل، ج7 ،ص77.

121. زكار ،أخبار القرامطة ، ص62.

122. ابن خلدون، العبر، ج4 ،ص51. زكار، اخبار القرامطة ، ص63.

123. مدينةُ الفرما : تقعُ علـــى بعد 4 كم شمال قرية بالوظة . كانتْ تُعرفُ قديماً باسم (بلوزيوم) نسبةً إلى فرع النيل البيلوزى السابـــع، الذى كانَ يخترقُ برزخَ السـويس، ويصبُّ فى بحيرة البردويل الحالية، وهى من أهمِّ مدنِ شمال سيناءَ التاريخيّة .(ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص281)

124. ابنُ المنجا: هو عبدُ الله بن عليّ بن المنجا: أحدُ اصحاب أبي عليّ الحسين بن أحمدَ بن الحسين بن بهرامَ القرمطيِّ المنعوت باللأعصم ، وكانَ يرجعُ إليه لرأيه وسياسته، واستخلفَه على دمشقَ، حينَ رحلَ إلى الإحساء بعدَ انهزامه أمام أبي محمود ابراهيمَ بن جعفر الكتاميِّ . " المقريزي، اتعاظ الحنفا ، ج1 ، ص247"

125. ظالمُ بنُ موهوب العقيليِّ: متغلب من القواد ، كانَ له إمارةٌ ووقائعُ . تغلّبَ على دمشقَ مرةَ سنةَ 357هـ وأخرى سنةَ 358هـ وولّاهُ عليها الحسنُ بنُ أحمدَ القرمطيِّ سنةَ 360هـ ثمَّ قبضَ عليه القرمطيُّ، فتخلّصَ وهربَ إلى حصن له في شطِّ الفرات، وكاتبَ حكومةَ مصرَ، فأمرته بالعودة إلى دمشقَ للتشويش على القرمطيِّ، فعادَ سنة 363هـ، وأقامَ دعوةَ صاحب مصرَ .»المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج1،ص270»

126. تامر، القرامطة، ص123.

127. تامر، القرامطة، ص123 .

128. (العبادي ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص 258 .

129. افتكين : و افتكين أو هفتكين أبو منصور التركي المعزي ت 368 هـ، كان غلاًما لمعز الدولة أحمد بن بويه وترقى في الخدمة حتى غلب على بغداد عند عز الدولة بختيار بن معز الدولة.(المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1،ص269)

130. الأتراكُ والديلمُ: ديلمٌ أو الديالمةُ، هم أحدى الشعوب الإيرانية التي عاشتْ في شمال الهضبة الإيرانية، وقد جاءَ ذكرهم على ألسنة المؤرخينَ حتى حقبة بدايات انتشار الإسلام. ويذكرُ أنهم كانوا يتحدثّونَ لغةً من فروع اللغات الإيرانية الشمالية الغربية. الأتراكُ هم مجموعةٌ عرقية تركيّة وأمة تعيشُ في تركيا وتتحدث اللغةَ التركية، واللغة التركيّة الأكثر انتشارًا. وهم أكبر مجموعة عرقية في تركيا، وكذلك أكبر مجموعة عرقية بين المتحدثين اللغات الأتراكيّة. (المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1،ص269)

131. حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ح4 ، ص244 .

132. ابن خلدون ، العبر ، ج4 ،ص 93.

133. ابن خلدون ،العبر ، ح4 ، ص94 .

134. الوجهُ البحريّ: يقعُ في شمال مصرَ، وهو المقابلُ للبحر الأبيض المتوسط.

135. الوجهُ القبليّ : يقعُ في جنوب مصرَ بالقرب منَ السّودان .

136. « ابن خلدون، العبر ، ج4 ص95 .

137. جزيرةُ أوال: جزيرةُ البحرين (المعروفة أيضا باسم جزيرة أوال) هي أكبر جزيرةٍ في أرخبيل البحرين، وتشكلُ الجزءُ الأكبرُ من مساحة البلاد.

138. موقعةُ الخندق: وقعت سنة 470هـ -(1077—1078م) وتعدُّ هذه المعركةُ منَ المعارك الحاسمة في التاريخ؛ لأنّها قضتْ على دولة القرامطة الذينَ ظلوا زهاءَ قرنين مصدر رعب وفزع للدولة العباسية بوجه خاصّ. وعلى الرّغم من ذلكَ ظلَّ أثرُ القرامطة باقيا في البحرين وعُمانَ بعدَ موقعة الخندق بكثير. «حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج4 ،ص246»

139. حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام، ح4 ، ص246 .

140. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ، ج4 ص245.

141. الطائفةُ الدرزيةُ : عرقيةٌ دينية عربية تدينُ بمذهب التوحيد ذي التعاليم الباطنية حسبَ بعض الباحثينَ ؛ وتعودُ أصولُه إلى الإسماعيلية ، أحدى المذاهب الإسلامية ، كما ترجعُ جذورُ الدروز إلى غرب آسيا ويطلقونَ على أنفسهم اسمَ أهل التوحيد أو الموحدونَ ويذكرُ أنّ الدروزَ يؤمنون بالشهادتين وبمحمد بوصفه رسولًا والقرآن والقضاء والقدر واليوم الآخر،كما أنهم يقدّسون النبي شعيب أحد أنبياء العرب ، الذي يعدونه المؤسس الروحي والنبي الرئيسي في مذهب التوحيد. مذهب التوحيد الدرزي هو ديانة إبراهيمية وتوحيدية ، قائم على تعاليم حمزة بن علي بن أحمد والخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله والفلاسفة اليونانيين مثل أفلاطون وأرسطو.

142. حسن إبراهيم حسن ، ح4 ، ص245 .

143. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام، ج4، ص246.

144. ابن خلدون، العبر، ج 4 ، ص 94.

145. ابن خلدون، العبر، ح 4 ، ص 94 .

146. ابن خلدون، العبر، ح 4 ، ص 99 .

147. تامر ، القرامطة ، ص 120 .

148. العبادي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 258.

149. المعاضيدي، الحياة السياسية ص26. سرور، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص120 .

150. الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية ، ص187.

151. حسن إبراهيم حسن، المعز لدين الله ، ص96.

152. متز، آدم ،الحضارة الإسلامية ، ج1،ص42.

153. علي إبراهيم، العصور الوسطى ، ص217.

154. ابن القلأنس، ذيل تاريخ دمشق، ص1.

155. ماجد، الأمام المستنصر بالله الفاطمي، ص98.

156. تامر، عارف، القرامطة ،ص154.

157. تامر، القرامطة، ص 120 – 121 .

158. تامر، القرامطة، ص 121 .

159. الداوداري، كنز ، ص125.

160. سياسة جعفر بن فلاح : اتبع جعفر بن فلاح وجيشه المغربي سياسة عنيفة مع زعماء قبائل الامر الذي ادى إلى انضمامهم إلى القرامطة .

161. ابن القلأنس، ذيل تاريخ دمشق، ص 2–1. ابن خلكان، النجوم الزاهرة، ج1، ص336.

162. علي ابراهيم، مصر في العصور الوسطى، ص216.

163. ابن خلدون، العبر، ج1، ص50.

164. حسن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، ص 153.

165. سرور، سياسة الفاطميين الخارجية، ص123.

قائمة المصادر:

1. ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الوأحد الشيباني المعروف بابن الأثير (ت، 630هـ)._ الكامل في التاريخ ، بيروت: دار صادر1979م /1399 هـ.

2. ابن الجوزي، الو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت 597 هـ /1209 م) المنتظم في تاريخ الامم ، تحقيق محمد مصطفى عبدالقادر عطا، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 1992.

3. ابن حوقل، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري) ، صورة الأرض ، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1992م.

4. ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (681هـ/1282م) وفيات الاعيان وأبناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ،دار الثقافة ،بيرت 1968م.

5. ابن القلأنسي ،أبو يعلي حمزة (555هـ /1160م) ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين 1901 م .

6. ابن كثير، الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ). البداية والنهاية، ط2، بيروت: مكتبة المعارف 1394هـ/1974م.

7. أبو المحاسن، ابن تغزي بردي، يوسف الاتابكي (874هـ/1469م) القاهرة النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقااهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والزجمة والنشر المسعودي، التنبيه.

8. الإدريسي، أبو عبدالله محمد بن عبدالله الإدريسي الحموي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، (ت560هـ/1165م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط2، عالم الكتب بيروت1409هـ/1989م .

9. الأنطاكي، يحيى بن سعيد(ت458هـ/1067م) تاريخ الأنطاكي، بصلة تاريخ أوتيخا. تحقيق عمر عبد السلام تدمري. جروس برس، طرابلس، لبنان 1919 م.

10. البلاذري، –البلاذري، الأمام أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279هـ/892م)، فتوح البلدان؛ عني بمراجعته و التعليق علي رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية، 1991م/1412 هـ.

11. الحميري محمد عبد المنعم (ت1494/900م) ، الروض العطار في خبر الاقطار ، تحقيق احسان عباس ، مكتبة لبنان بيروت.

12. الحنبلي ، مجير الدين، ت860هـ/927م الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، اشراف محمود عطا الله ، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية 1420هـ /1999م .

13. الداوداري، عبدالله ايبك (ت736هـ /1348م) كنز الدرر وجامع الغرر، تحقق بيرند راتكة، قسم الدراسات الاسلاية بالمعهد الألماني ، القاهرة 1982م .

14. السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر،(ت911) تاريخ الخلفاء، تحقيق حمدي الدمرداش محمد ، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة ،1425هـ/2004م .

15. الصيفي. بدر الدين محمود (ت854هـ/1450م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

16. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هجري) ، تاريخ الأمم و الملوك؛ تحقيق محمد "أبو الفضل" إبراهيم ، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية،1987م/1407هـ.

17. الظاهري، غرس الدين ، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، طبعة باريس 1893م .

18. القرماني، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي ت(1019هـ) اخبار الدولة وآثار الأول في التاريخ، عام الكتب ، بيروت .

19. القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي بن احمد بن عبدالله (ت821هـ/1418م) أ- صبح الاعشى في صناعة الأنشا، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الفكر ، بيروت. ب- نهاية الارب في معرفة انساب العرب، بيروت: دار الكتب العلمية .

20. المسعودي، (ت346هـ/957م) ،التنبيه والاشراف ،دار صادر، بيروت،1993م.

21. المعاضيدي، خاشع -الحياة السياسية في بلاد الشام من خلال العصر الفاطمي، ط1 ، بغداد : دار الحرية للطباعة ، 1975 م .

22. المقدسي، المعروف بالبشاري، احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه محمد مخزوم ، بيروت: دار احياء التراث العربي ، 1408هـ -- 1987م .

23. المقريزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ)،اتعظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ، منشورات محمد علي بيضون ،بيروت ، دارالكتب العلمية ، ط1 ، 1422هـ /2001م .

24. ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت628)، معجم البلدان، ط2 ،بيروت : دار صادر 1995م .

قائمة المراجع:

1. بروكلمان، - بروكلمان، كارل._ تاريخ الشعوب الإسلامية ؛ ترجمة نبيه أمين فارس و منير بعلبكي ، ط 7 ، بيروت: دار العلم للملايين، 1977م.

2. تامر ، القرامطة - تامر، عارف ، القرامطة: أصلهم، نشأتهم، تاريخهم، حروبهم ، بيروت: دار الكاتب العربي.

3. جلال، ابراهيم، المعز لدين الله الفاطمي، دار الفكر ، ط1 ،1998م .

4. حتي، فليب، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال اليازجي ، دار الثقافة ،بيرت .

5. حسن، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، بيروت - دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ط5 ،142 2هـ - 2001م .

6. حسن، علي ابراهيم، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مطبعة الاعتماد القاهرة 1947م.

7. الخربوطلي، علي حسني ، مصر العربية الإسلامية :السياسة والحضارة في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني ، مكتبة الأنجلو المصرية ، 1963م .

8. الخطيب، حامد، قصة مدينة الرملة، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، بيروت 1994م.

9. الدباغ، مصطفى مراد،الموجز في تاريخ الدولة العربية وعهودها في بلادنا فلسطين ، بيروت ط3 1987م.

10. زكار، سهيل، اخبار القرامطة في الاحساء في الشام ،العراق ،اليمن ،ط2، دار الإحسان للطباعة والنشر ط2 1982م .

11. سرور، محمد جمال الدين، سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة 1973 م .

12. طوطح، خليل حبيب خوري، جغرافية فلسطين، مطبعة القدس،1342هـ ، 1923م.

13. العاوور، صلاح، وسيسالم ، عصام ، محاضرات في تاريخ الدويلات الإسلامية ، غزة ، مكتبة المنار ، ط1 ،1418هـ 1997--م .

14. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والفاطمي ، مؤسسة شباب الجاعة الاسكندرية 1993م.

15. عياش، حسن، حركة الأحداث في دمشق خلال الحكم الفاطمي «359هـ-468-هـ/969م—1075م» مجلة جامعة النجاح الوطنية، مجلد(23) (2) ، 2009م.

16. لقبال، موسى، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجري(11م)، الجزائر: مكتبة طريق العلم، الحركة الوطنية للنشر والتوريع، 1979م.

17. ماجد، عبدالمنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ط2 ، مكتبة الأنجلو مصر القاهرة 1973 م .

18. متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري وعصر النهضة في الاسلام ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده ، دار الكتاب الغربي ط1، بيروت 2967م .

19. مخلص، عبدالله، مئذنة الجامع الأبيض في الرملة ، بيروت .

20. موسوعة المدن الفلسطينية، هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق1984م .

21. النحال ، حمد سلامة ، جغرافية فلسطين ، دار العلم للملايين بيروت1966م.

Resources:

1. *Ibn al-Athir, 'Izz al-Din Abu al-Hassan Ali ibn Muhammad ibn Muhammad ash-Shaybani (d.630)_al-Kāmil fī l-taārīkh, Beirut: Publishing House issued 1979/ 1399 AH.*
2. *Ibn al-Jawzī Abū l-Faraj 'Abd al-Raāmān Ibn 'Alī Ibn Muammad (d.AH597/AD 1209) Muntazam fi Tarikh al-Muluk,Investigation of Mohammad Mostafa Abdelqader Ata, P.1, Dar al Kotob al Ilmiyah, Beirut AD 1992.*
3. *Abū al-Qāsim Ibn awqal al-Naībī(d. the second half of the forth century of migration), ūrat al-'Ar (the Face of the Earth), Beirut: Dar Maktabat al Hayat, 1992.*
4. *Ibn Khallikān, Abbās Sh ams al-Dīn Ahmad Ibn abi Baker (681 AH/ 1282) Wafayāt al-Ayān wa-Anbā Abnā az-Zamān ('Deaths of Eminent Men and History of the Sons of the Epoch'), investigation of Ihsan Abbas, Dar al Thaqafah, Beirut 1968.*
5. *Ibn al-Qalanisi, Hamza ibn Asad abu Ya›la (555 AH/ 1160) Dhail Ta›rikh Dimashq (Continuation of the Chronicle of Damascus) Maba at al-ābā al-yasīiyyn,1901.*

22. *Mokhles, Abdullah, Me'tanat al Jame' al Abyad fi al Ramlah (The minaret of the White Mosque in Ramlah City) The Palestinian Encyclopedia Institute, Damascus, AD 1984.*

23. *Al Nahal, Hamad Salamah, Geograhy of Palestine, Dar el Ilm lilmalyin, Beirut, AD 1966.*

6. *Ibn Kathir, al-Hafeth Abu al-Fida› ‹Imad Ad-Din Isma›il bin ‹Umar bin Kathir Al--Damishqi(d.AH 774) Al-Bidayah wan Nihayah (The Beginning and The End), p.2, Dar Al- Maaref Tharwat, AH 1394/ AD 1974.*

7. *Abu al-Mahasen, Ibn Taghasi Yusuf al Atbaki(AH 874/ AD 1394), Al-Nujūm al-Zāhirah fī Mulūk Miṣr wa-al-Qāhirah. Egyptian Institute for Translation and publication, Almsudi, al Tanbih.*

8. *Al-Idrisi, Abu Abdullah Muhammad Ibn Abdullah al-Idrisi al-Hamawi al-Hasani known as al-Sharif al-Idrisi,(d. AH 560/1165) Nuzhat al-Mushtaq fi'khtiraq al-'afaq, P.2,Alam al- Kotob Beirut, AH1409/ AD 1989.*

Referencecs:

1. *Brockelmann,-Brockelmann Carl.- History of Islamic Nations, translated by Nbih Amin Faris and Muneer Ba›lbaki, P.7,Bierut: Dar el Ilm lilmalayIn, AD 1977.*

2. *Tamer, Aref, The Qarmatians: their origin, history and wars, Bierut: Dar al Kitab al Arabi.*

3. *Jalal, Ibrahim Alma›z Aldin Allh Alfatmi, Dar al Fikr, p.1 , AD 1998.*

4. *Hitti, Philip, The History of Syria, Lebanon and Plaestine,translated by Kamal al Yaziji, Dar al Thaqafah, Beirut.*

5. *Hasan, Ibrahim Hasan: Political, Religious, Cultural and Social History of Islam, Bierut- Dar al Jabal and Maktabat al Nahda al Masryah, Cairo, P.5, AH 2142- AD 2001.*

6. *Hasan Ali Ibrahim, Egypt in middle ages from the Arabic conquest till the Ottoman›s, al Ie›timad Publisher, Cairo, AD 1947.*

7. *Al Kharbotly, Ali Hussni, The Islamic and Arabic Egypt: Politics and culture in Egypt during the Arab- Islamic age from the Arabic conquest till the Ottoman›s, Alglo Egyptian Library,AD1963.*

8. *Al Khatib, Hamed, the Stoty of al Ramlah City,The Arab Leag ue Educational, Cultural and Scientific Organization, Bierut, AD 1994.*

9. *Al Dabagh, Mustafa Murad, Al Mojaz fi Tarikh Al Dawla Al Islamia wa*

10. *Ouhoudeha fi Beladona Falasstin, Bierut,P.3 AD 1987.*

11. *Zkar, Suhail, Akhbar al Qaramitta fi al Ihsa› fi al Sham, Iraq, and Yamen, P.2, Dar al Ihsan for printing and publishing. P.2 AD 1982.*

12. *Surur, Mohammad Jamal Adin, Fatimid Foreign Politics, Dar al Fikr al Arabi for printing, publishing and distributing, Cairo AD 1973.*

13. *Tutah, Khalil Habib Khouri, Palestine Geography, Al Quds Publisher, AH 1342- AD 1923.*

14. *Al Arour, Salah & Salem , Isam: Lectures on History of the Islamic States, Gaza, al Manar Library,P.1: AH 1418/ AD1997.*

15. *Al Abbadi, Ahmad Mukhtar, Fi al Tarikh al Abbasi wal Fatimi, Shabab al Ja›a Alexandria AD 1993.*

16. *yyah , Hasan, Harakat al Ahdath khilal al Hukum al Fatimi› AH 359—AH468/ AD ,969—1075' , Al-Najah University Magazin.Vol (23)(2),AD 2009.*

17. *Liqbal, Mousa, Dawr Kutama fi Tarikh al Khilafa al Fatimi Montho Ta'seesaha ela montasaf al Qarn al Kahmes al Hijri (AD 11),*

18. *Algeria: Tareeq al Elm Library, al Haraka al Watanya for publishing nd distributing. AD 1979.*

19. *Majed, Abdelmon'em Majed, Notho al Fattimyin wa Rosomohom fi Masr, Anglo Librabry, Egypt, Cairo, AD 1973.*

20. *Mez, Adam, Islamic Culture in the Fourth Century AH and during Islam Renaissance, translated by*

21. *Mohammad Abdelhadi Abu Rideh, Dar Al Kitab al Gharbi,P.1, Beirut AD 1967.*

القيمة الدلاليّة للقرائن بين القدامى والمحدثين

Semantic Values of Verbal Clues Between Old and Modern Researchers

أ. محمد محمود المشايخ

محاضر/ كليّة الإمارات للتكنولوجيا -أبو ظبي / الإمارات العربيّة المتحدة

د. محمد عيسى الحوراني

أستاذ مساعد/ جامعة العين -أبو ظبي /الإمارات العربية المتحدة

Mr. Mohammad Mahmoud Almashaykh

Lecturer \ Emirates College of Technology- Abu Dhabi \ United Arab Emirates

mmm8382@yahoo.com

Dr. Mohammad Issa Alhourani

Assistant Professor /al-Ain University -Abu Dhabi\ United Arab Emirates

mohammad.alhourani@aau.ac.ae

تاريخ الاستلام: 16/ 6/ 2019م، **تاريخ القبول:** 5/ 11/ 2019م.

Received: 16/ 6/ 2019, **Accepted:** 5/ 11/ 2019

DOI: https://doi.org/10.5281/zenodo.3604905

E- ISSN: 2616 - 9843

P- ISSN: 2616 - 9835

http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

تتخذ القرائن المستخدمة في أساليب اللغة العربيّة أهميّةً كبرى، لدورها في تقديم أبعاد دلاليّة متنوعة ترتبط بكيفية استخدامها في الجمل والتراكيب. ومن أَبرز تلك القرائن (القرائن الحرفية) التي تدخل في تكوين الجملة، وتنحرف بها من دلالة إلى أخرى حسب استخداماتها السّياقيّة، ما يؤكد عمق تأثيرها في انزياح المعنى، وتأطيرها الدّلاليّ للحقل الذي بُنيَتْ فيه.

وتتميز حروف المعاني بأنها ذات حقول دلاليّة متنوعة، فضلاً عن كونها تشكل حلقات ربط بين الجمل والتراكيبَ، وتتغيرَ معانيها بتغير السّياق الذي استخدمت فيه، وهو ما يقف عليه هذا البحث، كاشفاً عن القيمة الدّلاليّة لاستخدام القرائن والأدوات الحرفيّة في لغة العرب، ومجلياً الآراء فيها، ليقوم بتأصيل القيمة الدلاليّة وحقولها المختلفة في استعمال تلك القرائن، مستعيناً في ذلك بالمنهجين التحليليّ والوصفيّ.

الكلمات المفتاحية: (القرائن، الحروف والأدوات، المعنى، التراث)

Abstract:

The linguistic clues that are used in Arabic literature are of big importance, as it plays a role in delivering a variety of dimensional indications related to the way it is used in sentences and phrases. Amongst these linguistic clues are the prepositional and conjunctional clues that take part in forming sentences, and how they deviate from one meaning to another according to their contextual use, which confirms their deep influence in the alteration of meaning, and how they define the context where they have been used. Therefore, prepositions and conjunctions have various contextual meanings. Moreover, they form links between sentences and phrases. Their meanings change according to the context in which they are used. This point is the main focus of this research, with which we uncover the reasons of Arab's use of prepositional and conjunctional clues and tools, and what are the different opinions about it, trying to establish a theory for the meanings value of using them in different contexts.

Keywords: *Clues, Tools, Conjunctions and Prepositions, Meaning, Heritage*

مقدمة:

نالت أساليب اللغة العربية اهتمامَ العلماء من لغويين ومفسرين وبلاغيين، وهذا الاهتمام لم يكن حكراً على عصرٍ دون آخر؛ فكثيرٌ من الدراسات – قديمةً وحديثةً – تسعى لتحديد القيمة الدلاليّة التي تُسهم في أدائها القرائن المستخدمة في الأساليبِ العربيّة.

والقرينة الحرفيّة: هي عناصر تدخل في تركيب الجملةِ، تُنشِئُ أسلوباً من الأساليب التي يجري البحث فيها، ألزمتْ العربُ نفسها بترادهاَ في الجملةَ العربيّة شعراً ونثراً؛ لمقاصد تصبّ في المعنى. كاستخدام حروف النفي واختلاف الدلالة في الجملة الشرطيّة التي تستخدم إنْ وإذا الشرطيتين، والفرق بين ربّ وواو ربّ في دلالة الجملة والفرق بين الظرف (مع) و(واو المعيّة) وغيرها في اللغة ال عربيّة.

ويُشارُ إلى أنّ «مقاصد كلام العرب على اختلاف صنوفه مبنيٌّ أكثرها على معاني حروفه»[1]؛ وذلك لأهمية دور الحروف في ربط بعض الجمل ببعضها الآخر، فأَخْذُ المختصين اللغةَ القرآنيةَ ولغةَ الشعر العربيّ بهذا الكم الهائل من الفروقات في الجملة العربية دالٌ على مدى العناية بالأساليب وتراكيبها، وهدفهم في كل ذلك بلوغ الدلالة مقصودَها اللّغويِّ الذي تُشير إليه كل أداةٍ من الأدوات التي تختصّ بالأسلوب المستخدم في الجملة.

ويختلف ما تناوله اللّغويون والمفسرون للأدوات (القرائن الحرفيّة) عن تناول الموضوع ذاته في دراسات البلاغيين، وارتكزت دراسة المحدثين على المقاصد الدلاليّة عند اللّغويين والمفسرين والبلاغيين، إلاّ أنّ الهدف المقصود في الدراسات واحدٌ، وهذا الهدف هو الكشف عن قناع المعنى، لذلك سنشرع في هذه البحث بتوضيح طرق المفسرين واللغويين والبلاغيين في بيان القيم الدلاليّة في تركيب القرائن الحرفيّة للجملة العربيّة، محاولين كشفَ عناية العرب بالأدوات وفضلها الدلاليّ لعلّنا نستطيعُ إضافة شيءٍ جديدٍ إلى الأبحاث التي تناولت هذا المجال.

مشكلة البحث والدراسات السابقة:

تبرز مشكلة البحث في الكشف عن القيم الدّلاليّة من استخدام العرب للقرائن والأدوات التي قد تخرج اللغة عن أصلها المفترض في الاستخدام اللغويّ عند التواصل مع الآخرين، وتكمُن أبرز هذه الظواهر في قدرة المتحدث على استخدام الأدوات والقرائن اللّغويّة بصورتها التي ارتضتها العرب لها، وقلة المعرفة بدلالة الأدوات ازدادَ سوءًا بتقادم الزمان وبالأخص عند اختلاط العرب بغيرهم من الأقوام، لذلك أصبح الغلط والخطأ فاحشاً وشائعاً على الألسنة، والمشكلة الكبرى هي أنّ السامع لا يقبل البتّة أيَّ شخص يُقوّمُ له خطأً أو يعرّفَهَ بغلط، بل يستخفون بعقول مَن يُبيّن له خصائص اللغة ويكشف لهم قناع الصواب، ومنهم مَن يلبس بعض حجج العربَ كحجّةِ أنّ العرب ركبتْ الضرورات وأجازتها لنفسها وهم لا يعرفون ما الضرورة؟ وكيف يجب أنْ تكون؟ فيستحلون لأنفسهم ما حرّمته العرب على نفسها في لغتهم.

وهنا تبرز الأهميّة إلى توجيه النمط في الدراسات الحديثة إلى إبراز دور القيم التركيبية المستخدمة في لغة العرب، بعيدًا عن التقليد اللغويّ السائر في مثل هذا النوع من الدراسات الوصفيّة، والذي يقوم على دراسة الظواهر النحويّة والصرفيّة – شعراً أو نثراً – بين العرف اللغويّ القديم والعرف اللغويّ الحديث، من ذلك ما ورد في رسالة الظواهر النحويّة والصرفية في شعر المتنبي ـ عبد الجليل يوسف بدا رسالة دكتوراه في اللغة العربية ـ كلية الآداب، جامعة دمشق 2004، وإن خرجتْ عن ذلك تخرج إلى دراسة موازنة بين النحو والبلاغة.

وكذلك في رسالة (أسلوب التقديم والتأخير بين النحو والبلاغة) شعر الهذليين نموذجاً – مها علي محمد الشطناوي – رسالة ماجستير- كلية الآداب جامعة اليرموك 1998. المشرف فايز

القرعان. وغيرها.

فلم يتنبه أحد إلى إبراز هذه الالتزامات التركيبيّة من الناحية الدلاليّة، ومن هنا كان المسوغ لخوض هذه الدراسة، لعلها تكون طريقًا لتوجيه النظر إلى التراث العربيّ بأكمله من منظور وصفيّ يصل بين التراكيب اللغويّة والمعنى للوصول إلى وصفٍ لقيمةٍ دلاليّةٍ جديدةٍ تخدم المعنى.

فكان من المناسب أن نعرجَ على دراسة القرائن والأدوات لنبين ما يأتي: ما فضل الكشف عن دلالة القرائن الحرفيّة في الجملة العربيّة؟ وما الأمور التي تكشفها المعرفة بالقرائن الحرفيّة؟ كيف يمكن المزج بين فروع اللغة لبيان الدلالة المقصودة من استخدام القرائن الحرفيّة في الدراسات التطبيقيّة؟ وما الذي يُضفيه معرفة الباحث باستخدام القرائن الحرفيّة؟

أهداف البحث وأهميته

من أهمّ الأهداف التي يحرص البحث على تحقيقها هي:

1. تأكيد دور القرائن الحرفيّة في دلالة الجملة العربيّة.
2. تأصيل دراسة القرائن الحرفيّة في المباحث الدلاليّة بفروعها.
3. بيان أهميّة القرائن الحرفيّة في الدراسات البلاغيّة واللغويّة وعند المفسرين.

وتنبع أهمية البحث من أنه يقوم على تأصيل دور القيمة الدّلاليّة وراء استخدام القرائن الحرفيّة، وما لهذه القرائن من دور لا يقلُّ أهميّةً عن غيره من فروع اللّغة، ناهيك عن أنّ القرائن الحرفيّة قد يكون لها الدور الأكبر في تأصيل الكثير من الظواهر البلاغيّة في تركيب الجملة العربيّة، وكذلك تمكين الدلالة تمكناً لا يمكن إساءةُ فهمه البتّة، وبهذا قد نستشفُ من البحث ما قد يؤول به الحديث عند الفهمَ الدقيق للمقصود من استخدام كل أداة من الأدوات المتشابهة في الباب الواحد (كأدوات التوكيد والتشبيه)، أو المتقاربة في الدّلالة (كواو المعيّة و مع وكذلك ربّ و واو ربّ) وغير ذلك كثيرٌ في اللغة.

منهج البحث:

سنقوم في هذه البحث بالاعتماد على المنهج الوصفيّ التحليليّ.

فأما التحليلي فسنقوم بتتبع آراء العلماء والمفكرين وتحليل آرائهم وما أوردوه حول دور القرائن والدلالات الحرفيّة في الجملة العربيّة، وسنلجأ إلى المنهج الوصفيّ عند سرد الآراء ونضع الشواهد والأدلّة اللازمة فنصف الدرجة التي تؤكد أهميّة البحث وأهميّة الدلالة الحرفيّة في تأصيل المعاني في شتى فروع اللغة.

المبحث الأول: عناية المفسّرين واللّغويين بدور القرينة الحرفيّة في أداء المعاني

يعدُّ المفسرون أسبقَ من العلماء العرب عناية بالقرائن الحرفيّة، وشقّتْ هذه العناية طريقها بعد أن فسدتْ مَلَكَةُ اللغة وأصابها ما أصابها من اللحن والخلاف في معرفة اللّغة والإعراب والبلاغة؛ لذلك أصبحت «علوم اللغة صناعةً من الكلام في موضوعات اللّغة، ما جعل اعتماد التفسير على معرفة اللّغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب»[2]، فأقدموا على الاهتمام بمعاني مفردات القرآن ودلالات تراكيبه وأدواته[3]، ومن المؤكد أنّ المفسرين اهتموا بالأدوات المستخدمة في الأساليب المختلفة، وهذا الاهتمام أوصلهم إلى أنّ «أدنى ما يُستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل، على أنها من العلم الذي لا يعرف العامة فضله؛ فإنما يعرف ذلك العلماء»[4]، وعلى هذا فقد أصبحت الدراية بدور القرينة الحرفيّة في تحديد المعنى في الجملة علماً أساسياً من علوم اللسان العربي؛ وذلك للدّلالة التي يُضفيها وجود كل أداة في كلّ أسلوب، فكان من المفترض أن نحكم على «أنّ معاني الأدوات علمٌ نشأ في ركاب تفسير القرآن الكريم»[5].

وتهدف الأدوات المستخدمة في الأساليب إلى نقل الدّلالة من ظاهرها إلى معنًى مقصودٍ في ذاته، ويؤدي استخدام بعض الأدوات في التراكيب في غير موضعها إلى فساد الكلام، والخروج عمّا اعتادت عليه العرب في لغتها، وتصل إلى إفساد حكمة النّظم في كلامهم، فليس اختلاف الأدوات في المعنى الواحد يُقصد به معنًى واحدٌ، بل إنّ هذا الاختلاف عائدٌ إلى قيمةٍ مرجوةٍ قصدها المتكلم في جملته، هذه القيمة هي جوهرٌ جماليٌّ موجودٌ في اللغة بصورة بلاغيّة بديعيّة أو بيانيّة أو غير ذلك، فانظر مثلاً ما أوجدتْهُ العرب في دلالة استخدام حرفَ العطف (أم) الذي استخدمته العرب للتسوية في قولنا (سواءٌ عليه أدرس أم لم يدرسْ لن ينجح)، فلو استخدمنا حرف العطف (أو) ـ الذي استخدمته العرب للتعيين أو التخيير ... ـ موضع (أم) لأفسد المعنى إفساداً تاماً؛ لأنّ ظاهر الدّلالة المرجوة من كلا الحرفين قد تكون متشابهةً، ولكنّ المعنى الدّلاليّ لا ينطبق مع تركيب الجملة العربيّة لحرف العطف (أو) فلا يمكن أنْ نتجوّز التركيب الدلاليّ بحالٍ من الأحوال مع وجود كلمة (سواءٌ) والمصدر المؤول من همزة التّسوية والفعل في الجملة.

ويقتضي التنوع الدّلاليّ الذي تؤديه الأدوات في الأساليب اللغويّة المستخدمة من المتكلم «وضْعَ كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أُبدل مكانه غَيْرَهُ جاء منه: إما تَبَدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون مع سقوط البلاغة، وذلك أنّ في الكلام ألفاظاً متقاربة في المعاني، يحسبُ أكثر الناس أنها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب كالعَلَم والمعرفة، والحمد والشكر، وبلى ونعم، وذلك وذاك، ومن وعن، ونحوهما من الأسماء والأفعال والحروف والصفات...، والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك؛ لأنّ لكل لفظة منها خاصيةً تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها، وإن كانا قد يشتركان في بعضها»[6]

ومن ذلك:

- **أولاً: من قرائن النفي**

وقد أورد سيبويه (180هـ) في باب نفي الفعل ما يدلّ على أنّ لكلّ أداةٍ موضعها الدّلاليّ الذي اختصتْ به في هذا الموضع عن غيرها ـ وهو ما قد يعطي الاستخدام دلالةً تفرضها عليها استخدام القرينة الحرفيّة ذاتها دون غيرها ـ فقال: «إذا قال: (فَعَل) فإنَّ نفيه (لم يفعل). وإذا قال: (قد فعل) فإنّ نفيه (لمّا يفعل). وإذا قال: (لقد فعل) فإنَّ نفيه (ما فعل). لأنّه كأنَّه قال: (والله لقد فعل) فقال: (والله ما فعل). وإذا قال هو(يفعل)، أي هو في حال فعل، فإنَّ نفيه (ما يفعل). وإذا قال (هو يفعل) ولم يكن الفعل واقعاً فنفيه (لا يفعل). وإذا قال (ليفعلنَّ) فنفيه (لا يفعل)، كأنّه قال: (والله ليفعلنَّ) فقلت (والله لا يفعل). وإذا قال: (سوف يفعل) فإنَّ نفيه (لن يفعل)»[7].

ويدلّ استخدام مسمى (حروف المعاني) على الأدوات على

ما تؤديه من دلالة في الأساليب العربيّة، وأنّ هذه الحروف إنما استخدمتْ حتى تخرج بالجملة إلى معنًى آخر يقصده المتحدث، وما يؤكد ذلك أنّ حدّ الحرف عند أصحاب الاختصاص وهو «ما دّل على معنًى في غيره نحو (من) و (إلى) و (ثم) وما أشبه ذلك»[8]ولا يُبنى التكامل في القيمة الدّلاليّة دون وجود تابع الأداة (الاسم، الفعل) فالأداة في التركيب لا قيمه لها مفردةً، وكذلك ليس من الدّلالة في شيء تعاقب حروف الأسلوب الواحد في السياق– إلاّ في باب التوكيد – للدّلالة على معنيين في تابعها؛ لأنّ الأداة قطعيّة في دلالتها ولو تماثل العمل في الأسلوب المستخدم[9]، لذلك نستطيع أنْ نُفرّق بين دلالة الجملة المنفيّة التي تبدأ بـ(لا أو ما) بالرجوع إلى باب نفي الفعل عند سيبويه مع أنهما في باب واحد، كقولنا:(ما دخل سعيدٌ ولا دخل محمودٌ) ولكن لا نستطيع أنْ نقول: (ما لا دخل سعيدٌ ومحمودٌ) للدلالة على معنى الحرفين في جملة واحدة، فالزمن الذي صَحبَ استخدام ما النافية (وهو من الحاضر للمستقبل) يختلف عن الزمن الذي سيصحب استخدام لا النافية (وهو من الماضي للمستقبل) وهذا ما يجعل استخدام كِلا الحرفين في الجملة ذاتها أمر غير مقبولٍ دلاليّاً.

♦ **ثانياً: من قرائن العطف**

ونستطيع أنْ نستدلّ على دلالة حرفي العطف (الفاء وثمّ) من خلال سياق الجملة، كقولنا:(دخل خالدٌ فسعيدٌ) أو (دخل خالدٌ ثمّ سعيدٌ) فكلا الحرفين يدلاّن على الترتيب، ولكن تقصر الفترة الزمنيّة بين المرتبَيْن إذا استُخدمت (الفاء) وتطول الفترة الزمنيّة بين المرتّبَيْن إذا استُخدمت (ثمّ)، ولذلك لا نستطيع القولَ، (دخل خالدٌ ثمّ فسعيدٌ) للدلالة على معنى الحرفين في جملة واحدة.

ومن ذلك ما أورده ابن درستويه (347هـ) بقوله في تعاقب حروف الجر: «إبطالُ حقيقة اللغة، وإفساد الحكمة فيها، والقول بخلاف ما يوجبه العقل والقياس»[10] وهذا معنًى أورده ابن يعيش في شرحه بعد أنْ عرّف الحرف بقوله: «الحرف ما دّل على معنًى في غيره» وأضاف إليه قوله: «ومن ثمّ لم ينفك من اسم أو فعلٍ يصحبه»[11]؛ «أيْ لا يمكن للحرف أنْ يؤدي معنًى إلاّ إذا صَحبهُ فعلٌ أو اسمٌ».

ومما يُلحظ في ما جرى الاطلاع عليه في كتب اللغة حول دلالة الأداة في الجملة أنّ « لفظ الواجب (غير المنفي)، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً، وإذا لحقتْ لفظ النفي عاد إيجاباً وذلك كقوله سبحانه وتعالى: (أأنت قلتَ للناس)[12] أي ما قلتُ لهم، وقوله: (آلله أذن لكم)[13] أي لم يأذن لكم»[14]. ومن ذلك أيضاً لو قلت: (ما تأتينا إلاّ فتحدثنا) أو (ما تزال تأتينا فتحدثنا) وجب الرفعُ؛ وذلك لأنّ النفي في المثال الأول انتقضَ بـ(إلا)، وفي المثال الثاني هو داخلٌ على (زال) و(زال) للنفي، «ونفي النفي إيجاب»[15]، وهذا من تمام الاستشهاد بفضل القرائن الحرفيّة ودورها في تحولات الدّلالة وتنقلها إذا تلاقت هذه القرائن في الجملة الواحدة.

ومن الخصائص التي تُضفيها الأدوات على تابعها خروجِ الشيء عن أصله، فقد يَزول عمّا كان يستحقه وضعاً ويغدو له حكماً آخرَ من خلال وظيفة الأدوات التي تدخل على الجملة العربيّة، ومن هنا يجدرُ في هذا المبحث التوقفُ عند قول سيبويه في باب علم ما الكلم من العربية عندما قال: «...وأما الفعل فأمثلته أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبُنيَتْ لما مضى، ولِما يكونُ ولم يقع، وما هو كائنٌ ولم ينقطع»[16]، فالنظر إلى ما أرادهَ سيبويه من تحديد أزمنة الفعل ودلالاتها ثقة منه من أنّ الزمن للفعل لا يكون بمجرّد استخدام كلمة تدل على حدث الماضي أو المضارع أو الأمر وإنما أضاف لنا أنّ الفعل الماضي ما دلّ على الماضي في ذاته أو بدخول الأدوات عليه فتحوله من المضارع إلى زمن الماضي؛ وهذه حالٌ قائمةٌ في العربية عندما يدخل أحدُ حرفي النفي والجزم والقلب (لم أو لما) على الفعلِ المضارع فتحول زمنه إلى الماضي، أما ما يخص الأمر فهو فعلٌ دالٌ على حدث يكون ولم يقع حدثه بَعدُ، فهذا لا يكون في الفعل الذي يدلُ على الأمرِ فقط وإنما قد تدخل لام الأمر على الفعل المضارع فتُدخله في حدث الفعل الذي يكون ولم يقع (أي الأمر). وأما الفعل الماضي فإنّه يدل على الزمن الماضي في ذاته ولكنْ دخول (لا) النافية عليه « تُخَلصه للاستقبال كقوله تعالى: (فلا صدّق ولا صلّى)[17] أي لم يُصدق ولم يصل»[18]، ناهيك عن دلالة أسماء الأفعال على الأزمنة.

ويظهر أنّ سيبويه «قد عَمد إلى المعنى الوظيفيّ الذي تؤديها عناصر اللغة، ورَبَط بينه وبين الحالة الإعرابيّة التي تؤديها كل أداة في الجملة، فهنا يظهر أنّ سيبويه لم يُعنَ بالجانب الشكلي في تحليله لهذا الباب النحويّ، بل أظهر أنّ وظائف الأدوات في الجملة العربيّة تؤدي دورها في تفسير المعنى بمصاحبة الحالة الإعرابية»[19].

ويتضح أنّ الأدوات عند اللغويين والمفسرين تؤدي دورها في الجملة العربية في مقصدين هما:

♦ **أولاً: العلامة الإعرابية ودورها في أداء المعنى**

وهذا يؤكده الدور الذي تؤديه الأدوات المستخدمة في الجملة من جرٍ ونصبٍ وجزم وعطفٍ وغيرها، التي تعمل على تحديد الإعراب للوصول إلىً المعنىً المقصود، لذلك نجد أصحاب الاختصاص يُعرفون «الإعراب بأنه الإبانة عن المعاني باختلاف أواخر الكلم لتعاقب العوامل في أولها»[20]. والعوامل بدورها وقصدها في الجملة العربيّة تحدّد الدلالة عن طريق الإعراب، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿**وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ**﴾[21] فلو كانت العلامة الإعرابية لكلمة (ورسوله) على الجر إتباعاً لما قبلها لكانت البراءة من الرسول في الآية، وكذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ**﴾[22] فلو كانت العلامة الإعرابية برفع (إبراهيم) ونصب (ربه) لكان الابتلاءُ على خلاف المعنى أي ابتلاءُ إبراهيمُ لله، وهذا ما يُدخل المعنى في الشّرك.

ومن ذلك ما سمعه عبد الملك بن مروان من رجل كان يرى رأي الخوارج، أي رأي شبيب الحارثي، عندما مدحه بقصيدةٍ فوصل إلى قوله:

ومِنّــا سُــويدٌ والبَطــينُ وقَعْنَــبٌ
ومِنّــا أمــيرُ المؤمنــين شــبيبُ

فاستدعاه عبد الملك بن مروان وسأله عن هذا القول فردّ عليه: يا أمير المؤمنين إنما قلت (ومنا أميرَ المؤمنين شبيبُ)، وأردت بذلك مناداةً لك (أي: يا أمير المؤمنين). فكان ذلك سبباً لنجاته[23]. فلو كان الرفع لكلمة (أميرُ) لكان أمير المؤمنين هو ذاته شبيبٌ الشاعرُ ولَكان المدحُ موجّهاً للشاعر نفسه، لكنّ تغيير الحركة الإعرابية بتقدير أداة النداء المحذوفة قد أنجتَ الشاعرَ من عقابٍ كاد يحلّ به.

ويتّضح من الآيتين السابقتين والبيت السابق سبب ترجيح الوجه النحوي على غيره إذا دلّ عليه الظاهر، وليس معنى (الظاهر) هنا إلاّ المعنى المقصود من الوجه الإعرابي، لذلك نجد تعدد الوجوه الإعرابية للجملة أو الكلمة الواحدة يدل على تعدد المعاني وهذا ما

أكّده ابن جني في قوله: «ألا ترى أنّ موضوع الإعراب على مخالفة بعضه بعضاً من حيث كان إنما جيءَ به دالاً على اختلاف المعاني» [24].

وعطفاً على ما تقدّم ذهب النحاة والمفسرون إلى أنّ الجملة العربية من حيث المقاصد والأساليب هي السبب الذي أوصل البحث التطبيقي عندهم إلى أنّ الأدوات تؤدي دورها في الجملة بتحديد التأويل المناسب في الجملة، وهذا ما جعل المفسرين يهتمون بالأدوات على الرغم من صعوبة فهم كثير من مقاصدها، وهذا العلْم من أشرف العلوم الدّالة على المَعاني؛ لأنّها قرائنُ المعاني والمحدِّدُ للدلالة المرجوّة، «فالقرينة المستخدمة في الجملة هي الأمر الدال على الشيء من غير استعمال فيه»[25] أو بمعنًى آخر «أمرٌ يُشيرُ إلى المطلوب»[26] بتحديدها للزمن أو الحدث أو المُخاطب.

وتعدّ حروف المعاني من القرائن؛ لأنّ «حدَّها ما دلّ على معنًى في غيره ومن ثمّ لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه»[27]، لذلك نستطيع القولَ، إنّ الأدوات في دورها القائم فيّ الجملة تعدّ مقاصد المعاني ومحددات الدّلالة في الجملة العربية؛ وعندما نلحظها تُشير إلى مطلوب الدّلالة في الخطاب وتوجيه الإعراب.

♦ **ثانياً : وظيفة الأدوات (القرينة الحرفيّة) ودورها في أداء المعنى**

ميّز أصحاب الاختصاص بين الدور الذي يؤديه الإعراب في المعنى والدور الذي تؤديه الأدوات فيه، فوجدوا أنّ الأدوات توجه الإعراب، والإعراب والأدوات معاً يقودان إلى المعنى، لذلك مَن لم يُدرك دور الأدوات المستخدمة في الأساليب المتعددة في تحديد المعنى لا يصلُ إلى مُبتَغاه من المقصود في الجملة العربيّة، لذلك يمكن القول إنّ تأثير الأدوات وتأثير التراكيب الصرفية (القرائن) في المعنى أسبقُ وأهمُ من الإعراب، فلولا القرائن ما تحدد الإعراب، وهذا ما أشار إليه ابن جني (392هـ) في باب «التفسير على المعنى دون اللفظ «عندما قال: «اعلمْ أنّ هذا موضع قد أتعب كثيراً من الناس واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما بذلوا به وتتابعوا فيه؛ حتى إنّ أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة، والأقوال المستشنعة، إنما دعا إليها القائلين بها تعلقُهُم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سر معانيها، ومعاقد أغراضها. فمن ذلك قول سيبويه في بعض ألفاظه: حتى الناصبة للفعل، يعني في نحو قولنا: اتّق الله حتى يدخلك الجنة. فإذا سمع هذا من يضعف نظره اعتدّها في جملة الحروف الناصبة للفعل، وإنما النصب بعدها بأن مضمرة، وإنما جاز أن يتسَّمح بذلك من حيث كان الفعل بعدها منصوبًا بحرف لا يذكر معها فصارت في اللفظ كالخَلَف له، والعوض منه، وإنما هي في الحقيقة جارّة لا ناصبة»[28]. فهذا تأكيدٌ واضحٌ على أنّ الأدوات هي سرّ المعاني ومعاقد الأغراض ـ على حدّ قول ابن جني ـ، وأنّ إنكارَ دورها في شرف الدلالة وحقيقتها إنما هو من سوء الرأي وفساد الاعتقاد، فتَرْكُ الأدوات ودلالتها في تحديد الحدث أو الزمن أو المخاطب يؤدي إلى فساد المعاني.

ونجد ابن جني في موضع آخر يقدّم المعنى على الإعراب فإذا اختلفت المعاني بسبب الإعراب فالأولى أن نتصرف بالإعراب خدمةً للمعنى الذي تريده أو المعنى الصحيح، فيقول: "وذلك أنّك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعرابَ والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه. فمتى اعتورا كلامًا ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحلت لتصحيح الإعراب. فمن ذلك قول الله تعالى:(إنه على رجعه لقادرٌ يوم تُبلى السرائر)[29]، فمعنى هذا: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر، فإن حملته في الإعراب على هذا كان خطأً؛ لفصلك بين الظرف الذي هو (يوم تُبلى)، وبين ما هو معلّق به من المصدر الذي هو (الرجع)، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز. أما إذا كان المعنى مقتضيًا له والإعراب مانعًا منه، احتلتَ له، بأن تضمر ناصبًا يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالاً على ذلك الفعل، حتى كأنه قال فيما بعد: يرجعه يوم تبلى السرائر. ودلّ (رجعه) على (يرجعه) دلالةَ المصدر على فعله[30]. وهذا يدلّ على أنّ تتبع دلالة الأدوات والحروف واجبٌ على القارئ، لكي يصل إلى تمام المعاني، لذلك نجد ابن جني في القول السابق يبحث عن مُضمر الأدوات ومحذوفها بالتحايل على المعنى، وللوصول إلى المعنى الذي يستقيم فيه القول، لذلك نرى مثل هذا القول وغيره عند ابن جني في باب أطلق عليه اسم (تجاذب المعاني والإعراب)، والإعراب يستدعي وجود الأدوات، وكأنّ عنوان الباب السابق يدلّنا إلى معنًى فرعيٍّ هو تجاذب المعاني والأدوات في خدمة الدّلالة، وهذا أقرب إلى أنْ يوضح حقيقة الاستشهاد السابق[31].

المبحث الثاني: عناية البلاغيين بدور القرينة الحرفيّة في أداء المعاني

عني البلاغيون بالأدوات المستخدمة في الأساليب البلاغية؛ لدورها في رسم صورة للمعنى ألفتها العرب في لغتهم ونظم كلامهم، فالوصول إلى دلالة السياق هدفٌ منشودٌ في الدراساتَ البلاغيّة، لذلك فإنّ العرب ما استخدمت الأساليب البلاغيّة في لغتها إلاّ بوصفها قرينةً تُجري الخطاب مجرًى يتناسب مع المقام، ويتوجب على وجود القرينة الإشارة إلى مطلوب يسعى إليه المتكلم.

سَعْيُهُم هذا مقصودٌ في ذاته للرّقي بالدّلالة القرآنيّة إلى أَوْجهَا، ذلك «أنّ طريق هذه اللغة أكثرها جارٍ على المجاز، وقل ما يخرج الشيء منها على الحقيقة... فلما كانت كذلك، وكان القوم الذين خوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها، وانتشار أنحائها، جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه، ويعتادونه منها، وفهموا أغراض المخاطب لهم بها على حسب عُرْفهم، وعادتهم في استعمالها»[32]، لذلك نجد في كلام العرب حلولَ الحَرف مكان الكلمة أو الجملة، كأنْ يأتوا بحرف الجر (عن) بمعنى كلمة (بدل) في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً﴾ [33]، وكذلك ما يعنيه حرف العطف (ثمّ) في إفادته لمعنى الترتيب والتراخي كما ورد في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [34] أي وبعد أنْ أحياكم بفترة زمنيّة أماتكم، وبعدَ أنْ أماتكم بفترة زمنيّة أحياكم...، ففي هذه الآية أفادت (ثمّ) معنيين هما الترتيب والتراخي (إفادة وجود فترة زمنيّة بين كلّ فعل وآخر)، كما أننا لو نظرنا إلى قوله تعالى: «الحمد لله رب العالمين»[35] لوجدنا أنّ اللام في قوله تعالى تفيد معنى (أخصّ). ولمثل هذا وغيره أشار إليه ابن جني في باب (زيادة الحروف وحذفها)[36].

وعطفاً على ما سلف فالدراية بالأدوات ودلالة استخدامها من العلوم التي تكشف القناعَ عن المعاني، وهو فرعٌ من فروع البيان؛ لهذا عدّ المفسرون الدراية بعلم البيان من أهم العلوم التي يجب أنْ يسعى المفسرُ إلى احتوائها؛ لما لهذا العلم من أدوات يستخدمها الخطاب القرآني لبلوغ معنًى مقصودٍ في الجملة القرآنيّة، لذلك ذهب

صاحب البرهان إلى أنّ المعرفة «بأوضاع علم البيان عمدةَ التفسير، والمُطْلِعَ على عجائب كلام الله، وهي قاعدة الفصاحة، وواسطة عقد البلاغة»[37]، فوَضْعُ كلّ حرف مكانه الذي يَبينُ به المعاني ويُفْهَم به حقيقة الدّلالة يقود الكلامَ إلى البُعد عن فساد الدّلالة، والوهمُ بتقارب المعاني في الأدوات التي تؤدي الدّلالة نفسها يقود الكلامَ إلى أحد الأمرين هما تبدّل المعنى أو فساد الدلالة[38]، فبهذه القاعدة ومثلها اهتمّ البلاغيون أيّما اهتمام، وعدّوا العلم بالأدوات التي تُستخدم في أساليب البيان من أدلّ العُلوم على كمال المعنى، لما فيها من اختصار للدّلالة مصحوب بدلالة خاصّة بالأداة[39]، وهذه الدّلالة هي أساسُ البيان، «فعلىً قدر وضّوح الدّلالة وصواب الإشارة وحُسن الاختصار ودقة المدخل يكون إظهار المعنى الخفي، وهو البيان الذي سمعتَ الله – عزّ وجل – يمدحه، والبيان اسم جامعٌ لكل شيءٍ كشف له قناع المعنى»[40]، وهذا عند البلاغيين بخلاف ما يتعاطاه المُلغز من الشعراء والمحاجي من الناس؛ لأنّ الله تعالى لم يكن ليُعجِزَ بكتابه من طريق الإلباس والتعمية[41].

والاهتمام بدلالة السياق في عُرف البلاغيّين تجعلهم يهتمون بالمعاني وبحالة المتلقي، ذلك أنّ المعاني تحدد الألفاظ التي يجب أنْ يعرضها المتكلم بدلالة معرفته لمقاصد اللُّغة، فالاهتمام بالمتلقي ترفع من قرائن اللفظ وتقللها، وهذا ما أبانه الجاحظ (255هـ) في بيانه عندما قال : «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاماً ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستَمعين على أقدار تلك الحالات حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني»[42].

وذكر الجرجاني (471هـ) إلى أنّ الكلام العربيّ لا يُفهمُ معناه من ظاهره بوجود الأساليب البلاغية فحسب، وإنما تجدُ الأساليب البلاغيّة طريقها إلى معنًى آخر تُفضي إليه الجملة، وهذا يعتمدُ على نوع الأسلوب البلاغيّ المستخدم في الجملة. «فالكلام عنده على ضربين: ضربٌ أن تصل به إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ... وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة. ثم تجد لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر في الكناية، والاستعارة، والتمثيل ...، وإذا عرفت هذه الجملة، فههنا عبارة مختصرة، وهي تقول :المعنى ومعنى المعنى؛ و تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنًى، إلى معنى، ثم يُفضي بك ذلك إلى معنى آخر»[43]، ولكن الحديث السابق لا يقتصر على الاستعارة والكناية والتمثيل وغيره من علوم البلاغة فحسب، بل إنّ هذا ما نستطيع أن نلمسه في الأدوات المستخدمة في الأساليب، فـ(كل وجميع) هما لفظتان تدلاّن على باب التوكيد (وهذا هو المعنى)، ولكن (معنى المعنى) أنّ استخدام (كل) يختلف في الدلالة عن استخدام (جميع) [44].

وبتحديد مضمون الخطاب في الجملة العربيّة باستخدام المؤكدات من أدوات الأساليب المختلفة، عندما تحدد صفة المخاطب في الكلام العربي، ففي الخبر الابتدائي يسعى فيه القائل لطرح جملته إلى خالي الذهن حتى يُعرّف المخاطب بالخبر، فيعرض له الجملة دون مؤكدات. فإذا تطور الخطاب بين الطرفين ورأى القائل المخاطبَ شاكاً فيما قدّمه في جملته لجأ إلى تراكيب التأكيد فطرح جملته بمؤكدٍ واحدٍ ليضعَ المخاطب في حال الطلب (الخبر الطلبي). وإذا اشتدّ الإنكارُ عند المخاطب لَجَأَ القائل إلى تأكيد الجملة باستخدام أساليب التأكيد في جملته بزيادة المؤكدات إلى مؤكّدين فأكثر ليضع المخاطب موضع الإنكار (الخبر الإنكاري). ولو نظرت إلى أساليب تأكيد الجملة الخبرية لوجدتَ أنها تراكيب مستخدمه في الجملة ذات قيمة دلاليّة تُبرز معنًى يطلبه حال المخاطب في الجملة، ومن التوكيد: جُمَلُ القَسَم، نونا التوكيد الثقيلة والخفيفة، لام الأمر، لام الابتداء، حرف التوكيد والنصب إنّ، قد مصاحبة للفعل الماضي، أمّا الشرطيّة، أحرف التنبيه، أداة العرض ألا، أداة التحضيض هلا [45]. وهذا أدلُّ ما يكون على أنّ دلالة الألفاظ تكشف عن ذاتها، وإذا لحقتها الأدوات فهي تدل على معنى أسلوبها (مثل الشرط، النفي، التوكيد، ...) وتدلّ على حقيقة دلالتها التي وضعتْ من أجله (كدلالتها على تحديد الزمان وتنكيره أو تعريف المكان أو تنكيره أو على تحقق الحدث وعدم تحققه أو على تحديد المخاطب أو تنكيره ...)، وهذا لا يستطيع الكشف عنه إلاّ من اختصّتْ درايته بذلك [46].

وقد ذهب البلاغيون إلى أنّ السياق قرينةٌ يلجأ إليها الناظر في بيان المعنى، فهو في عرف البلاغيين مُحَدِّدٌ للمقام ودالٌ على المعاني، لأنّ مقامات الكلام تحتاج إلى ألفاظ وأدوات تدلّ عليها، فلكلّ مقام ألفاظُه وأدواته التي تتناسب مع سياقها؛ فسياق الحديث في باب التّوكيد ـ على سبيل المثال ـ يحتاج المخاطب المنكر للخبر أدوات للتوكيد خلافاً لحاجة المخاطب الشاك في الخبر لأدوات التوكيد، لذلك تتفاوت الأدوات بحسب درجة الإنكار، لهذا السبب فقد عدّ البلاغيون «أنّ دلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدّلالة، وهو من أعظم القرائن الدّالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: (ذقْ إنّك أنتَ العزيزُ الكريم)[47] كيف تجد سياقه على أنه الذليل الحقير»[48].

العلاقات التي توضّح المعنى باستخدام القرائن البلاغيّة:

♦ أولاً: العلاقة بين الأسلوب البلاغي والمعنى

عدّ البلاغيون الأساليب البلاغية من القرائن الدالة على إعجاز القرآن الكريم، وهذا الإعجاز يكمن وراء جمال الدلالة التي تُخفيها الأساليب البلاغية وبراعتها في أداء المعاني، فوجدوا في الأساليب البلاغيّة معيناً لا ينضبُ في استخراج روعة التصوير الفنيّ الذي تدل عليها أمثلة المجاز بما فيه من حذف، وزيادة، وتقديم، وتأخير وحمل على المعنى وتحريف[49]، فالقرآن الكريم دالٌ فيّ معانيه وألفاظه على الإعجاز اللغويّ، وهذه البراعة ميّزها البلاغيون عمّا يستخدمه الشعراء من المُلغز والأحاجي البلاغيّة التي قد تدلّ على براعة تصرفهم في أساليب اللغة لمقاصده الدلاليّة.

و يجدرُ بالبحث أنْ يُشيرَ إلى أنّ الأدوات في الأساليب اللغويّة قد تتصرف في الدلالة فتحوّل المجاز إلى حقيقة، ومن ذلك ما جاء في ألفاظ التوكيد المعنوي ودورها في تحويل المجاز إلى حقيقة، «فإذا عُرف التوكيد لمَ وقعَ في الكلام نحو (نفسه وعينه وأجمع، وكله وكلهم وكليهما وما أشبه ذلك) عَرَفتَ منه حال سعة المجاز في هذا الكلام؛ ألا ترَاك قد تقول: قطع الأمير اللص ويكون القطع له بأمره لا بيده، فإذا قلت: (قطع الأمير نفسُهُ اللصّ) رفعت المجاز من جهة الفعل وصرت إلى الحقيقة؛ لكنْ يبقى عليك التجوز من مكان آخر وهو قولك: اللص وإنما لعله قطع يده أو رجله؛ فإذا احتَطْتَ قلت: قطع الأميرُ نفسُهُ يد اللص أو رجله. وكذلك جاء الجيش أجمع، ولولا أنّه قد كان يمكن أن يكون إنما جاء بعضه وإن أطلقت المجيء

على(جميعه) لما كان لقولك: (أجمع) معنى»[50].

♦ **ثانياً: العلاقة بين السياق والمعنى**

التفت البلاغيون إلى السياقات التي تُقال فيها العبارات، وبالأخص أسباب نزول الآيات في القرآن الكريم، والأغراض الشعريّة في القصيدة العربية، وهذا الأمر دعاهم للاهتمام بمعجم الألفاظ المستخدمة في الأسلوب البلاغيّ ومدى علاقته الدلاليّة بالسياق، ومن خلاله يُحدد الدارس أقدار المخاطبين في الجملة وطبقاتهم، لذلك يعدّ السياق قرينةً تعرض الحالة النفسيّة التي يبدو فيها المتحدث أو تعرض صفة المخاطب بالنسبة للمتحدث التي تبرز في الجملة.

فالنداء - على سبيل المثال - قرينةٌ تحدد صفة المنادَى بالنسبة للمنادي، لذلك قد تُستخدم أداة نداء القريب لنداء البعيد للدلالة على أنّ المنادى عالي المنزلة أو منحط المنزلة أو غافل شارد الذهن[51].

♦ **ثالثاً: العلاقة بين الألفاظ المفردة والمعنى**

تعدّ الألفاظ من القرائن الجامدة، فلا تدلُّ إلّا على ذاتها في الجملة عند البلاغيّين، وهذا الأمر هو الفرق الجوهريّ القائم بين الأساليب البلاغيّة والألفاظ، لذلك نجد كثيراً من الكتب قد خرجت بدراستها لتوضيح الوظائف الدّلاليّة التي تؤديها الألفاظ المتقاربة في المعاني، ومثال ذلك إصلاح ابن السّكّيت (244هـ) والفروق للعسكري (329هـ)، وهذا ما جعل بعضهم يُنكرُ وجودَ الترادف في اللغة، وقد يميلُ إلى هذا الحُكْم كلّ مَن استهواه النظر في معاني القرآن الكريم والشعر العربيّ.

ويبدو أنّ الجاحظَ من أوائل الساعين إلى هذا الإنكار، عندما قال: «وقد يستخف الناس ألفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها، ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع، والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر؛ لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين الغيث"[52].

المبحث الثالث: عناية علماء اللغة المعاصرين بدلالات القرينة الحرفيّة المستخدمة في أساليب اللغة.

جاءت عناية المعاصرين بالنحو العربي من أجل التقعيد للأصول النحوية التي وضعتها العرب حفاظاً على هذه اللغة من الضياع، فاهتموا بتقديم كمٍّ من المؤلفات التي تُعرَضُ بأسلوب كاتبها دون المسّ بجوهر هذه القواعد[53]، وأغلب المؤلفات النحويّة سعتْ لتيسير تناول المسائل النحويّة من بطون الكتب القديمة، فأخذت طابع التقعيد للغة دون الاهتمام بجوهر هذه القواعد الذي يمسّ المعنى[54].

ولم يبقَ الحال في الدراسات النحويّة على ما هو عليه عند القدماء، فقد اجتهد بعض المعاصرين في الوصول إلى تجديد لدراسة النحو وتقديمه إلى المتعلمين من باب التيسير وتسهيل دراسة النحو العربيّ[55]، ولكن بدا أنّ النظر إلى مدى أخْذ المحدثين بالنظرات التحديثيّة لتناول النحو العربيّ لم ينل عناية المحدثين على وجه التطبيق، والقصدُ هنا تناول العناية بديوان شاعر أو آيات القرآن الكريم على وجه الحصر وتتبع الدّلالة فيها، بل ظهرت عنايتهم بالنظرات التحديثيّة على وجه الإعجاب بهذه الآراء أو الرد عليها، مع أنّ هذا الاتجاه من التجديد أخذ يهتم بالدلالة التي يقدمها الباب النحويّ لخدمة المعنى وهذا ما نلحظُهُ – كثيراً – في كتب أولئك الساعين إلى التجديد، ومن ذلك ما ذكره إبراهيم مصطفى ناقداً لتقديم النحاة للقواعد النحويّة بمعزلٍ عن المعنى الذي يؤديه الباب النحويّ في الجملة العربيّة «أما علامات الإعراب فقلّ أن ترى لها أثراً في تصوير المعنى، وقلّ أن يُشعرنا النحاة بفرقٍ بين أن تنصب أو ترفع...»[56].

ومع كل المحاولات التي سعى إليها المحدثون لم أجد في ما جرى الاطلاع فيه من كتب التجديد دراسةً حقيقيّة تجديديّة، تحاول كَشْفَ القناع عن المعنى الذي تؤديه الأدوات في الجملة العربيّة، ويبدو أنّ السَبب وراءَ ذلك هو صعوبة البحوث التي تقوم بها في الوصول إلى فَهْم المعنى من استخدام هذه الأدوات التركيبيّة، وهذا ما أشار إليه تمّام حسان عندما أخذ يُبين الوظيفة الدّلاليّة التي تؤديها ما أطلق عليه بـ (قرائن التعليق)[57] **عندما قال «ولا شك في أن أصعب القرائن من حيث إمكانيّة الكشف عنها هي قرينة التعليق لأنها:**

1. قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل في بعض الأحيان.
2. إنّ التّأمل فيها يقود - في الأغلب الأعم من الحالات - إلى متاهات الأفكار الظنية التي لا تتصل اتصالاً مباشراً بالتفكير النحويّ، ونخرج لهذا السبب عن طبيعة الالتزام بحدود المنهج.
3. إنّ الكشف عن هذه القرينة هي الغاية الكُبرى من التحليل الإعرابي، وما دام الناس يُحسون ويعترفون بالإحساس بصعوبة الإعراب أحياناً؛ فإن معنى ذلك أنّ من الصعب عليهم أحياناً أن يكشفوا عن هذه القرينة المعنوية (قرينة التعليق) وهي أم القرائن النحوية جميعاً.»[58]

ويقودنا قول تمام حسّان السابق إلى أنّ الصعوبة القائمة في مزج القرائن المستخدمة في تركيب الجملة والوظيفة النحوية التي تؤديها هذه القرائن في أداء المعنى، يجعل من الصعوبة بمكانة في دراسة حقيقة الدلالة المقصودة وراء استخدام الأدوات في الجمل، مادام الدارس لم يضم الدلالات التي تُشير إليها الأدوات إلى حصيلته الفكريّة؛ ما يجعله غير قادر على أن يُدرك حقيقة الدلالة في كثير من الأحيان، فيستعيض بالمعنى الظاهر على حساب الحقيقة الدلاليّة التي تؤديها الأدوات في الجملة، كنفي الفعل - على سبيل المثال - يلجأ الدارس إلى أن يُشيرَ إلى النفي بوجود الأداة دون العلم بأنّ الأداة المستخدمة تُشير إلى زمن النفي (الماضي، الحاضر، المستقبل)[59].

وقد أدرك المعاصرون أن التنوع في استعمال الأدوات في الأساليب من خلال السياق لا يُقصد به دلالة واحدة، فليست الدلالة السياقيّة للنفي بـ(لا) هي دلالتها السياقيّة للنفي بـ(ما)، وليس (إنْ الشرطية) تؤدي وظيفتها الدلاليّة مثلما تؤديها (إذا الشرطية)، وكذلك ما استطاع الشعراء أنْ يبرعوا به فيما يُسمى بتناوب الحروف وتعاورها في الاستخدام اللغوي، «فالمغزى من وراء كل ذلك أنّ ما يتسم به المعنى الوظيفي للمبنى الواحد من التعددية والاحتماليّة يجعل الناظر في النص يسعى دائماً وراء القرائن اللفظيّة والمعنويّة والحاليّة ليرى أنّ المعاني المتعددة لهذا المبنى هو المقصود، ومن هنا نرى التفاضل بين المُعْربين للجملة الواحدة «[60]، وهذا يؤكد أنّ الإلمام بمعاني الأدوات من أهم الدلالات التي تفرض على اللغوي أنْ يُحْكِمَ معرفتَها، «فالمعنى يجمع بين العنصر اللغوي و الوظيفة النحويّة التي يشغلها؛ ولذا فإن التفسير الذي يربط بين المعنى

والعمل يُبْرِزُ كيف تشكلت تراكيب نحوية مقبولة بالمحافظة على النظام النحوي للغة حيث لم يحدث تصادم بين العنصر اللغوي العامل، والوظيفة التي يؤديها حين تدخل في علاقات مع العناصر اللغوية الأخرى التي تؤدي وظائف محددة «[61].

ويعدُّ التبادل الوظيفي بين معاني أبواب النحو (التبادل الوظيفي بين الحروف) هو السبب وراء اهتمام المحدثين بدراسة القواعد النحويّة لخدمة المعنى الذي يؤديه الباب النحوي، وهذا ما يتعاطاه الشعراء والطاعنون في دراسة الأبواب النحويّة على سبيل إظهار المَلَكَة الدلاليّة التي يستطيع أن يصل بها المتحدث في جملته التي يُلقيها للسامع، فهي براعةٌ يمتلكونها، وإبداعٌ مقصود، **وهذا الإبداع قسّمه الدكتور ممدوح الرمالي إلى نوعين هما:**

♦ الأول: هو إبداع اللغة ومستخدميها من الناطقين والشعراء وغيرهم، وهو أن تستخدم لفظة في تركيب بمعنى لفظة أخرى دون أن تتغير دلالة التركيب، وذلك مشهور في أحرف الجر التي يحل الحرف الواحد منها محل إخوته من الأحرف دون أن تتغير دلالة التركيب، وهو ما أطلق عليها العلماء العرب تعاور حروف الجر بعضها لبعضها الآخر، وتسميته أيضاً بـ ((تبادل الوظائف الدلاليّة)).

♦ والنوع الثاني: إبداع النحاة و المقعّدين، وهو مرتبط بأمور التفسير والتحليل وإيجاد المخرج[62]، وما يختصّ بتغيير المواقع الإعرابية للأدوات ـ للأسماء منها ـ بحسب تركيب الجملة ومكوّناتها، كاستخدام (ما و مَن) الشرطيتين مرّة في الابتداء وأخرى في المفعوليّة، وتعدد الموقع الإعرابي لـ(كيف الاستفهاميّة)، وهو ما أطلق عليه بـ(تبادل الوظائف النحويّة) [63].

وبدا أنّ الاتساع في الدراسات الدلاليّة الحديثة وأَخْذَ أدوات الإبداع في الدّلالة غير محصورة في النحو العربي، بل يمكن أنْ يُضافَ إليها الاستخدامات التركيبيّة التي تتضمن الأنماط البلاغيّة من استعارة وكناية ومجاز وتشبيه وغيرها، وهذا الإبداع شقّ طريقه بصورة ملحوظة ليأخذَ موقعه من علم الدّلالة عند المُحدثين، فأخذ يُطلق عليه فيما بَعد (بعلم الأسلوبيّة)، وهذا العلم يأخذ معنى الدّلالة التي تكمنُ في الأساليب البلاغيّة، فيبحث عن الانزياحات والانحرافات والخروج عن المألوف وتبدُّلات المعاني التي تؤديها الأساليب البلاغيّة في خدمتها لقوة المعنى.

وقد خلُصت الدراسات الحديثة إلى الاهتمام بما جاء به القدامى من علاقات برزت بين القرائن اللغويّة، ومقصدها «رفع حكم نحويّ عن كلمة مؤدية لوظيفة نحويّة بعينها في الجملة، وإبدال حكم نحويٍّ غيّره به يدلّ عليه السياق بقرائنه اتكاءً على أصل موجودٍ لا مفترض[64] حددته طبيعة اللغة بضوابطها (القياس ...)»[65] وما يدلّ على هذا الأمر الدواعي الدلاليّة (رفع الحكم النحوي) من استخدام إحدى أداتي الشرط (إذا، إنْ)، وأَخَذَ يُطلق عليها المعاصرون بدوال نسخ الدلالة[66]، **وبيّنوها فيما يأتي:**

1. الإبطال: وهو ما يُقصد به التقاء أسلوبين أو أكثر من أساليب العربية في جملة وهذا يؤدي إلى توقف عمل الأسلوب في المعنى، لا في الوظيفة النحويّة. ومثال ذلك : إبطال دلالة أداة الاستثناء بـ(إلا) لإفادة التوكيد، وهذا عند تناسخ النفي مع الاستثناء[67]، فيعمل النفي وأداة الاستثناء (إلا) في الاستثناء المفرغ على إثبات الحكم لشيء ونفيه عمّا عداه (أسلوب الحصر) وهذا يُبطلُ حكمَ النفي في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ (68)، ففي الآية السابقة يظهر حصر الدلالة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيره في الزمن الذي عاش فيه وليس نفي الرسالة عنه، فلو حذفنا أداة الاستثناء (إلاّ) نلحظ أنّ الجملة قد نفت عن محمد ـ صلى الله عليه وسلّم ـ الرسالة.

ومن ذلك أيضاً إبطال عمل حرف التوكيد والنصب (إنّ) عند دخولها على (ما النافية أو الموصولة)، كما في قوله تعالى: ﴿**فَإِنْ آمَنُواْ بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [69]، فالأصلُ في الضمير المنفصل (هم) أنْ يكون اسماً لحرف التوكيد والنصب (إنّ)، ولكن دخول (ما) النافية عليها أبطلتها عن العمل فيما بعدها.

2. إزالة الحكم: وهو ما أسماه السيوطي (ت 911 هـ) في الأشباه والنظائر (الطارئُ يُزيل حكم الثابت) ونقل عن ابن جني قوله في باب «(نقض الأوضاع إذا طرأ عليه طارئ) كلفظ الاستفهام إذا طرأ عليه التعجب، استحال خبراً. كقولنا (مررتُ برجلٍ أيِّ رجلٍ أو أيما رجلٍ؟!، فأنت الآن مخبر بتناهي الرجل في الفضل ولستَ مُستفهماً»[70]، فالأصل في الجملة أنْ تكون (مررتُ برجلٍ فضله عظيمٌ)، فعندما كان الغرض من الجملة التعجب، استخدم الاستفهام الذي خرج إلى معنى التعجب لبيان عظم فضل المخصوص بالحكم، وأبطل حكمَ الاستفهام بـ(أيّ، أيما)، وأصبحت الجملة الإنشائيّة خبريّةً تُخبرُ عن عِظَم الفضل للرجل، لا الاستفهام عن عِظم الفضل للرجل .

3. الإلغاء: وهو عند النحاة على ثلاثة أقسام[71] هي إلغاءٌ في اللفظ والمعنى مثل: «(لا) الزائدة الداخلة في الكلام لمجرد تقويته وتوكيده، نحو (ما منعكَ إذْ رأيتهم ضلّوا ألاّ تتّبعن»[72]، (ما منعكَ ألاّ تسجُدَ)[73] ويوضحه الآية الأخرى (ما منعكَ أنْ تسجُدَ)[74] ومنه (لئلاّ يعلمَ أهلُ الكتاب)[75] أي ليعلموا[76]، وهي في الآيات السابقة مُلغاة في دلالتها على النفي (نفي الحدث والزمن)، وزائدة لإفادة معنى التوكيد في المعنى، فلو حُذفتْ ما نقص في المعنى غير دلالة توكيد الحدث فقط، والتوكيد ليس غرضاً دلالياً لاستخدام النفي، وإنما الغرض منه إزالة الحكم في الحدث أو الزمن. وإلغاءٌ في اللفظ دون المعنى، ومثلها «(ما كان أحسن زيداً) فتذكر كان لتدلّ أنه فيما مضى»[77]، فلو حُذف الفعل الناقص (كان) ما اختلفت الدلالة إلا بنقصانها عنصر الزمن الماضي الذي دُلّ عليه به. وإلغاءٌ في المعنى دون اللفظ. ومثل ذلك دخول حرف الجر الزائد على الجملة لإفادة معنى التوكيد، كأنْ تقول (ما جاء من رجل)، فالجملة نفت مَجيءَ الرجال، وحَذْفُ (من) لا يُضيرُ المعنى غير نقصان دلالة التوكيد.

4. التحول: ويُشترط فيه الحذف أو التعويض أو التبادل أو الزيادة أو تحويل الصيغة[78]، ومن هذه الظواهر ما ورد في باب التمييز عندما «يكون محولاً عن الفاعل كقوله تعالى: واشتعل الرأس شيباً»[79] أصله اشتعل شيبُ الرأس...أو أن يكون محولاً عن المفعول به كقوله تعالى: «وفجرنا الأرضَ عيوناً»[80] قيلَ: التقديرُ وفجرنا عيونَ الأرض، وكذا قيل في (غرستُ الأرضَ شجراً) [81].

5. الخروج عن الحقيقة: وقد ورد عند ابن جني في (باب في إقرار الألفاظ على أوضاعها الأوَل ما لم يدعُ داعٍ إلى الترك أو التحويل)[82] ومنه ما نقله عن قطرب (ت 206 هـ) في أنه «ذهب إلى أن (أو) قد تكون بمعنى (الواو)، وأنشد بيتَ النابغة:

قالَـت ألا لَيتَمـا هَـذا الحَمـامُ
لَنـا إلى حَمامَتِنـا وَنِصـفُهُ فَقَـد

فقال: معناه: ونصفه. ولعمري، إن كذا معناه. وكيف لا يكون

كذلك ولا بدّ منه، قد كثرت فيه الرواية أيضاً بالواو: ونصفه»[83].

ومن هذا الباب الاستفهام الذي يخرج إلى التقرير، فالاستفهام ضربٌ من ضروب الإنشاء الطلبي، و»التقرير ضرب من الخبر، وذلك ضد الاستفهام»[84]، ويعني (التقرير) «حملُك المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرّ عنده ثبوتُهُ أو نفيُهُ»[85].

ومثال ذلك في قوله تعالى : ﴿**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ**﴾ [86]، فالسؤال في الآية ما كان للاستفهام؛ لعلمهم بأنّ الذي حطّم أصنامهم هو سيدنا إبراهيم – عليه السلام –، وهذا يدلّ على عكس الاستفهام الذي يعدُّ إنشاءً طلبيّاً، فالهدف الدلاليّ من جملة الاستفهام (بوصفه إنشاءً طلبيًّا) هو «استدعاء مطلوب غير حاصل وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل»[87]، واستدعاء المطلوب كان معروفاً في الآية السابقة بالنسبة لقوم سيدنا إبراهيم – عليه السلام –، ولكنْ كان الهدف من الاستفهام طلب الإقرار والاعتراف بما فعله، لا طلب السؤال عن شيءٍ غير معلوم.

6. خلع الدّلالة : ومن ذلك ما أورده السيوطي في (خلع الدلالة) فقال: «ومن ذلك قولنا: (ألا) قد كان كذا وقول **الله** سبحانه (ألا إنهم يثنون صدورهم)»[88] فـ(ألا) هذه فيها أمران: التنبيه وافتتاح الكلام، فإذا جاء معها (يا)، خلصت افتتاحًا لا غير، وصار التنبيه الذي فيها لـ(يا) دونها وذلك نحو قوله تعالى: (ألا يسجدوا **لله**) (89)، ومن حالات خلع الدلالة ما يظهر في (ما الموصولة أو النافية أو المصدرية) التي تتصل بحرف التوكيد والنصب (إنّ)، ما يجعل (ما) كافّةً عن عملها، كما في قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [90]، فلو حُذفتْ (إنّ) لَلُوحظ أنّ (ما) في الجملة نفتْ حكمَ الإصلاح عن كفّار قريش، لذلك عندما دخلت (إنّ) على (ما) خلعت الدلالة عنها من النفي إلى الكافة عن العمل؛ وذلك لإبطالها عمل (إنّ) نحوياً لا دلالياً، وأقصد دلاليّاً دلالة التوكيد فيها.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[91]، فلو حُذفتْ (إنّ) لَلُوحظ أنّ (ما والفعل بعدها) في الجملة قد حلاّ محلّ المصدر الصريح (قوله له)؛ لذلك عندما دخلت (إنّ) على (ما) خلعت الدلالة عنها من المصدريّة إلى الكافة عن العمل وذلك لإبطالها عمل (إنّ) نحوياً لا دلالياً.

كما أنّ (إنّ) قد تخلع الدلالة عن (ما الموصولة) كما في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾[92]، فلو حُذفتْ (إنّ) لَلُوحظ أنّ (ما) في الجملة وصلة الآيتين ببعضهما لبيان حكم المحرّم والحلال من الطيبات، لذلك عندما دخلت (إنّ) على (ما) خلعت الدلالة عنها من الموصولة إلى الكافة عن العمل وذلك لإبطالها عمل (إنّ) نحوياً لا دلالياً.

7. العدول: هو «ضربٌ من التصرف، وفيه إخراج للأصل عن بابه إلى الفرع»(93)، ومن هذا ما أورده ابن هشام في العدول عن النصب في قوله تعالى : ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞ هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۞ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۞ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۞**﴾ [94] لتتناسب الفواصل وغيره كثير[95]، والأصلُ في الآية السابقة أنْ يكون الفعل (يعتذرون) منصوباً (بحذف النون) بـ(أن) المضمرة وجوباً بعد فاء السببيّة، ولكنْ أُعملتْ الفاء معنى الترتيب والتعقيب فعطفتْ الفعل مرفوعاً على الفعل المرفوع الذي سبقها (يُؤذن) لغرض تناسق الفواصل مع ما سبقها وما لحقها من آيات، فتَغيّر الباب النحويّ في حرف الفاء أخرج التركيب النحويّ من غرض إلى آخر للوصول إلى تناسق الفواصل في الجمل المتتابعة .

8. القلب النحوي: و يُقصد به التبادل بين الوظائف النحويّة في الجملة العربية وأورده ابن هشام عندما قال «من فنون كلامهم القلب وأكثر وقوعه في الشعر، ومنه في الكلام (أدخلتُ القلنسوة في رأسي، وعرضتُ الناقة على الحوض وعرضتها على الماء...)»[96]، ففي ذلك وضع ما حقّه المفعوليّة في محل الجر بحرف الجر، فالأصلُ أنْ تكونَ الجُمل السابقة (أدخلتُ الرأسَ في القلنسوة، وعرضتُ الحوضَ على الناقة، وعرضتُ الماءَ عليها...) وهذا التركيب النحويّ الذي اختصّ في ترتيب الجملة حسبَ معناها عائدٌ دلالته إلى معنى الجملة، أو ما سُمع عن العرب، فمن الأولى ما جاء في الأمثلة السابقة؛ فالأصلُ في الماء أنْ يُعرضَ على الناقة لحاجتها له لا أنْ تُعرضَ الناقةُ على الماء لأنها جامدةٌ لا تحتاجُ إلى مَن يشربها لسبب في نفسها، فغيرها من المخلوقات تحتاجها فتطلبها. ومن الثانية (مُخالفاً للأصل، أو آخذاً بلغة من لغات العرب) فهذا يؤخذُ به ولا يُقاس عليه، فهو كما ورد في المثَل (مُكرهٌ أخاكَ لا بَطل) فالأصلُ فيه أن يكونَ (مُكرهٌ أخوك لا بطل) [97]؛ لأنّ اسمَ المفعول يحتاجُ إلى نائبِ فاعل؛ لأنّه محوّلٌ عن الفعل المبنيّ للمجهول.

9. النقض : وقد ورد عن ابن جني في أبواب مختلفة وهي (باب في نقض المراتب إذا عرض هناك عارضٌ)[98]، كأن تقول: (ضربَ زيداً غُلامُه) فقد نُقضتْ مرتبة الفاعل في الجملة وصار حقّه التأخير عن المفعول به لاتصاله بعارض وهو الضمير العائد على المفعول به؛ لأنّ الضمائر حقها العودة على متقدّم لا مُتأخر، فلو قلنا (ضرب غلامُه زيداً) لكان ذلك باطلاً؛ لتعلّق الضمير بمتأخر، وهذا ما أطلق عليه البلاغيونَ بـ(ضعف التأليف) وهو مُخرجٌ الكلامَ عن فصاحته[99]، وكذلك جاء في (باب في نقض العادة) [100]، ومن ذلك ـ أيضاً ـ ما جاء في جمع (نِعْمَة) (أنعُم) كما في قوله تعالى: ﴿**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**﴾ [101]، وهي خلافٌ لقياس ما مفرده على وزن (فِعلة) فالأصل فيه أن يكونَ على وزن (فِعَل) مثل: (نقمةٍ، نِقَم) و (حِكمةٍ، حِكَم).

أما ما جاء في «(باب في نقض الأوضاع إذا ضامها طارئ عليها)، ... ومن ذلك لفظ الواجب، إذا لحقته همزة التقرير عاد نفياً، وإذا لحقت لفظ النفي عاد إيجاباً. وذلك كقول **الله** سبحانه: (**أأنت** قلتَ للناس)[102] أي ما قلت لهم، وقوله: (**آلله** آذن لكم)[103]أي لم يأذن لكم.

وأما مثال دخولها على النفي كقوله –عزّ وجلّ – :(ألستُ بربكم) [104] أي أنا كذلك»[105].

10. النقل الوظيفي: أشار إليه الجرجاني في القول بـ (تقديم لا على نية التأخير) ولكن على أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم وتجعل له بابًا و إعراباً غير إعرابه [106]، ومن ذلك أنْ تأتيَ بالفاعلَ وتقدّمه عن الفعل والمفعول به فيصبح حقّه الابتداء كما في قولنا (سعيدٌ ركبَ الفرسَ) فلو قُلتَ (ركبَ سعيدٌ الفرسَ) لكانَ جائزاً

ولكنّ العربَ قدّمتْ الشيءَ للأهميّة أو الضرورة الشعريّة[107] أو غيرها.

الخاتمة:

بعد ما جرى عرضه من آراء اللغويين والبلاغيين وبعض

المفسرين واللغويين المعاصرين، فإنّ القصد في الحديث عن القرينة الدلاليّة إنما هو غايةٌ توصل العمل في هذا البحث إلى دقة استخدام حروف المعاني كما ينبغي لها أن تكون، وكما وردت في اللسان العربي وكتب اللغة، وقد يقوم العمل على لفت النظر إلى مزج الدراسات النحويّة بالفروع الأخرى من علوم اللغة، بوصفها جسداً واحداً يخدم المعنى؛ وذلك عندما يقوم البحث بتحليل العمل الوظيفي والدلالي عند النحويين والبلاغيين والمفسرين، وتطبيقها بنموذج من الشعر العربي، وتقديمها بحُلّة تكشف القناع عن المعاني التي تتَّضمنها الأدوات في الأبواب النَحويّة المختلفة، لا العمل على توضيح الباب النحوي وعمله في الجملة العربية (كإعمال حروف التوكيد فيما بعدها).

النتائج:

أفاضت الدراسة في بيان فضل القرائن الحرفيّة وغير الحرفيّة في الدراسات القديمة والحديثة من خلال الاستشهاد بآراء أصحاب الفضل والقدر العالي ممّن تمكنوا من اللغة على الوجهين؛ النظري والتطبيقيّ، كما أنّ الدراسة وضعت من الشواهد ما يعزز وجهات النظر التي سعت إلى إثباتها وتأكيدها.

وعليه فقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. تعدّ القرائن الحرفيّة أمّ القرائن الدّلاليّة في الجملة العربيّة، والدراية بها تكشف القناع عن المعاني في الجملة العربيّة.
2. تكشف القرائن الحرفيّة في الجملة عن حالة المخاطَب ودرجة الاهتمام به، وكما تكشف عن حالة المتكلم.
3. المعرفة بدور الأدوات تمكّن المتكلم من التصرّف في الدّلالة؛ فيكون قادراً على تحويل المجاز إلى حقيقة أو الحقيقة إلى مجاز.
4. القرينة الحرفيّة واللفظيّة قرينتان معنويّتان خالصتان يحتاج فيهما الدارس إلى التأمُّل وإعمال الذهن حتى يُعلقها في الدّلالة بالشكل الصحيح والغرض المقصود، لذلك أطلقَ عليها بـ(قرائن التعليق).

التوصيات:

توصي الدراسة بـ:

1. توجيه أقسام اللغة العربية في الجامعات العربية إلى دراسة الفروع اللغويّة مجتمعةً في بيان الدّلالة.
2. توجيه الدراسات نحو الجانب التطبيقيّ الذي يمزج بين فروع اللّغة بما يضمن بيان حقيقة التراكيب الدّلاليّة المرجوة من الجملة العربيّة.
3. تأكيد مجامع اللغة العربيّة على فضل القرائن الحرفيّة في الدّلالة العربيّة بعمل تطبيقيٍّ حقيقيّ يكفلُ بيانَ فضل العناية بالأدوات في الجملة العربيّة وعلاقة ذلك بتحديد الدّلالة.
4. قيام أقسام اللغة العربيّة بإعادة النظر في الكثير من الدراسات الحديثة التي ترى أنّ دراسة الأدب العربيّ لا يلزمها العلم والمعرفة بفروع اللّغة ولا يلزمها المزج بينها وبين باقي فروع اللّغة، ونخص بالذكر الدراسات التطبيقيّة.

الهوامش:

1. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فضل، ط1،1992، دار الكتب العلمية، بيروت، ص19.
2. انظر ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ط4، 1971م، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ص439 – 440
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، 1999، دار طيبة للنشر، الرياض، 3/51 انظر في ذلك ما جاء في علاقة التراكيب اللغويّة في تحديد ترتيب الغُسل عند الوضوء في قوله تعالى : " فاغسلوا وجوهكم وأيديكم " (المائدة 6).
4. وانظر كذلك الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط1، 2000م، مؤسسة الرسالة، عمان،7/543 وفي ذلك ما حكاه في الخلاف في تفسير قوله تعالى : " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع "(النساء 3) وانظر كذلك ما حكاه ابن كثير في تفسيره في هذه الآية 2/209
5. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984، مكتبة دار التراث العربي، بيروت،1/337،338.
6. انظر مقدمة المحقق ص3، المرادي، مرجع سابق.
7. الخطابي، رسالة بيان إعجاز القرآن الكريم (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط3، 1976، دار المعارف، مصر، ص29.
8. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3،2004، مكتبة الخانجي، مصر، 3/117.
9. أبو القاسم الزجّاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، ط6، 1996، دار النفائس، بيروت، ص54.
10. لو أخذنا في ذلك أدوات التوكيد في اللغة العربية لوجدنا أننا نتنقل بالأساليب لبلوغ الجملة دلالتها وهذه الأساليب هي : جُمَل القَسَم، نونا التوكيد الثقيلة و الخفيفة، لام الأمر، لام الابتداء، حرف التوكيد والنصب إنّ، قد مصاحبة للفعل الماضي، أمّا الشرطية، أحرف التنبيه، أداة العرض ألا، وأداة التحضيض (هلا) وكل هذه الأساليب تتماثل في الغرض وتختلف في الدلالة بحسب ما يصحبها من اسم أو فعل، وهذا أقرب إلى ما حكاه الدكتور إبراهيم مصطفي في كتابه إحياء النحو انظر (ص6–4) في أسلوب التوكيد والنفي، فقد ذكر «إنّ العمل على بيان مواضع التوكيد بأنواعه في الجملة العربية يوضح أساليب العربية وسرها في التعبير».
11. أبو هلال العسكري، الفروق اللغويّة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط3، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص36.
12. ابن يعيش، شرح الفصل، عالم الكتب، بيروت، 8/2.
13. سورة المائدة (116).
14. سورة يونس (59).
15. ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، 2001، دار الكتب العلمية، بيروت،2/470.
16. ابن هشام، جمال الدين، شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، 1995، المكتبة العصرية، بيروت، ص322.
17. سيبويه – الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 1/12.
18. القيامة 31.
19. ابن يعيش، شرح المفصل، 3/108.

20. ممدوح الرمالي، العربية والوظائف النحوية، ط1، 1996، دار المعرفة الجامعيّة، مصر، 170–169، بتصرف.

21. وانظر في ذلك خديجة الصافي، نسخ الوظائف النحويّة، ط1،2008، دار السلام، مصر، ص97 وما بعدها. فقد أوردت في الكتاب فصلاً كاملاً تتحدث فيه عن دور الأدوات في نسخ الأنماط الإنشائية إلى أنماط خبريّة.

22. ابن يعيش، المرجع السابق، 1/203

23. التوبة 3

24. البقرة 124

25. انظر ياقوت الحموي، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط1،1993، دار الغرب الإسلامي، بيروت، –1/27 28،

26. وانظر البيهقي، المحاسن والأضداد، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط1، 1991، دار المعارف، مصر،1/128. 129.

27. ابن جني – الخصائص، 1/203

28. انظر التهاوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق محمد علي بسج، ط1، 1998، دار الكتب العلمية، بيروت،1/446.

29. الشريف الجرجاني، التعريفات، ط1، 1997، دار الفكر، بيروت، ص123.

30. ابن يعيش، شرح المفصل، 8/2.

31. ابن جني – الخصائص 2/463

32. سورة الطارق (9).

33. ابن جني – الخصائص، 2/459.

34. لو نظرتَ إلى باب (تجاذب المعاني والإعراب) 2/459 لوجدتَ أنه يُشيرُ إلى أنّ الأدوات روابط الجملِ، ولو نظرتَ إلى باب (التفسير على المعنى) 2/463 لوجدتَ أنّ الأدوات الظاهرة تدلّ على الأدوات المضمرة، ولو نظرتَ في باب (التام يُزاد عليه فيعود ناقصاً) 2/ 62 لوجدتَ إنّ دخول الأدوات في تركيب الكلمة يُقدّر محذوفاً، ولو نظرتَ في باب (نقض الأوضاعِ إذا ضامها طارئٌ) 2/470 لوجدتَ أنّ الأدوات تحوّل الجملة الخبرية إلى إنشائيّة...

35. ابن جني – مرجع سابق، 2/452.

36. البقرة 48

37. البقرة 28

38. الفاتحة 2

39. ابن جني، مرجع سابق، 2/63.

40. الزركشي – البرهان في علوم القرآن، 1/312.

41. انظر في ذلك ما قاله الخطابي في رسالته بيان إعجاز القرآن الكريم، ص19.

42. كأنْ تنفي الفعل المضارع بلم للدلالة على نفي الماضي، وكأنْ تأتي بـ(إذا) الشرطيّة للدلالة على ما هو متيقّنُ حدوثه ...

43. الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، 1968، مكتبة الخانجي، مصر،1/75،76.

44. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط5، 2004، مكتبة الخانجي، مصر، ص202،203.

45. الجاحظ – البيان والتبيين، 1/139.

46. انظر القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، 1993، دار الجيل، بيروت،1/67،71.

47. انظر فاضل السامرائي، معاني النحو، ط4، 2009، دار الفكر، عمان،4/119 وما بعدها و4/123 وما بعدها.

48. القزويني – الإيضاح، 1/70. انظر توضيح المحقق لمؤكدات الحكم في الحاشية. وانظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 2/390،391.

49. كالحديث عن الفرق بينَ (مذ ومنذ ومِن) فكلٌّ منها يختصّ باستعمالٍ يختلفُ عن الآخر، وقد تجدُ أنّ دلالة (مذ) تتغيرُ دلالتها بحسب ما يتبعها، مع أنّ عملها فيما بعدها هو الجر ـ في الغالب ـ انظر في ذلك فاضل السامرائي، معاني النحو، 3/73.

50. الدخان 49

51. الزركشي – مرجع سابق، 2/200،201.

52. انظر ابن جني، الخصائص، 2/210 والسيوطي، المزهر، تحقيق محمد عبد الرحيم، ط1، 2005، دار الفكر، بيروت، ص277.

53. ابن جني، الخصائص، 2/214.

54. انظر القزويني، الإيضاح 5/96.

55. الجاحظ، البيان والتبيين،2/20.

56. انظر خليل، حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، ط1، 1988، دار المعرفة الجامعيّة، ص60.

57. انظر في ذلك ما حكاه الدكتور إبراهيم مصطفى في كتابه إحياء النحو (ص5) عند حديثه عن أدوات النحو فقد قال: دُرستْ هذه الأدوات كما ترى متفرقة، ووجهت العناية كلها إلى بيان ما تُحدثُ مِن أثرٍ في الإعراب، وأُغفِلَ شرّ إغفالٍ درسُ معانيها، وخاصّةً كلّ أداةٍ في النفي ...

58. ومن الكتب التي دعت إلى تجديد النحو كتاب إحياء النحو لإبراهيم مصطفى، تجديد النحو لشوقي ضيف ، نحو التيسير لأحمد عبدالستار الجواري ، النحو الجديد لعبد المتعال الصعيدي وغيرها.

59. مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، ط1، 1938، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص أ.

60. قرائن التعليق (القرائن المعنويّة): هي مجموعة من العلاقات التي تربط بين المعاني الخاصة حتى تكون صالحةً عند تركيبها لبيان المراد منها، وذلك كعلاقة الإسناد (وتحتها فروع) والنسبة (وتحتها فروع) والتبعيّة (وتحتها فروع أيضاً) وهذه العلاقات في الحقيقة قرائن معنويّة على معاني الأبواب الخاصة كالفاعلية والمفعولية. انظر تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، (ص178)

61. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، 2006، عالم الكتب، القاهرة، ص182.

62. انظر سيبويه، الكتاب، 3/117.

63. تمام حسان – مرجع سابق، ص180،181.

64. ممدوح الرمالي – العربية والوظائف النحوية، ص270.

65. ممدوح الرمالي، المرجع سابق، ص275 – 276.

66. انظر ممدوح الرمالي، المرجع السابق، ص276.

67. (الأصل المفترض) هو ما جاء به بعض النحاة لتبرير العلامة الإعرابية بالاتكاء على نظريّة العامل، فرؤوا أنّ أصل قولهم مثلاً (ظننتُ زيداً مُذنباً) هو (زيد مذنبٌ) وشتّان بين المعنيينِ في إصدار الحكم على زيدٍ، فما رأوه

أصلاً للكلام هو جملة نواةٍ قبل أن يطرأ عليها العناصر التحويليّة من مثل (النفي، الزمن، ...) لتغيّر من دلالتها بوصفها ملمحاً من ملامح النسخ الدلالي. انظر خديجة محمد صافي، نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، ط1، 2007، دار السلام، القاهرة، ص15.

68. خديجة محمد الصافي – المرجع السابق، ص15.

69. انظر ممدوح الرمالي، مرجع السابق، ص 16.

70. انظر الزمخشري، أبو القاسم جار الله، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط1، 1999، دار الكتب العلمية، بيروت، ص118.

71. آل عمران 144.

72. البقرة 137.

73. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، 2/470. والسيوطي، الأشباه والنظائر، ط1، 1403هـ، دار الكتب العلمية، بيروت،1/276.

74. السيوطي، المرجع السابق، 1/103.

75. طه 92، 93.

76. الأعراف 12.

77. سورة ص 75.

78. الحديد 29.

79. ابن هشام، جمال الدين، مغني اللبيب، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد، ط1، 2004، دار السلام، القاهرة 1/318.

80. سيبويه، الكتاب، 1/73.

81. الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، ط1، 1981، دار المريخ، السعودية، ص32، 36.

82. مريم 4.

83. القمر 12.

84. انظر ابن هشام، جمال الدين، شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، 1995، المكتبة العصرية، بيروت، ص278.

85. ابن جني، الخصائص، 2/219، والبيت في ديوان النابغة، ص24.

86. المرجع السابق 2/221.

87. المرجع السابق 2/223.

88. ابن هشام – مغني اللبيب، 1/25.

89. الأنبياء 62.

90. القزويني، الإيضاح، 3/52.

91. سورة هود (5).

92. السيوطي – الأشباه والنظائر، 1/239 – والآية من سورة النمل (25)

93. البقرة 11.

94. البقرة 117.

95. البقرة 172 – 173.

96. ابن جني، مرجع سابق، 1/103.

97. المرسلات 34 – 37.

98. انظر ابن هشام، مغني اللبيب، 2/626.

99. انظر ابن هشام، المرجع السابق، 2/876.

100. البغدادي، عبد القادر خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، 1996، مكتبة الخانجي، مصر،7/299.

101. انظر ابن جني – مرجع سابق، 1/300

102. انظر ابن جني، مرجع سابق، 1/300، والقزويني، الإيضاح، 1/27.

103. ابن جني، مرجع السابق، 2/18.

104. النحل 112.

105. المائدة 116.

106. يونس 59.

107. الأعراف 172.

108. انظر ابن جني، مرجع سابق، 2/470.

109. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص106.

110. انظر الإستراباذي، رضي الدين، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، ط1،1978، جامعة قاريونس، بنغازي 4/458.

قائمة المصادر والمراجع/العربية:

1. القرآن الكريم

2. الإستراباذي، رضي الدين، شرح الرضي على الكافية، تحقيق يوسف حسن عمر، ط1، 1978م، جامعة قاريونس، بنغازي.

3. البغدادي عبد القادر، خزانة الأدب، تحقيق عبد السلام هارون، ط3، 1996م، مكتبة الخانجي، مصر.

4. البيهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوئ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط1،1991م، دار المعارف، مصر.

5. التهاوي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق محمد علي بسج، ط1، 1998م، دار الكتب العلمية، بيروت.

6. الجاحظ، عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، ط3،1968م، مكتبة الخانجي، مصر.

7. الجرجاني، الشريف، التعريفات، ط1، 1997م، دار الفكر، بيروت.

8. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط5، 2004، مكتبة الخانجي، مصر.

9. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط1، 2001م، دار الكتب العلمية، بيروت.

10. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، ط5، 2006 م، عالم الكتب، القاهرة.

11. الحموي، ياقوت، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، ط1، 1993م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

12. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، رسالة بيان إعجاز القرآن الكريم (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام، ط3، 1976م، دار المعارف، مصر.

13. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ط4، 1971م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

14. خليل، حلمي، العربية وعلم اللغة البنيوي، ط1، 1988م، دار المعرفة الجامعيّة، مصر.

15. الخولي، محمد علي، قواعد تحويلية للغة العربية، ط1، 1981م، دار المريخ، السعودية.

16. الرمالي، ممدوح، العربية والوظائف النحوية، ط1، 1996م، دار المعرفة الجامعيّة، مصر.

17. الزجّاجي، أبو القاسم، الإيضاح في علل النحو، تحقيق مازن المبارك، ط6، 1996م، دار النفائس، بيروت.

18. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط3، 1984م، مكتبة دار التراث، بيروت.

19. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، المفصل، تحقيق إميل بديع يعقوب، ط1، 1999م، دار الكتب العلمية، بيروت.

20. السامرائي، فاضل، معاني النحو، ط4، 2009م، دار الفكر، عمان.

21. سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، ط4، 2004م، مكتبة الخانجي، مصر.

22. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الأشباه والنظائر، ط1، 1403 هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

23. الصافي، خديجة، نسخ الوظائف النحويّة، ط1، 2008م، دار السلام، مصر.

24. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الفروق اللغويّة، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط3، 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت.

25. القزويني، الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط3، 1993م، دار الجيل، بيروت.

26. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، 1999، دار طيبة للنشر، الرياض.

27. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني، تحقيق فخر الدين قباوة، محمد نديم فضل، ط1، 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت.

28. مصطفى، إبراهيم، إحياء النحو، ط1، 1937م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة.

29. ابن هشام، جمال الدين بن يوسف، شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، 1995م، المكتبة العصرية، بيروت.

30. ابن هشام، جمال الدين بن يوسف، مغني اللبيب، تحقيق صلاح عبد العزيز علي السيد، ط1، 2004م، دار السلام، القاهرة.

31. ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل، ط1، 1999م، عالم الكتب، بيروت.

Translated References

List of resources and references

1. *The Noble Quran*
2. *Estrabathee, RaDee Aldin, Sharh AlraDee 'ala Alkafyeh, Audited by Yussif Hassan Omar, Ed.1, 1991, Daar Alma'aref, Egypt.*
3. *AlBaghdadi AbdulKader, Khazanat Al-Adab, Audited by Abdussalam Haroun, Ed.3, 1996, Khanji Bookshop, Egypt.*
4. *AlBayhaqi, Ibrahim Ibn Mohammad, AlMahasen Wa AlMasawe'a, Audited by Mohammad Abo AlFadl Ibrahim, Ed.1, 1991, Daar Alma'aref, Egypt.*
5. *Altahawee, Kashaf Istelahat Alfunoon, Audited by Mohammad Ali Basaj, Ed.1, 1998, Daar Alkotob Al'elmyyah, Beirut.*
6. *Aljahezh, Amr Ibn Bahr, Albayan Wa Altabyeen, Audited by Abdussalam Haroun, Ed.3, 1968, Khanji Bookshop, Egypt.*
7. *Aljerjani, Alsharif, Alta'areefat, Ed.1, 1997, Daar Alfikr, Beirut.*
8. *Aljerjani, Abdulqaher, Dala'el Ale'ajaz, Audited by Mahmoud Mohammad Shaker, Ed.5, 2004, Khanji Bookshop*
9. *Ibn Jinni, Abo Alfateh Othman, AlKhasa'es, Audited by Abdulhameed Hindawi, Ed.1, 2001, Daar Alkotob Al'elmeyyah, Beirut.*
10. *Hassan, Tammam, Alloghah Al'arabeyah Ma'anaha Wa Mabnaha, Ed.5, 2006, 'Aalam Alkotob, Cairo.*
11. *Alhamwee, Yaqout, Mo'ajam AlOdabaa', Audited by Ihsan Abbas, Ed.1, 1993 Daar AlGharb Alislami, Beirut.*
12. *Alkhattabi, Abu Suleiman Hamad Bin Mohammad, Resalat Bayan E'ajaz AlQua'an Alkareem (Thalaath Rasael Fi E'ajaz AlQura'an), Audited by Mohammad Khalafallah Ahmad, Mohammad Zaghlool Salam, Ed.3, 1976, Daar Alma'aref, Egypt.*
13. *Ibn Khaldon, Abdulrahman Ibn Mohammad, Almouqaddemah, Ed.4, 1971, Daar Iheaa' Alturath AlArabi, Beirut.*
14. *Khaleel, Helmi, Alarabiyah Wa 'Elm AlLoughah AlBounyawee, Ed.1, 1988, Daar AlMa'arefah Aljame'eyyah, Egypt.*
15. *Alkhouli, Mohammad Ali, Qawa'ed Tahweelyyah LilLoghah AlArabiyah, Ed.1, 1981, Daar AlMarreekh, KSA.*
16. *Alremali, Mamdouh, AlArabiyah Wa AlWazha'ef AlNahawyyah, Ed.1, 1996, Daar AlMa'arefah Aljame'eyyah, Egypt.*
17. *AlZajjaji, Abo AlQassem, AlEedhah Fee 'Elal AlNahw, Audited by Mazen Mobarak, Ed.6, 1996, Daar AlNafa'es, Beirut.*
18. *Alzarkashi, Badr Eldeen MohammadIbn Abdullah, Alborhan Fee 'Oloom AlQur'aan, Audited by Mohammad Abo Alfadhl Ibrahim, Ed.3, 1984, Daar Alturath Bookshop, Beirut.*
19. *Alzamakhshari, Abo AlQassem Jarallah Mahmoud Ibn Omar, Almofassal, Audited by Emele Badee'a Yaqoub, Ed.1, 1991, Daar Alkotob Al'elmyyah, Beirut.*
20. *Alsamerra'ee, Fadhel, Ma'ani AlNahw, Ed.4, 2009, Daar Alfikr, Amman.*
21. *Yabawaih, Amr Ibn Qinber, Alkitab, Audited by Abdussalam Haroun, Ed.4, 2004, Khanji Bookshop, Egypt.*
22. *Alsoyouti, Jalaluddin Abdulrahman, AlAshbah Wa Alnatha'er, Ed.1, 1403 Hegira, Daar Alkotob Al'elmyyah, Beirut.*
23. *AlSafi, Khadeejah, Naskh Alwatha'ef AlNahawyyah, Ed.q, 2008, Daar Alsalam, Egypt.*
24. *Alsa'eedi, Abdulmota'al, Alnahw Aljadeed, Ed.1, 1947, Daar Alma'aref, Cairo.*
25. *Al'askari, Abo Hilal Alhasan Ibn Abdullah, Alforoq Alloghawyyah, Audited by Mohammad Basel Oyoon Alsood, Ed.3, 2005, Daar Alkotob Al'elmyyah, Beirut.*
26. *Alqazweeni, Alkhateeb, AlEedhah Fee Oloom Albalaghah, Audited by Mohammad Abdulmon'em Khafaji, Ed.3, 1993, Daar Aljeel, Beirut.*
27. *Ibn Katheer, Tafseer AlQur'aan Al'Atheem, Audited by Sami Ibn Mohammad Salameh, Ed.2, 1999, Daar Taibah Lilnasher, Riyadh.*
28. *Almouradi, Alhassan Ibn AlQassem, Aljana Aldani, Audited by Fakhruddeen Qabaweh, Mohammad Nadeem Fadhl, Ed.1, 1992, Daar Alkotob Al'elmyyah Beirut.*
29. *Mustafa, Ibrahim, Ihea'a Alnahw, Ed.1, 1937, Printhouse of Lajnat Alta'leef Wa Altarjamah Wa Alnasher, Cairo.*
30. *Ibn Hisham, Jamaluddeen Ibn Youssif, Moughni AlLabeeb, Audited by Salah Abdulaziz Ali Assayyed, Ed.1, 2004, Daar Alsalam, Cairo.*
31. *Ibn Ya'eesh, Mwaffakuddeen, Sharh Almofassal, Ed.1, 1999, 'Aalam Alkotob, Beirut.*

Six- Scientific Research Ethics:

The researcher must:

1. Commit to high professional and academic standards during the whole process of conducting research papers, from submitting the research proposal, conducting the research, collecting data, analyzing and discussing the results, and to eventually publishing the paper. All must be conducted with integrity, neutralism and without distortion.
2. Acknowledge the efforts of all those who participated in conducting the research such as colleagues and students and list their names in the list of authors, as well as acknowledging the financial and morale support utilized in conducting the research.
3. Commit to state references soundly, to avoid plagiarism in the research.
4. Commit to avoid conducting research papers that harm humans or environment. The researcher must obtain in advance an approval from the University or the institutions he/she works at, or from a committee for scientific research ethics if there is any, when conducting any experiments on humans or the environment.
5. Obtain a written acknowledgement from the individual/individuals who are referred to in the research, and clarify to them the consequences of listing them in the research. The researcher has also to maintain confidentiality and commit to state the results of his/her research in the form of statistical data analysis to ensure the confidentiality of the participating individuals.

Seven- Intellectual Property Rights:

1. The editorial board confirms its commitment to the intellectual property rights.
2. Researchers also have to commit to the intellectual property rights.
3. The research copyrights and publication are owned by the Journal once the researcher is notified about the approval of the paper. The scientific materials published or approved for publishing in the Journal should not be republished unless a written acknowledgment is obtained by the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.
4. Research papers should not be published or republished unless a written acknowledgement is obtained from the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.
5. The researcher has the right to accredit the research to himself, and to place his name on all the copies, editions and volumes published.
6. The author has the right to request the accreditation of the published papers to himself.

3. In case the researcher decides to use APA style for documenting resources in the text, references must be placed immediately after the quote in the following order, surname of the author, year of publication, page number.
4. Opaque terms or expressions are to be explained in endnotes. List of endnotes should be placed before the list of references and resources.

Note: for more information about using APA style for documenting please check the following link:

http://journals.qou.edu/recources/pdf/apa.pdf

Five- Peer Review & Publication Process:

All research papers are forwarded to a group of experts in the field to review and assess the submitted papers according to the known scientific standards. The paper is accepted after the researcher carries out the modifications requested. Opinions expressed in the research paper solely belong to their authors not the journal. The submitted papers are subject to initial assessment by the editorial board to decide about the eligibility of the research and whether it meets the publication guidelines. The editorial board has the right to decide if the paper is ineligible without providing the researcher with any justification.

The peer review process is implemented as follows:

1. The editorial board reviews the eligibility of the submitted research papers and their compliance with the publication guidelines to decide their eligibility to the peer review process.
2. The eligible research papers are forwarded to two specialized Referees of a similar rank or higher than the researcher. Those Referees are chosen by the editorial board in a confidential approach, they are specialized instructors who work at universities and research centers in Palestine and abroad.
3. Each referee must submit a report indicating the eligibility of the research for publication.
4. In case the results of the two referees were different, the research is forwarded to a third referee to settle the result and consequently his decision is considered definite.
5. The researcher is notified by the result of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submission. Prior to that, the researcher has to carry out the modifications in case there are any.
6. The researcher will receive a copy of the journal in which his/her paper was published, as for researchers from abroad, a copy of the Journal volume will be sent to the liaison university office in Jordan and the researcher in this case will pay the shipping cost from Jordan to his/her place of residency.

8. The Journal preserves the right to request the researcher to omit, delete, or rephrase any part of his/her paper to suit the publication policy. The Journal has also the right to make any changes on the form/ design of the research.
9. The research must include two research abstracts, one in Arabic and another in English of (150-200) words. The abstract must underline the objectives of the paper, statement of the problem, methodology, and the main conclusions. The researcher is also to provide no more than six keywords at the end of the abstract which enable an easy access in the database.
10. The researcher has to indicate if his research is part of a master thesis or a doctoral dissertation as he/she should clarify this in the cover page, possibly inserted in the footnote.
11. The research papers submitted to the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research will not be returned to the researchers whether accepted or declined.
12. In case the research does not comply with the publication guidelines, the deanship will send a declining letter to the researcher.
13. Researchers must commit to pay the expenses of the arbitration process, in case of withdrawal during the final evaluation process and publication procedures.
14. The researchers will be notified of the results and final decision of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submitting the research.

Four- Documentation:

1. Footnotes should be written at the end of the paper as follows; if the reference is a book, it is cited in the following order, name of the author, title of the book or paper, name of the translator if any or reviser, place of publication, publisher, edition, year of publishing, volume, and page number. If the reference is a journal, it should be cited as follows, author, paper title, journal title, journal volume, date of publication and page number. If the resource or reference is mentioned again then it should be written as follows: name of the author, title of the book/research, page number.
2. References and resources should be arranged at the end of the paper in accordance to the alphabetical order starting with the surname of author, followed by the name of the author, title of the book or paper, place of publishing, edition, year of publication, and volume. The list should not include any reference which is not mentioned in the body of the paper.

   - In case the resource is with no specified edition, the researcher writes (N.A).
   - In case the publishing company is in not available, the researcher writes (N.P).
   - In case there is no author, the researcher writes (N.A).
   - In case the publishing date is missing , the researcher writes (N.D).

Third- Publication Guidelines:

The editorial board of the journal stresses the importance of the full compliance with the publication guidelines, taking into note that research papers that do not meet the guidelines will not be considered, and they will be returned to the researchers for modification to comply with the publication guidelines.

1. Papers are accepted in Arabic and English only, and the language used should be well constructed and sound.
2. Application for publishing the research paper should be submitted through the website of the Journal, on the following link:

http://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy in Microsoft Word format, taking into consideration the following:

- For papers written in Arabic: Font type should be Simplified Arabic, and the researcher should use bold font size 16 for head titles, bold font size 14 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
- For papers written in English: Font type should be Times New Roman, and the researcher should use bold font size 14 for head titles, bold font size 13 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
- the text should be single-spaced
- Margins:

For papers written in Arabic and English margins should be set to: 2cm top, 2.5 cm bottom, 1.5 cm left and right.

3. The paper should not exceed 25 (A4) pages or (7000) words including figures and graphics, tables, endnotes, and references, while annexes are inserted after the list of references, though annexes are not published but rather inserted only for the purpose of arbitration.
4. The research has to be characterized by originality, neutrality, and scientific value.
5. The research should not be published or submitted to be published in other journals, and the researcher has to submit a written acknowledgment that the research has never been published or sent for publication in other journals during the completion of the arbitration process. In addition, the main researcher must acknowledge that he/she had read the publication guidelines and he/she is fully abided by them.
6. The research should not be a chapter or part of an already published book.
7. Neither the research nor part of it should be published elsewhere, unless the researcher obtains a written acknowledgement from the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

Publication & Documentation Guidelines

First- Requirements of preparing the research:

The research must include the following:

1. A cover page which should include the title of the research stated in English and Arabic, including the name of researcher/researchers, his/her title, and email.
2. Two abstracts (English and Arabic) around (150-200 word). The abstract should include no more than 6 key words.
3. Graphs and diagrams should be placed within the text, serially numbered, and their titles, comments or remarks should be placed underneath.
4. Tables should be placed within the text, serially numbered and titles should be written above the tables, whereas comments or any remarks should be written underneath the tables.

Second- Submission Guidelines:

1. The Researcher should submit a letter addressing the Head of Editorial Board in which he/she requests his paper to be published in the Journal, specifying the specialization of his/her paper.
2. The researcher should submit a written pledge that the paper has not been published nor submitted for publishing in any other periodical, and that it is not a chapter or a part of a published book.
3. The researcher should submit a short Curriculum Vitae (CV) in which she/he includes full name, workplace, academic rank, specific specialization and contact information (phone and mobile number, and e-mail address).
4. Complete copy of the data collection tools (questionnaire or other) if not included in the paper itself or the Annexes.
5. No indication shall be given regarding the name or the identity of the researcher in the research paper, in order to ensure the confidentiality of the arbitration process.

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

Vision

Achieving leadership, excellence and innovation in the field of open learning, community service, and scientific research, in addition to reinforcing the University leading role in establishing a Palestinian society built on knowledge and science.

Mission

To prepare qualified graduates equipped with competencies that enable them to address the needs of their community, and compete in both local and regional labor markets. Furthermore, The University seeks to promote students' innovative contributions in scientific research and human and technical capacity-building, through providing them with educational and training programs in accordance with the best practices of open and blended learning approach, as well as through fostering an educational environment that promotes scientific research in accordance with the latest standards of quality and excellence. The University strives to implement its mission within a framework of knowledge exchange and cooperation with the community institutions and experts.

Core Values

To achieve the University's vision, mission and goals, the University strives to practice and promote the following core values:

- Leadership and excellence.
- Patriotism and nationalism.
- Democracy in education and equal opportunities.
- Academic and intellectual freedom.
- Commitment to regulations and bylaws.
- Partnership with the community
- Participative management.
- Enforcing the pioneer role of women.
- Integrity and Transparency.
- Competitiveness.

The Journal

Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Research is a quarterly scientific refereed journal, issued every three months by the Deanship of Graduate Studies and Scientific Research. The first issue of the Journal was published in October 2002. The journal publishes original research papers and studies conducted by researchers and faculty staff at QOU and by their counterparts at local and overseas universities, in accordance with their academic specializations. The Journal also publishes reviews, scientific reports and translated research papers, provided that these papers have not been previously published in any conference book or in any other journal.

The Journal managed to obtain the Arab Impact Factor and the International Standard Serial Number (E- ISSN: 2616-9843), (P– ISSN: 2616-9835).

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Younes Morshed Amr

President of the University

EDITOR IN CHIEF

Prof. Samir Dawood Al-Najdi

SUPERVISING EDITOR

Prof. Husni Mohamad Awad

Dean of Graduate Studies & Scientific Research

EDITORIAL BOARD

Prof. Abd Al-Nasser Qasim Al-Farra
Prof. Mohamad Mohamad Al-Shalash
Prof. Hani Hussein Abu Al-Rob
Prof. 'Imad Saleh Abdel Al-Haq
Dr. Rushdi Yousef Al-Qawasmah
Dr. Atef Husni Al-'Asuli
Prof. Faisal Hussein Gawadrah
Prof. Jamal Mohamad Ibrahim
Prof. Sami Awad Abu Izhak
Dr. Mu'tasem Tawfiq Al-Khader
Dr. Ghassan Isma'il Fatafta
Dr. Musa Ali Talib

EDITOR FOR ARABIC LANGUAGE RESEARCHES

Dr. Hasan Abu Al-Rub

EDITOR FOR ENGLISH LANGUAGE RESEARCHES

Adel Z'aiter Translation & Languages Center